آثار الشيخ زيد الفياض رحمه الله (١٦)

مِن كُلِّ صَوب

تأليف فضيلة الشيخ

زيد بن عبد العزيز الفيّاض

رحمه الله

(١٣٥٠-١٤١٦هـ)

دار الألوكة للنشر

مِن كُلِّ صَوب

الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ
الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ
الطبعة الثالثة خاصة بدار الألوكة ١٤٣٧هـ

الألوكة
دار الألوكة للنشر
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٥٦٦٦٦٠ تحويلة ٣٣٣
ناسوخ: ٤٥٥٠٦٦٦ - ص . ب ٣٠٥٦٦٠ الرياض ١١٣٦١
dar@alukah.net

مِن كُلِّ صَوْب

تأليف فضيلة الشيخ

زيد بن عبد العزيز الفياض

رحمه الله

(١٣٥٠-١٤١٦هـ)

دار الألوكة للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٣٠

تقديم الكتاب

للأستاذ الدُّكتور/ صلاح الدِّين المنجِّد

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وبعد، فقد شاء الشَّيخ زيد بن عبد العزيز الفيَّاض أن أقدِّم كتابَه هذا إلى القُرَّاء، وأنا أكرَه التقديمَ للكتُب! وقد كرَّهني به تلك المقدِّماتُ التي راحت تَظهر في المطبوعات الحديثة، وكلُّها تقريظٌ كاذب، ومديحٌ باطل، وتضليلٌ ظاهر، فإذا قرأتَ الكتاب وجدتَّ بَونًا شاسعًا بين ما قاله المقدِّم المقرِّظ وبين ما تضمَّنه الكتاب، وقد ضرَب إخوانُنا المصريُّون في هذا الباب بسهم صائب!

لكنِّي لم أبخَل على صديقنا بما طلَب، وقرأتُ الكتاب مرَّتين.

ولعلَّ من التجوُّز أن نسمِّيَه كتابًا يدور حول موضوع واحد؛ فهو مقالات شتَّى، جُمِعت من هنا وهناك؛ "من كلِّ صَوب"، كتَبها المؤلِّف في أوقات متباينة متباعدة، وفي موضوعات مختلفة، ونشَرها في صحُف ومجلَّات عديدة، لا يجمع بينها جامع، إلَّا أنَّها تهدفُ كلُّها إلى هدف واحد هو **الإصلاح**.

وهكذا مضى المؤلِّف عَجولًا تارة، ومتأنِّيًا أخرى، يكتب واصفًا ما يراه حولَه، ناقدًا ما لم يَرضَ عنه، مقترِحًا ما يحسَب أنَّ فيه الحقَّ والخير، وخاضَ في موضوعاتٍ ومشكِلات، في الشَّريعة والفقه، والأدب والتربية، والسِّياسة والصِّحافة، حتى الاقتصاد وشؤون النِّفط، فعالجَ هذه الأمور،

واقترح للمشكلات حلولًا بما أملاه عليه ضميرُه، وفي حدود علمِه وثقافته.

لقد كان المؤلِّف إذًا ذا هدفٍ نبيل فيما قصَد إليه في مقالاته؛ فالنَّقد الذي يبتغي الإصلاحَ واجبٌ على كلِّ مفكِّر يحبُّ وطنَه وأمَّته، بل إنَّ هذا النَّقد المخلِص هو نُصح، وهو أضعف الإيمان.

ولن يتقدَّم المسلمون والعربُ في أقطارهم إلَّا إذا ابتغَوا طريق النَّقد الذاتيِّ الصَّحيح المخلِص، الهادفِ إلى الإصلاحِ وتحسين الأحوال.

على أنَّ هذا النَّقد له شروط، ومن السُّخف أن نُطلِقَ العِنان لكلِّ واحد في الانتقاد، إذا لم يكن مهيَّأً له؛ إذ لا بدَّ في النَّقد من التخصُّص والفَهم، ثمَّ لا بدَّ فيه من الإخلاص ومجانَبة الغرَض والهوى.

فماذا كان حال المؤلِّف في نَقْداته واقتراحاته؟

يُخيَّل إليَّ أنَّه أصاب في كثير منها؛ ممَّا اتَّسعَت له ثقافته، وأنَّ بعضَها - ممَّا ابتعَد عن اختصاصه - لم يكن التَّوفيقُ فيها حليفَه.

فأنا لا أجرُؤ - مثلًا - على أن أكتبَ في دقائق الاقتصاد، ولا في شؤون النِّفط، ولا في مسائل التَّصنيع؛ لأنَّها علوم قائمة بذاتها، وما يصلُح منها لبلدٍ قد لا يصلح لآخَر، ومن الخطر أن أنساقَ مع التيَّار، فأردِّدَ ما أسمعُ دونَ عِلم، ولم أوتَ الاختصاصَ الذي يجعلُني أقترح وأنقُد، لكنَّ المؤلِّف سمَح لنفسه بذلك في هذه الموضوعات أحيانًا.

وأغلب هذه المقالات ممَّا كان يكتُبه في "اليمامة"، عليها وعلى حمد الجاسر السَّلام.

على أنَّ القارئ يلمَس في كلِّ ما كتَب المؤلِّف في هذا الكتاب الجُرأة،

ويحِسُّ الإخلاص، ويعيشُ في جوٍّ من الصَّراحة، ويشعر بشخصيَّة المؤلِّف سافرةً أمامَه؛ تريد الخير، وتلتمس الحقَّ، وتهدف إلى التقدُّم.

إنَّ هذا الكتاب صورة واضحة للحرِّية الفكريَّة التي تنعَم بها المملكة العربية السعوديَّة الآن؛ فما قاله المؤلِّف لا يمكن أن يُقال عَشيرُه في البُلدان التي ابتُليَت بالاشتراكيَّات الثوريَّة الماركسيَّة في شرقنا العربي، والكتاب أيضًا صورة لآراء الطَّليعة من المفكِّرين السُّعوديِّين المعاصرين.

وإنَّ القارئ ليَسُرُّه هذا التفتُّح، وهذا الإخلاص الهادف إلى البناء لا للهدم، وإلى التقدُّم الحقِّ لا للتأخُّر؛ فقد قدَّم المؤلِّف كلَّ هذا بأسلوبٍ سهل غير عسير، ووضوحٍ لا تعقيدَ فيه.

والمأمول أن يَلقى هذا الكتاب حظًّا يدفعُه إلى الانتشار، وقَبولًا في القلوب والنُّفوس، والله المستعان.

بيروت

صلاح الدِّين المنجِّد

مباحثُ شرعيَّة

رأيٌ في الزواج المبكِّر[(١)]

نشرَت الصُّحف كثيرًا من الآراء، وتحدَّث الكُتَّاب وأطالوا الحديثَ وتنوَّعت الآراء، وتعدَّدت الأقوال، وتباينَت وِجهات النَّظر في موضوع الزَّواج المبكِّر؛ فمِن مؤيِّد، ومن معارض متشدِّد، ومن متوسِّط يُحاول الوفاقَ بين الرأيَين، فيعارض بحذَر ويؤيِّد بمقدار؛ فلا يَندفع ولا يبتعِد.

ويجب ألَّا تغيبَ عن الذِّهن عند البحث في موضوعٍ كهذا النَّواحي الدِّينيةُ والاجتماعيَّة والمادِّية والنفسيَّة...

ونحن عندما نُدلي برأي في الموضوع، فإنَّ هذه الاعتباراتِ غيرُ مُغفَلة ولا مُقصاة، وإن كانت الإشارةُ هنا هي ما يمكن، والقليلُ بدلَ الكثير، والاختصارُ محلَّ التطويل.

ونقول: إن الزَّواج المبكِّر - رغم كلِّ ما أبداه معارضوه من حُجج، وما زعَموا من براهين - فإنَّ تأييده هو ما نراه راجحًا، وأنَّه وإن كان فيه شيء من المضارِّ، فإنَّ المَنافع فيه تربو على الضَّرر، والمصلحة فيه أكبر من المفسَدة، وهذا ما تؤيِّده قواعد الشَّرع والأسلوب المنطقيُّ والأدلة العقليَّة...

ومن قواعد الشَّرع المعلومة: أنَّه إذا تعارضَت مصلَحتان قُدِّمَت كُبراهما، وإذا تقابلَت مفسَدتان ارتُكِب أقلُّهما، ومن الأصول المعروفة: أنَّ دفع المفاسد مقدَّم على جَلب المصالح.

هذه قواعدُ شرعيَّة واضحة، وهي متَّفقة تمامًا مع العقل السَّليم، والفكر القويم، والرَّأي السَّديد.

---

(١) "اليمامة" العدد (٣٩٦).

ومن الأدلَّة الشرعيَّة الخاصَّة: قول الرَّسول ﷺ: «يا معشرَ الشَّباب، من استطاع منكم الباءَةَ فليتزوَّج؛ فإنَّه أغضُّ للبَصَر وأحصنُ للفَرْج، ومن لم يستطِع فعلَيه بالصَّوم؛ فإنَّه له وِجاء»، وقولُه: «تزوَّجوا الوَدود الوَلود؛ فإنِّي مُكاثِرٌ بكم الأُممَ يوم القيامة».

وإذا تأمَّلنا الحكمة المذكورة في الحديثَين وهي غضُّ البصر وإحصان الفَرْج في الحديث الأوَّل، والمباهاة بهم يوم القيامة في الحديث الثَّاني - أدرَكنا بدون تردُّد حثَّ الشريعة السَّمحاء على الزواج المبكِّر، ثم هو مؤيِّد للقواعد الشرعيَّة العامَّة في دفع المفاسد وأنَّها مقدَّمة على جَلب المصالح.

وأمَّا من النَّاحية الاجتماعيَّة، فإنَّه من المشاهَد أنَّ المجتمَعات التي يَكثُر فيها الزَّواج عمومًا، والزواج المبكِّر خصوصًا، يقلُّ فيها الفساد والرَّذائل، وها هي أوروبَّا التي يتأخَّر فيها الزَّواج قد أُصيبَت بالانحطاط الأخلاقي، وتفكُّك الأُسَر، وانتشار الرَّذائل بشكل مفزِع؛ حتى ضجَّ كثير من مفكِّريهم من هذا الواقع المؤلم، وحتَّى امتلأَت بلادُهم بالبِغاء واللُّقطاء.

ومن النَّاحية العقليَّة، فإنَّ وجود الغريزة الجنسيَّة يستدعي التأييدَ للزَّواج المبكِّر؛ لأنَّه لا بدَّ من أحد أمرَين: إمَّا الطُّرق الشرعيَّة المنظَّمة، أو الطُّرق الفاسدة المنحرفة، ولا خيار!

وأمَّا التَّعليلات بإكمال الدِّراسة والحصول على وظيفة أو دخل محترم كما يعبِّر عنه البعض، فإنَّ بعض المتزوِّجين قد ينجح في دراسته أكثرَ ممَّا ينجح غير المتزوِّجين، وقد يكون دخلُه محدودًا، ومع ذلك يشعُر براحة وغِبطة لا ينالُها من له مالٌ وفير ووظيفة كبيرة.

أمَّا من النَّاحية النَّفسيَّة، فإنَّ المتزوِّج غالبًا يكون أهدأَ بالًا، وأكثرَ

راحة، وأصفى نَفسًا؛ وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]؛ فالمتزوِّج حريٌّ أن ينفعَ المجتمع، ويُنتِج ويكونَ عضوًا عاملًا أكثر من الأعزب.

وعلى هذا، فلا ريبَ عندي أنَّ الزَّواج المبكِّر هو الطَّريق الأمثل، أمَّا أنَّ له مضارَّ فهذا ما لا أنكِرُه، ولكنَّها قليلة بالنِّسبة للمصالح المترتِّبة عليه، ووجود بعض المضارِّ في الشَّيء لا تعني عدمَ نفعِه أو اجتنابَه؛ فالغيثُ يترقَّبه النَّاس ويفرحون به، يجرُف أُناسًا، ويُغرق أُناسًا، والطَّائرات قد تَسقط من الجوِّ ويموت رُكَّابها، والشَّمس كثيرًا ما يموت أشخاصٌ بسبب حرارتها، والبيوت قد تَسقط على أصحابها.

ومع هذا فلا يُقال: إنَّه لا نفعَ في هذه الأشياء، أو إنَّ عدمَها خيرٌ من وجودها، وما أكثرَ الأشباهَ والنظائر!

وبعدُ، فها هي الأصوات ترتفع، والصَّيحات تعلو، والجمعيَّات تتألَّف في أوروبَّا وأمريكا، تدعو لما يقتضيه الدِّين الإسلاميُّ الحنيف، وما يوافق العقلَ والفطرة؛ مُنادِين بالزَّواج المبكِّر، بعد أن خبَروا عن كثَب، وعلِموا بعد تجرِبة طويلةٍ النَّتائجَ غير السَّارة في تأخُّر الزَّواج، وما جرَّ من مفاسدَ ومآسٍ.

ونحن أحقُّ منهم بهذه الدَّعوة وأولى بها، وواجبٌ تسهيل الزَّواج وتيسيرُ سُبلِه، وإزالةُ العقَبات التي تقفُ في طريقه.

اهدموا هذه البنايات [1]

أصبح الحُجَّاج يُلاقون مشقَّة عظيمة في رمي الجَمَرات من الزِّحام الشَّديد، وتعذَّر على كثيرين وجودُ أماكِنَ في مِنًى أيَّام الحجِّ؛ مع أنَّ المبيت في منًى واجبٌ من واجبات الحج.

وهذا شيء يَستدعي البحث عن حلٍّ لهذه المشكلة، ولا ريبَ أنَّ من أسباب العنَت الذي يُلاقيه الحُجَّاج انتشارَ البنايات الضَّخمة حول الجمرات وغيرها.

وهذه البنايات كأنَّها في سباق مع الزَّمن في سرعة امتدادها وارتفاعها، ولا غَرْو؛ فقيمة الإيجارات كبيرة تُغري أيَّما إغراء، كما أنَّ الدَّكاكين والمباسط المنتشِرة حول الجمرات تسبِّب الضِّيق والازدحام.

ومن ثَمَّ فإنَّ الواجب إعادة النَّظر في هذه البنايات، وإزالتُها في أسرع وقت ممكن؛ لأنَّها بُنِيت على أساسٍ غير شرعي، وبعضها بُنِي في وقت سابق، واستمرَّ حائزوه على استغلاله والتوسُّع فيه، وكلُّ ذلك عدوان على هذه المشاعر وأماكن الحج، وظُلمٌ للحُجَّاج، وحيازة شيء محرَّم حيازته، وتملُّكه وإيجاره حرام، وفيه دعاية سيِّئة لهذه البلاد، وتتحمَّل البلاد وحكومتها غُرم أولئك الذين اعتدَوا في هذه الأراضي، بينما لهم الغُنم والاستِغلال.

إنَّه معلومٌ شرعًا أنَّ ذلك لا يجوز، وحكومة هذه البلاد وعلماؤها

---

(١) جريدة "الدعوة" العدد (١٥)، في ١٩/ ٤/ ١٣٨٥.

يسعَون لتطبيق الشَّرع المطهَّر؛ لأنَّهم يعلمون يقينًا أنَّ فيه سعادةَ البشر أجمعين؛ إذًا فإنَّ من غير المعقول أن تظلَّ تلك البنايات قائمة تتحدَّى.

والرَّسول ﷺ يقول: «لا ضَرَرَ ولا ضِرار».

وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قلتُ: يا رسول الله، ألا تَبني لك بمنًى بناءً يُظلُّك؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، مِنًى مُناخُ مَن سَبَق»؛ رواه التِّرمذيُّ وقال: حديث حسَن، ورواه الدارميُّ والحاكم وقال: على شرط مسلم، وأورده الذهبي، ورواه ابن ماجه أيضًا.

قال ابن القيِّم: سُئل ﷺ أن يُبنَى له بمنًى بناءٌ يظلُّه من الحرِّ، فقال: «لا؛ منًى مُناخٌ لمن سبَق إليه».

قال ابن القيِّم: «وفي هذا دليلٌ على اشتراك المسلمين فيها، وأنَّ من سبَق إلى مكانٍ منها فهو أحقُّ به حتَّى يرتحلَ عنه، ولا يملكُه بذلك».

وقال الطِّيبي: «في هذا الحديث «منًى مُناخ من سَبَق» جملةٌ مستأنَفة لبيان مُوجِب عدم البناء فيها لأحد؛ لئلَّا يَكثُر فيها البناءُ فتَضيق على الحاجِّ، وهي غيرُ مختصَّة بأحد؛ بل هي موضعٌ للمَناسك، ومثلها عرَفة ومُزدَلِفة».

قال ابن العربي: «هذا الحديث يقتضي بظاهره أنَّه لا استحقاقَ لأحد بمنًى إلَّا بحكم الإناخةِ بها لقضاء النُّسك، ثم بُنِي بعد ذلك بها، لكن في غير موضع النُّسك ثمَّ أُخرِبت».

وقال الشيخ محبُّ الدِّين الطَّبري في كتابه "القِرى، لقاصد أمِّ القُرى" (ص٤٣٩):

«ويَحتمل أن يكونَ ذلك بمنًى؛ لمكانِ اشتراك الناس في النُّسك المتعلِّق

بها، فلم يرَ ﷺ لأحد اقتطاعَ موضع منها ببناءٍ وغيره، بل الناس فيها سواء، وللسَّابق حقُّ السَّبق، وكذلك الحكم في عرفةَ ومُزدلِفة؛ إلحاقًا بها».

إذًا فإنَّ هذه العمائر المسبِّبة المضايقةَ والزِّحام، والمؤذية للحجَّاج يجب إزالتُها؛ تسهيلًا على قاصدي بيت الله الحرام، وإراحةً لهم من المتاعب التي يُلاقونها من جرَّاء هذه البنايات المُحدَثة.

وأمَلُنا أن تقومَ الحكومة - وفَّقها الله - بعمل سريع لهدم كلِّ ما بُنِي في منًى؛ تنفيذًا لحكم الشَّرع، وقيامًا بالواجب المنوط بها تجاه أرض الحرم ومشاعره، دونَ التفاتٍ لأصوات أولئك الذين يهمُّهم الكسب الذي ينالونه من بناياتٍ اغتَصبوا أرضَها! وما نحسب الحكومة إلَّا فاعلة، وفي وقتٍ قريب.

فكرة خاطئة[1]

نُشر في جريدة "عكاظ" العدد (١٦٢) في ٦/ ١/ ١٣٨٥ كلمة بعنوان (حول الضَّرائب والرُّسوم) بتوقيع (عربي)؛ يَطلب كاتبُها من الحكومة أن تقومَ بإعادة الضَّرائب والرُّسوم التي ألغَتها، وزيادة الضَّرائب القائمة، ويزعم أنَّه يَعرض رأيَه للمناقشة.

يقول بالنَّص: «أن تعودَ بعضُ الضَّرائب والرُّسوم، وأن يُعادَ النَّظر في القائم منها، وأن يكون تشريعٌ جديد نحو الرُّسوم»، ثم يقول معلِّلًا تعليلًا غير منطقي: «إنَّ هذا يعني المساهمة المادية الفعالة مع الدَّولة التي يُخلِص لها مُواطنُها، ويقدِّرون كلَّ التقدير عطفَها عليهم، والضرائب والرُّسوم دليلان على ما نتمتَّع به من رخاء وازدهار ومستوى من العيش الكريم».

ومع أنَّ هذا الرأي سيُقابَل بالرَّفض سلَفًا، فإنَّ من الأفضل تفنيدَه، وبيانَ ما ينطوي عليه من نتائجَ ذاتِ أثر سيِّئ؛ فقد كتب الأستاذ صالح جمال وعددٌ من الكتَّاب يردُّون هذا الرأيَ ويوضِّحون خطَأه، ولا ندري لماذا آثر الكاتبُ الانزواءَ خلف رمز لا يدلُّ على شخصيَّته، وكان الأولى به أن يتشجَّع ويُفصِح عن اسمه بجَلاء، وإن كان المهمُّ الآن هو مناقشة الفكرة التي أبداها، وهي كما قلتُ ستُقابَل بالرَّفض، وأنَّها لن تجدَ استجابة من أحد؛ فهذه البلاد بحمد الله تسير وَفق خُطَّة اقتصاديَّة ثبت نجاحُها واستقرارُها، وليست في حاجة إلى تشريعات تُرهق الشَّعب بالضرائب والرُّسوم، وتثير التذمُّر، وتجعل هُوَّة بين الحاكم والمحكوم، ويعتزُّ أهل هذه

---

(١) صحيفة "الجزيرة" العدد (٤٧)، في ٢/ ٢/ ١٣٨٥.

المملكة حكومة وشعبًا أنَّهم يحكِّمون الشَّريعة الإسلاميَّة السَّمحاء، التي تتَناقض وهذه الدعوة الجائرة!

إنَّ الشَّرع الكامل يرفض ما دعا إليه مَن رمَز لنفسه بعربي، وهل يَعلم الكاتب أنَّ النبيَّ ﷺ قال لخالد بن الوليد بعد أن شتَم امرأة رُجِمَت في الزِّنى: «لقد تابت توبةً لو تابَها صاحبُ مَكْسٍ لغُفر له»؟! وإن كنتَ في شكٍّ من ذلك فاسأل علماء الشَّرع وفقهاء الإسلام؛ لترى الأدلَّة والحُجَج.

ثم إنَّ هذه البلاد قد أفاء الله عليها بخير كثير، ونعمةٍ وارفة، وثرواتٍ طائلة من الزَّيت والمعادن والنَّخيل، وإذا استُفيد من هذه الثَّروات بطريقة صحيحة، فإنَّها ستصبح في مصافِّ الدُّول القويَّة في صناعتها وزراعتها وإنتاجها، فبين كلِّ وقت وآخرَ تأتي اكتِشافات جديدة لثرواتٍ مطمورة في الأرض في أنحاء المملَكة، فإذا ما وُجِّهت العناية لهذه الثَّروات، وهُيِّئت السُّبل لإقامة شركات أهليَّة وحكوميَّة، وأُحسِن الصَّرف لدخل الدَّولة، فإنَّ هذا يُغني عن الضَّرائب والرُّسوم، إنَّ الدُّول تحاول التَّخفيف عن كاهل شعوبها، وتسعى لتقليل الضَّرائب وتخفيضها أو إلغائها.

والدُّول التي تتدخَّل في حرِّية الاقتصاد بشكل قويٍّ تُعاني شعوبها من المتاعب، ويَكثُر فيها التذمُّر والمؤامرات والانقلابات، وتفقِد نعمةَ الأمن والاستقرار التي ترفُل فيها هذه المملكة بفضل تحكيمها الشَّرع، وحينما تلجأ إلى التَّشريعات المستمَدَّة من قوانينَ دخيلةٍ - لم تنفَع مُبتدِعيها - كما يريد الكاتب، وهي ليست فاعلةً إن شاء الله، فإنَّ ذلك سيَنجُم عنه مفاسدُ وشرورٌ كثيرة.

إنَّنا نجزم أنَّ مثل هذا الرأي الضَّحل سوف يُقابَل بالاستهجان من الدَّولة

أوَّلًا؛ فالدَّولة التي تَدفع معوناتٍ لاستيراد الأغذية، وتبذُل المساعدات للصِّناعات وغيرها - بل إنَّ مساعداتها تمتدُّ خارج المملكة - لا يمكن أن تعبأ برأيٍ لا أساس له ولا سنَد! والواجب وأدُ مثل هذه الآراء في مَهدها.

ثم إنَّ زعم الكاتب أنَّ زيادة الضَّرائب تعني المساهمة الفعَّالة من قِبَل المواطنين مع الدَّولة، فهذا شيءٌ في غاية السَّفسطة، ولو صحَّ هذا الكلام لصارت كلُّ دولة جائرةٍ ظالمة قد أثقلَت كاهل شعبها بالضَّرائب والرُّسوم قد أحسنَت صُنعًا، وصار معنى ذلك تعلُّق شعبها بها، وحبَّه العظيم لها! وهذا منطق غريبٌ حقًّا! اقرأ التاريخ أيُّها الكاتب - قريبه والبعيد - لتدرك أنَّ أيَّ دولة تُغالي في الضَّرائب والرُّسوم كانت عاقبتها وخيمة، وجرَّ ذلك البلاء والشرَّ على الشَّعب وعلى الحكومة معًا.

وزعمٌ ثانٍ ورد في سفسطة الكاتب، وهي أنَّ زيادة الضَّرائب والرُّسوم دليلٌ على ما يتمتَّع به الشَّعب من ازدِهار ورخاء.

إنَّ ازدهار الشَّعب يَظهر في قوَّة البلاد الاقتصاديَّة والزِّراعيَّة والصِّناعيَّة، وقوَّة عُملتها، وعظمة جيشها، ومخترَعاتها وعلومها، وليس في زيادة الضَّرائب أيُّها الكاتب (المُتواري).

ثمَّ إنَّ المساهمة المادِّية الفعَّالة من الشَّعب نحو الحكومة لا تكون في فرض ضرائب يُستكرَه عليها الشَّعب.

ولكن هناك مجالات كثيرة لمساهمة الشَّعب مع الحكومة في كلِّ ما يقوم به أفرادًا وجماعات، في كلِّ شأن يرفع مستوى الاقتصاد والثَّقافة، وكلِّ المجالات المادِّية والمعنويَّة.

إنَّ هذا الرَّأي الذي دعا إليه الكاتب يحوي السُّمَّ في الدَّسم، فمع أنَّ

ألفاظه منمَّقة وأسلوبه ناعم، فإنَّه يؤول إلى نتيجة غير حميدة، ويؤدِّي إلى عاقبة سيِّئة، سواء كان عمدٌ وسابقُ إصرارٍ من الكاتب، أم كان عفوَ الخاطر، وذلك ما يجعلنا نقول بحزم وتصميم: إنَّه مرفوض سلَفًا.

فضل الصَّحابة[(١)]

لصحابة رسول الله ﷺ فضائلُ مشتهِرة، ومناقبُ مأثورة، ومِيزات معلومة، عُلم ذلك ممَّا شاع وذاع، وعرَفه الخاصُّ والعامُّ، ولا ينكِره إلَّا جاحدٌ مُعاند، قد أضلَّه الهوى واتَّبع طريق الغَواية، وتنكَّب سُبل الهداية، وغَرِق في الأحقاد والضَّغائن، وأعماه التعصُّب الذَّميم والتَّقليد الشَّنيع، وما ذلك الحاقدُ الجاهل إلَّا متعنِّتٌ لا يَبغي الحقَّ ولا يهدف للإنصاف، وإنَّما يريد نصرَ مذهبه الجائر بالطَّعن في خيار الأمَّة وصفوة قرونها، وماذا يَضير الشمسَ من جاحدها؟!

قد تُنكِر العينُ ضوءَ الشَّمسِ من رمَدٍ ... ويُنكر الفَمُ طعمَ الماءِ من سَقَمِ
ومَن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ ... يَجِدْ مُرًّا به الماءَ الزُّلالا

لقد كان صحابةُ رسول الله ﷺ مثالًا رائعًا للإنسانيَّة في أعزِّ أمجادها، وكانوا بعد الأنبياء ﷩ خيرَ البشريَّة.

وحسْبهم فضلًا نَيلُهم صُحبةَ أفضل الرُّسل، وسيِّد ولد آدم، وكفاهم أنَّهم بذَلوا نفوسَهم وأموالَهم في سبيل الله والدِّفاعِ عن دينه ورسوله، وأنَّهم نقَلوا هذا الدِّين إلى مَن بعدَهم نقيًّا خالصًا من الشَّوائب؛ ولذا استحقُّوا الإشادةَ بفضلهم، والتَّنويه بشأنهم في الأمَّة إلى يوم القيامة، إلَّا من فئة ضعيفة تُظهر التشيُّع لأهل البيت وهي العدوَّة اللَّدودة لأهل البيت، وغالبُهم لبسَ ثوب التشيُّع ليُخفي غايته، ولذا كانت التقيَّة قُطبَ عقيدتها، والنِّفاقُ من عاداتها؛ كما أبانَ حقيقتَهم علماءُ المسلمين والذَّابُّون عنه من لدُنِ الصَّحابة

(١) مجلَّة "راية الإسلام" الأعداد (٦، ٧، ٨) السنة الثَّانية.

إلى يومنا هذا، وإلى ما شاء الله؛ ما فَتِئت طائفةٌ من أمَّة الإسلام على الحقِّ ظاهرين، وفي كلام المفسِّرين والمحدِّثين والمؤرِّخين والفقهاء الشَّيءُ الكثير عن بيان مذهبهم وكشف حقيقتهم.

هذا، وإنَّ فضائل الصَّحابة لوضوحها ممَّا لا يَمتري فيها إلَّا باغٍ مُكابر، وفي القرآن من فضائلهم، وفي السُّنة الصَّحيحة ما يُشيد بأعمالهم وأمجادهم، ما هو من الوضوح بمكانٍ جليٍّ.

وذلك أمر معقول؛ فإنَّ الله لم يكن ليختارَ لرسوله أصحابًا أشرارًا ظلَمةً طُغاة، بل هم في رأي بعض هذه الطَّائفة شرُّ الأمَّة في جميع أدوارها! ومَن يقول هذا الرَّأي الكاسد فهو يريد أن يقولَ في الرَّسول ﷺ: إنَّه شرُّ النَّاس؛ ولذلك كان أصحابُه أشرارًا، وقديمًا قيل:

عنِ المَرء لا تَسألْ وسَلْ عن قَرينهِ   فكلُّ قَرينٍ بالمقارِنِ يَقتدي

ولذا كان بُغض الصَّحابة بدعةً أثيمة، ولكنَّها تستَّرت في ثوبٍ آخَر، ولكن لم تخفَ على علماء الإسلام الذين بهم قام الكتابُ وبه قاموا.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ﴾ [محمد: ٣٠]، فكان في فلتات ألسنتِهم ما أبانَ نواياهم، وكلَّما ضَعُف أمرُ الإسلام انكشفَ من غاياتهم وآرائهم شيءٌ كثير.

وسابُّ الصَّحابة مكذِّب لله ولرسوله والمسلمين، بل ومنكِر لما هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة، وإذا كان داعيةً للرَّفض ناشرًا له فإنَّ جُرمَه أفظع، ويجب أن يعاقَبَ العقوبة البليغة.

ونحن نورد بعضَ النُّصوص القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة في فضائل الصَّحابة رضوان الله عليهم:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ [التوبة: ١١٧].

وقال: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [الفتح: ١٨].

وقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وقال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]... الآية، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ففي هاتين الآيتين بيانُ فضل الأمَّة الإسلاميَّة، والصَّحابةُ ﵃ أولى الأمَّةِ بالدُّخول في ذلك.

كما أنَّ النَّهي عن أذيَّة المؤمنين وسبِّهم يشمل من آذى الصَّحابة بطريق الأولى؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وقال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وفي السنَّة:

ما جاء في "الصَّحيحين" عن أبي سعيد ﵁؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي؛ فو الذي نفسي بيده، لو أنَّ أحدَكم أنفَق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلَغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه».

وعن عبد الله بن مَعقِل ﵁؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهَ اللهَ في أصحابي؛ لا تتَّخِذوهم غرَضًا مِن بعدي، مَن أحبَّهم فقد أحبَّني، ومن أبغَضهم فقد أبغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشكُ أن يأخذَه».

وفي "الصَّحيحين" عن البراء بن عازبٍ ﵁، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال في الأنصار: «لا يحبُّهم إلَّا مؤمن، ولا يُبغِضهم إلَّا منافق، من أحبَّهم أحبَّه الله، ومن أبغضَهم أبغضَه الله»، ولمسلمٍ عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يُبغض الأنصارَ رجلٌ آمنَ بالله واليومِ الآخِر».

وفي الصَّحيحين عن أنسٍ ﵁، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار، وآيةُ النِّفاق بُغض الأنصار».

وفي "صحيح مسلم" عن أبي موسى، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «النُّجوم أَمَنةٌ للسَّماء؛ فإذا ذهبَت النُّجوم أتى السَّماءَ ما تُوعَد، وأنا أمَنةٌ لأصحابي؛ فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعَدون، وأصحابي أمنةٌ لأمَّتي؛ فإذا ذهب أصحابي أتى أمَّتي ما يوعَدون».

وفي "صحيح مسلم" عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ قالت: سأل رجلٌ النبيَّ ﷺ: أيُّ النَّاس خير؟ قال: «القَرن الذي أنا فيه، ثم الثَّاني، ثم الثَّالث».

وفي "الصَّحيحين" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ ﷺ قال: «يأتي على النَّاس زمانٌ فيَغزو فِئامٌ من النَّاس فيُقال لهم: هل فيكم مَن رأى رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم؛ فيُفتَح لهم، ثمَّ يَغزو فِئامٌ من النَّاس فيُقال لهم: هل فيكم من رأى مَن صَحِب رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم؛ فيُفتح لهم، ثمَّ يغزو فِئامٌ من النَّاس فيُقال لهم: هل فيكم مَن رأى مَن صَحِب مَن صَحب رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم؛ فيُفتَح لهم».

وفي الصَّحيح عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يأتي على النَّاس زمانٌ إلَّا والذي بعدَه شرٌّ منه، حتَّى تَلقَوا ربَّكم».

وفي الحديث الآخَر عن النبيِّ ﷺ قال: «لا تسبُّوا الأموات؛ فإنَّهم قد أفضَوا إلى ما قدَّموا».

وأمَّا الكلام عن السَّلف في ذلك فهو من الكَثرة بحيث لا يَكاد يُحصى:

قال ابن عبَّاس: «لا تسبُّوا أصحابَ محمَّد؛ فإنَّ الله قد أمَر بالاستِغفار لهم، وقد عَلم أنَّهم سيَقتتِلون»؛ رواه أحمد.

وعن سعدِ بن أبي وقَّاصٍ؛ قال: الناس على ثلاث منازل، فمضَت

منزِلَتان وبقيَت واحدة؛ فأحسَنُ ما أنتم كائنون عليه أن تَكونوا بهذه المنزلة التي بقِيَت، قال: ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨]، إلى قوله: ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر: ٨]؛ فهؤلاء المهاجرون، وهذه منزلة قد مضَت، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؛ قال: هؤلاء الأنصار، وهذه منزلة قد مضَت، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]، إلى قوله: ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]؛ مضَت هاتان وبقيَت هذه المنزلة، فأحسَنُ ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقِيَت؛ يقول: أن تستَغفِروا لهم.

وقال ابنُ عُمر: «لا تسبُّوا أصحابَ محمَّد؛ فإنَّ مقام أحدهم خيرٌ من عمَلِكم كلِّه»؛ رواه اللَّالكائي.

وقال عروةُ: قالت عائشةُ: «يا ابن أختي، أُمِروا بالاستغفار لأصحاب النبيِّ ﷺ فسَبُّوهم».

وقال ابن عبَّاس لرجلٍ سمعَه يقول كلامًا يَثلِب به الصَّحابةَ فقال: «أمِن المهاجرين الأوَّلين أنت؟» قال: لا، قال: «فمِن الأنصار أنت؟» قال: لا، قال: «فأنا أشهدُ بأنَّك لستَ من التَّابعين».

وعن سلَمة بن كُهيل، عن سعيد بن عبد الرَّحمن بن أَبْزَى؛ قال: قلتُ لأبي: يا أبت، لو كنتَ سمعتَ رجلًا يسبُّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بالكُفر أكنتَ تَضربُ عُنقَه؟ قال: «نعَم»؛ رواه أحمد.

وروى الحَكَمُ بن حَجْل قال: سمعتُ عليًّا يقول: «لا يُفضِّلني أحدٌ على أبي بكر وعُمر رضي الله عنهما إلَّا جلَدتُّه حدَّ المفتري».

قال عبد الله بن إدريسَ الأوديُّ الإمام: «ما آمَنُ أن يكونوا قد ضارَعوا

الكفَّار - يعني: الرَّافضةَ - لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]».

وقال أحمدُ في روايةِ أبي طالبٍ في الرَّجل يشتُم عثمانَ: «هذا زَندقة»، وقال في رواية المَرُّوذي: «مَن شتَم أبا بكرٍ وعُمرَ وعائشةَ ما أراه على الإسلام».

وقال الإمام مالكُ بن أنسٍ رضي الله عنه: «إنَّما هؤلاء أقوامٌ أرادوا القدحَ في النبيِّ ﷺ، فلم يُمكِنهم ذلك، فقدَحوا في أصحابه حتَّى يُقال: رجُل سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابُه صالحين».

وروى ابن بطَّة عن مالكٍ أنَّه قال: «من سَبَّ الصَّحابة فليس له في الفَيء نصيب؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠]...» الآية.

وصرَّح جماعاتٌ من الحنابلة وغيرهم بكُفر المعتقِدين بسبِّ جميع الصَّحابة، والذين كفَّروا الصَّحابة وفسَّقوهم وسبُّوهم.

وقال أبو بكر عبد العزيز: «فأمَّا الرَّافضيُّ فإن كان يسبُّ فقد كفَر فلا يُزوَّج»، وحكَم القاضي أبو يَعلى أنَّ من استحلَّ سبَّهم فقد كفَر بلا خلاف.

وقد فصَّل شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله في كتابه "الصَّارم المسلول، على شاتم الرَّسول ﷺ" (ص٥٨٦-٥٨٧)، فقال:

«أمَّا مَن اقترَن بسبِّه دعوى أنَّ عليًّا إله، أو أنَّه كان هو النبيَّ وإنَّما غَلِط جبرائيلُ في الرِّسالة، فهذا لا شكَّ في كُفره، بل لا شكَّ في كُفر من توقَّف في تكفيره.

وكذلك مَن زعَم منهم أنَّ القرآن نقَص منه آياتٌ وكُتِمت، أو زعَم أنَّ له تأويلاتٍ باطنةً تُسقط الأعمالَ المشروعة ونحو ذلك. وهؤلاء يُسمَّون القرامطة والباطنيَّة، ومنهم التَّناسُخيَّة، وهؤلاء لا خلافَ في كفرهم.

وأمَّا من سبَّهم سبًّا لا يَقدح في عدالتِهم ولا في دينهم؛ مثلُ وصفِ بعضهم بالبُخل أو الجُبن أو قلَّة العلم أو عدم الزُّهد ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحقُّ التأديب والتَّعزير، ولا نحكم بِكُفره بمجرَّد ذلك، وعلى هذا يُحمَل كلامُ مَن لم يكفِّرهم من أهل العلم.

وأمَّا من لعَن وقبَّح مطلقًا فهذا محلُّ الخلاف فيهم؛ لتردُّد الأمر بين لعن الغَيظ ولعن الاعتِقاد.

وأمَّا من جاوز ذلك إلى أن زعَم أنَّهم ارتدُّوا بعد الرَّسول ﷺ إلَّا نفرًا قليلًا لا يَبلُغون بضعةَ عشَر نفسًا، أو أنَّهم فسَقوا عامَّتُهم، فهذا لا ريبَ أيضًا في كفره؛ لأنَّه مكذِّب لما نصَّ عليه القرآنُ في غير موضع من الرِّضى عنهم والثَّناء عليهم، بل من يشكُّ في كفر مثل هذا فإنَّ كفرَه متعيِّن؛ فإنَّ مضمون هذه المقالة أنَّ نقَلة الكتاب والسُّنة كفَّار أو فسَّاق، وأنَّ هذه الآية التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وخيرها هو القرن الأوَّل - كان عامَّتهم كفَّارًا أو فسَّاقًا، ومضمونها أنَّ هذه الأمَّة هي شرُّ الأمم، وأنَّ سابقي هذه الأمَّة هم شِرارها، وكُفر هذا ما يُعلَم بالاضطِرار من دين الإسلام.

ولهذا تجد عامَّة مَن ظهَر عليه شيءٌ من هذه الأقوال، فإنَّه يتبيَّن أنَّه زنديق، وعامَّة الزَّنادقة إنَّما يستَترون بمذهبهم، وقد ظهَرت لله فيهم مَثُلات، وتواترَ النَّقل بأنَّ وجوهَهم تُمسَخ خنازيرَ في المَحيا والمَمات، وجمَع

العلماءُ ما بلغَهم في ذلك.

وممَّن صنَّف فيه الحافظ الصَّالح أبو عبد الله محمَّد ابن عبد الواحد المقدسيُّ كتابه في "النَّهي عن سبِّ الأصحاب، وما جاء فيه من الإثم والعقاب".

وبالجملة فمَن أصناف السَّابَّة من لا ريبَ في كُفره، ومنهم من لا يُحكَم بكُفره، ومنهم من تُردِّد فيه، وليس هذا موضعَ الاستقصاء في ذلك...».

وبذا يتَّضح ما في الطَّعن في الصَّحابة من المنكَر، وما يجب أن يُعامَل به مَن استطال عليهم وتجرَّأ على ثَلبِهم والتَّعدِّي على مقامهم الرَّفيع ومَنزلتهم المَكينة.

وفَّق الله حكَّام المسلمين وعلماءهم وعامَّتهم إلى نُصرة الإسلام والدِّفاع عن حمَلَتِه ودُعاته.

زائر كريم[1]

شهر رمضانَ الكريم مَوسمٌ للخير والطَّهارة، وتزكية النُّفوس من الأوضار[2] والشَّوائب، وفيه فُرص عظيمة للإنابة إلى الله، وتلاوة كتابه، وتذكُّر أحوال إخوانه المسلمين الذين هم في حاجة إلى النُّصرة والمواساة.

ورمضانُ يتلقَّاه المؤمنون بفرحة واغتباط؛ ففيه مَددٌ للطُّهر، وروافِدُ لليَقين، وعندما يُهِلُّ شهر رمضان يتبادل النَّاس التَّهاني، وتَبرُز على ملامحهم الهناءةُ والابتهاج.

وإذا كان النَّاس طَوال العام لاهين في أعمالهم ومَشاغلهم، وقد يقع بينهم من الخلافات والحَزازات شيء، ويحصل منهم غفلةٌ وتقصير، فإنَّ في شهر رمضان مناسبةً سعيدةً للرُّجوع إلى ربِّهم وخالقهم، وفيه فرصٌ للتَّسامح والعفو وإيثار المحبَّة على العَداء، وفيه ما يدعو لتذكُّر ما ينبغي تذكُّره، وخاصَّة حالة البائسين والفقراء الذين يُعانون من الجوع والعُري والمسغَبة.

وفي رمضان - كما في موسم الحجِّ - ما يذكِّر المسلمين عمومًا بما بينهم من الرَّوابط، وما يجب بينهم من التَّآزر ومُناصرة بعضهم لبعض، وأخذ الحقِّ من الظَّالم وردع المعتدي، ففي الاتِّحاد في فعل الصَّوم وفرضيَّته ما يُشعِرهم بواجبهم نحو الاهتمام بأحوال إخوانهم المسلمين في شتَّى الأقطار.

ونحن في هذا الشَّهر الحاليِّ عندما ننظر لحال المسلمين، نجد أنَّ

(١) "اليمامة" العدد (٣٦٢)، في ٩/ ٩/ ١٣٨٢.
(٢) أوضار: جمع وَضَر؛ وهو: الوسَخ.

واقعهم لا يتَّفق وما ينبغي أن يكونوا من تعاوُن واهتمام بمشاكل بعضهم.

فإنَّ بعض من ينتسب للإسلام قد صرَف جهودًا جبَّارة ضدَّ المسلمين، بينما انصرف عن مشاكلِ المسلمين الذين يَرزَحون تحت نِير الاستعماريِّين، والمسلمون في روسيا والصِّين وقضيَّة كشمير وأريتريا وفلسطين وأمثالها يجب أن تأخذَ من اهتمام الدُّول المنتسبة للإسلام الشَّيء الكثير؛ حتى يحقِّقوا أنَّهم متعاونون كالجسد الواحد، يتألَّم بعضهم من ألَمِ البعض الآخر، فيدَعوا تمزيق صفِّهم وتشتيتَ جهودهم؛ ليكونوا قوَّة صامدة أمام أعدائهم من الشُّيوعيِّين والمبشِّرين والصَّهاينة.

وعسى أن يكونَ في شهر الصَّوم شهر البركات واعظٌ ومذكِّر بما يجب أن تكونَ عليه حالة المسلمين من اتِّحاد وتكاتف وقوَّة وتآلُف، محكِّمين الشَّرع المطهَّر بدلًا من بعض القوانين الوضعيَّة التي لا تتَّفق والدِّين والخلق.

إنَّ الواقع الذي يعيشه المسلمون يدعو للأسى، ولو أنَّهم أخذوا على يد السَّفيه، وردَعوا الباغيَ، وآزَروا المظلوم، وعمِلوا لما فيه قوَّتهم ومجدُهم، لكانوا ذوي شأن، وجديرين بأن يكونوا مسلِمين بحقٍّ فاهمين لأسرار دينهم ومقاصده، وعسى أن يكونَ في رمضان مذكِّر وموقِظ.

شعائر العيد[1]

العيدان الفِطر والأضحى هما إحدى شعائر الإسلام، وهما فَرضا كفايةٍ أو من العلائم البارزة لدى المسلِمين، وما زال لهما شأنٌ منذ زمن رسول الله ﷺ، فالخُلفاءِ بعدَه، فمَن اقتَفى طريقَهم.

وفي القرآن: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]، وفي أيَّام العيدَين يُشرَع التَّكبير والذِّكر للَّه بتأكُّد؛ ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي العيد آدابٌ شرعيَّة؛ منها: الاغتسال، والتَّنظيف، والتطيُّب، ولُبس جميل الثِّياب، وصلاة العيدَين في المصلَّى، والتَّبكير إلى صلاة العيدَين، والخروج ماشيًا إلَّا من كان منزلُه بعيدًا.

ويستحَبُّ خروج النِّساء إلى صلاة العيدَين؛ ففي "الصَّحيحين" عن أمِّ عطيَّة قالت: أمرَنا رسولُ الله ﷺ أن نُخرجهنَّ في الفطر والأضحى، العَواتقَ وذوات الخُدور فأمَّا الحُيَّض فيعتزلن الصَّلاة، ويَشهَدن الخير ودعوة المسلمين، قلتُ: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جِلباب، قال: «لِتُلبِسها أختُها من جِلبابها».

ويُسنُّ تقديم صلاة الأضحى؛ ليتَّسع وقتُ التَّضحية، وتأخيرُ الفِطر؛ ليتَّسع وقتُ إخراج صدقة الفطر.

قال أبو سعيدٍ الخدريُّ: «كان رسول الله ﷺ يَخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلَّى، فأوَّل ما يَبدأ به الصلاة ثمَّ ينصرف، فيقوم مقابلَ

(١) "اليمامة" العدد (٣٢٥)، في ٩/ ١٢/ ١٣٨١.

الناس والناس جلوس على صفوفهم، فيعظُهم ويوصيهم ويأمرهم، وإن كان يريد أن يَقطعَ بعثًا قطعَه، أو يأمر بشيء أمرَ ثمَّ ينصرف».

وقال جابر: «شهدتُ مع رسول الله ﷺ الصَّلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة، ثمَّ قام متوكِّئًا على بلال، فأمر بتقوى الله وحثَّ على طاعته، ووعَظ الناس وذكَّرهم، ثمَّ مضى إلى النِّساء فوعَظهن وذكَّرهن»؛ متَّفق عليه.

وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: «من ذبَح قبل أن يصلِّي فإنَّما هو شاةُ لحم عجَّله لأهله، ليس من النُّسُك في شيء، ومَن ذبح قبل الصَّلاة فليذبَح مكانَها أخرى، ومن ذبَح بعد الصَّلاة فقد تمَّ نسُكه».

وروى أبو هريرة: «كان رسولُ الله ﷺ إذا خرج يوم العيد في طريقٍ رجَع في غيره».

وعن قتادةَ بن النُّعمان أنَّ النبيَّ ﷺ قام فقال: «إنِّي كنتُ أمرتُكم ألَّا تأكلوا لحوم الأضاحي فوقَ ثلاثة أيَّام لِيسَعَكم، وإنِّي أحلُّه لكم؛ فكُلوا منه ما شِئتم، ولا تبيعوا لحومَ الهَدي والأضاحي، وكُلوا وتصدَّقوا واستمتِعوا بجلودها ولا تبيعوها، وإن أُطعِمتُم من لحومها فكلوا ما شِئتم»؛ رواه أحمد.

وقال أنس: قَدِم رسول الله ﷺ المدينةَ ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «قد أبدلَكم الله تعالى بهما خيرًا منهما؛ يوم الفِطر والأضحى»؛ رواه النَّسائي.

أجل؛ إنَّ في العيد مظاهرَ رائعة؛ منها إقامةُ ذكر الله، والاجتماع على الخير، والاستماع إلى الإرشاد النَّافع الموجِّه، وإظهار السُّرور والطَّلاقة، وصفاء النَّفس من الضَّغينة والحقد، والعطف على المحتاجين والبائسين؛

لتكون البهجةُ شاملة، والشُّعور بالفرحة مشتركًا.

هكذا جاء الإسلام، وهذا بعضُ ما دعا إليه في العيد، فما أعظمَ أن نَعرفَ غاية العيد، ومقاصدَه السَّامية، وأهدافَه الكبيرة التي لا تقف عند حدود الذاتيَّة والأنانيَّة، ولكنَّها تمتدُّ إلى الأسرة والمجتمع الصَّغير والمجتمع الإسلاميِّ الكبير؛ لينعَم الجميعُ بفرحة لقاء العيد، وليقيموا شعائره كما أمرَ الله!

روعة العيد[1]

(العِيد) كلمةٌ عَذبة في اللِّسان، مُطربة للفؤاد، طعمُها حُلو، ونَكهتُها شذيَّة، يترقَّب الناس العيد بشوق ولهفة، وينتظرون قدومَه انتظار الأب لفِلذَةِ كبدِه الذي نأَت به الدِّيار، ويتطلَّعون إليه تطلُّع الأمِّ الوالهة لنجلها الذي شطَّ مَزارُه، ويَفرحون بأوبَته فرحةَ من أضناه الفراق للُقيا حبيبه.

ويمتلئ القلب نشوةً ومرحًا، وتهتزُّ النَّفس حبورًا وجَذَلًا، الكلُّ تبرُق أساريره، وتَغمر البهجةُ محيَّاه! ولا عجَب؛ ففي العيد مَيدان للمكارم، وإظهارٌ لنُبل المشاعر، ولقاءات زاخرة بالحبِّ والتَّسامح، وتقوية للوشائج والأواصر.

الغنيُّ يَجود بما أفاء الله عليه، ويمنح بسخاء من فُضول ما لديه؛ لأنَّه يريد أن يكونَ إخوانُه جميعًا يُشاطرونه السرَّاء، ويبادلونه الفرحةَ الباسمة، والنَّظرةَ الطَّروب، وأن يشعروا بما لهذا اليوم من معنًى سام، ومظهر خلَّاب، ومن لم يكن ذا سعَة من المال، يشعر أنَّ هناك من يحنو عليه ويواسيه، فلا يصير للحِقد إليه سبيل، بل إخوة متحابُّون.

وحتَّى تَعمُر الطُّمأنينة النُّفوس، وتُدرَك حكمة الله العليِّ القدير، الذي أراد من البشر الطُّهر والنقاء، والإخلاص والصَّفاء، وليعملوا وَفقَ مرضاة ربِّهم في تعاوُن وتآزر، وتعاضُد وتساند، وليكونوا مجتمعًا راقيًا تُرفرف عليه راية التَّوحيد، ويرتفع إلى أوج العُلا، ويرنو إلى المجد والرُّقيِّ في غير

(١) جريدة "البلاد" العدد (٢٤١١)، في ١٣٨٦/٩/٢٨.

صَلَف[(١)] ولا خُنوع، ومن غير بطَر ولا عجز، يسيرون صفًّا واحدًا كأنَّهم بنيان مرصوص؛ القويُّ يحنو على الضَّعيف، والغنيُّ يساعد الفقير، والكبير يرحم الصَّغير، والحدَث يتأدَّب مع من هو أقدَمُ منه سنًّا، في مجتمع لا تُهدَر فيه الكفاءات، ولا تُغمَط فيه الحقوق، ولا يكون للاستخفاف إليه منفَذ، ولا للتَّعالي إليه طريق، بل أمَّة واحدة يظلِّلها علَم الإسلام السَّامق، والتَّاريخ الصَّانع، ويجمعها جهادٌ في سبيل الله بالأموال والأنفس، وطموحٌ إلى أن يَبلغوا شأوًا رفيعًا في كلِّ مجال ناهض في الدِّين والدُّنيا، في الثَّقافة والاختراعات، في الاقتصاد والسِّياسة، في القوة العسكريَّة والنَّهضة الصِّناعيَّة.

بهذا الإدراك الواعي لمعنى العيد يَقدِر المرء على أن يستشفَّ روعةَ العيد، ويتجلَّى أمام ناظِرَيه ما تَعنيه كلمة العيد من معانٍ جليلةِ الهدف والمَغزى عظيمةِ المقصَد والغاية، ويغوص في أعماق مَراميها وما تَرمُز له من أحكام جليَّة، وعندئذٍ يعي اللَّبيب ما في عيدَي أهل الإسلام (الفطر والأضحى) من أسرار ومَزايا، ليست في المَظاهر فقط، ولكنَّها في المخابر كذلك.

---

(١) كثرة الكلام والغِلظة؛ يُقال: سحاب صَلِف؛ أي: كثير الرَّعد قليل الماء، وأرض صَلْفاء؛ أي: غليظة وشديدة.

من آداب العيد[1]

في العيدين؛ الأضحى والفطر تتجلَّى شعائر الإسلام، وتبرُز صورٌ مشرقة للشَّعائر الحكيمة، والمثُل السَّامية، والآداب العالية.

توكيدٌ على الاجتماع، وتوحيد الصُّفوف، والتقاء المسلمين في عبادة الخالق جلَّ وعلا، وتعاوُن على الخير وتكبيرٌ وتهليل، وصلاة وذِكر.

يخرج المسلمون متطهِّرين متنظِّفين متسوِّكين لابسين ثيابًا جميلة، وقد رغبوا في البذل، وأن يتصدَّقوا فيشعُر الفقير بأنَّ صِلتَه بإخوانه قويَّة، وأنَّهم لا يحرمونه من مال الله الذي آتاهم، بل يَبذُلون عن طِيب خاطر، ويُسارعون لجبر المكسور ومعاونة المحتاج.

ومن ثَم فُرضت زكاة الفطر في عيد الفطر؛ طُهرةً للصَّائم من اللَّغو والرَّفَث، وطُعمةً للمساكين.

وفي عيد الأضحى شُرعت الأُضحية والتصدُّق منها على الفقراء، كما شُرع فيهما صدقات أُخَر، وآداب كثيرة.

ومن الآداب التي وردَت بها الآثار: الخروج إلى مصلَّى العيد ماشيًا.

قال عمر بن عبد العزيز يومَ جمعة على المنبر: «إنَّ الفطر غدًا، فامشُوا إلى مُصلَّاكم؛ فإنَّ ذلك كان يُفعل، ومَن كان من أهل القُرى فليركب فإذا جاء إلى المدينة فليَمشِ إلى المصلَّى».

وما جاءت به الأدلَّة أنَّ الإمام يحثُّ الناس على الصَّدقة في خُطبته،

---

(١) أُذيعت من تلفزيون الرِّياض ليلةَ العيد ١٠/ ١٢/ ١٣٨٥.

ويرغِّبهم في عمل البرِّ، ويُرشِدهم لما فيه سعادتُهم، قال أبو سعيد: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلَّى، فأوَّل ما يبدأ به الصَّلاة، ثمَّ ينتهي فيقوم مقابلَ الناس، والناسُ جُلوس على صفوفهم، فيَعِظُهم ويوصيهم ويأمرُهم، وإن كان يريد أن يقطعَ بعثًا قَطعه، ويأمرَ بشيء أَمَر به.

وكان من سُنَّته ﷺ أن يخطُبَ في النِّساء فيَعِظهنَّ ويُذكِّرهنَّ ويحثُّهنَّ على الصَّدقة، فكان النِّساء يبذُلن عن طيب خاطر وطيب نَفس، كلُّ واحدة تتصدَّق بما تستطيعُه.

مظهر رائع ومشهد يأخذ بشَغاف القلوب وفيه تَهانٍ وسرور، وتعاونٌ وإيثار، وتزاورٌ وصِلات، واجتماعٌ في طاعة الله وعبادته، وشكلٌ جميل، ونظافةٌ في الملبَس والمنظَر، ونقاوةٌ في القلوب والنُّفوس، وتناسٍ للضَّغائن والحزازات، وإظهارٌ لنعمة الله وفضله، وشكرٌ له على ما أسبَغه من خيره وبرِّه؛ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨]، فالله يريد من عباده أن يَذكروه ويشكروه، ويَعبدوه ويوحِّدوه، وأن يعملوا الخير في كلِّ صوره وألوانه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم: ٧].

ولذا كان الإنسان مأمورًا أن يأخذَ لنفسه حقَّها، وأن يعطيَ لزوجه حقَّها، وألَّا يُهمِلَ حقوقَ ولَدِه وأقاربه وسائر واجباته؛ «إنَّ لنفسك عليك حقًّا، وإنَّ لزوجك عليك حقًّا، وإنَّ لولَدِك عليك حقًّا»، مدعوًّا أن يكون معتدلًا فلا غلوٌّ ولا تفريطٌ؛ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١].

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شهر البركات(١)

لرمضانَ مَناقبُ وخصائص، وفيه خيراتٌ وبركات، وفيه نَفحاتٌ ومَكرُمات، وقد اصطفاه الله على الشُّهور؛ ففيه ليلة القَدر خيرٌ من ألف شهر، وهو شهر الصَّبر، والصَّبر ثوابه الجَنَّة؛ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، فكما في البشر رسلٌ - والله أعلم حيث يجعل رسالتَه - وفيهم أنبياءُ وصالحون، وكما في الملائكة مقرَّبون، وفي كلِّ مخلوقات الله أمثلةٌ تدلُّ على القدرة الربَّانيَّة والحكمة العليَّة؛ ففيها الفاضل والمفضول، وفي ذلك الحكمة البالغة.

وإذا تأمَّلتَ البِقاعَ وجدتَّها تَشقى كما تَشقى الرِّجالُ وتَسعَدُ

وقد كان لشهر رمضانَ نصيبٌ وافر، وحَسْبه أنَّ فيه نزل القرآن، وأنَّ به ليلةً هي أفضل اللَّيالي، فكيف وفيه تُصفَّد الشياطين، وعُمرةٌ في رمضان تعدِل حجَّة، ومن تطوَّع فيه بخَصلةٍ من خصال الخير كان كمن أدَّى فريضةً فيما سواه؟!

وفي "الصَّحيحين": «كلُّ عمل ابن آدم له؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضِعف، قال الله ﷻ: إلَّا الصِّيام فإنَّه لي، وأنا أجزي به؛ إنَّه ترك شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجلي، للصَّائم فرحَتان: فرحةٌ عند فِطره، وفرحةٌ عند لقاء ربِّه، ولَخُلوف فمِ الصَّائم أطيبُ عند الله من رِيح المِسك».

---

(١) "الجزيرة" العدد (١١) السنة الثانية، رمضان ١٣٨١.

وفي حديث الحارث الأشعريِّ، عن النبيِّ ﷺ أنَّ زكريَّا عليه السلام قال لبني إسرائيل: «آمرُكم بالصِّيام؛ فإنَّ مثَل ذلك كمثَل رجل في عصابة معه صُرَّة فيها مِسك، فكلُّكم تعجبُه ريحُه، وإنَّ ريح الصِّيام أطيبُ عند الله من رِيح المِسك».

وشهرُ رمضانَ مجالٌ متَّسع لأعمال الخير؛ مِن تَذكُّر لحالة البائسين حين يُشاطرهم الغنيُّ جوعَهم وظمأهم، وحثٍّ على البَذل والإنفاق، ومجال للذِّكر بأنواعه، وأعلاه وأجلُّه قراءة كتاب الله العظيم ونوره المبين، الذي هو ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

وفي "الصَّحيحين" عن ابن عبَّاس؛ قال: «كان النبيُّ ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان، حين يلقاه جبريلُ فيُدارسه القرآن، فلَرسولُ الله ﷺ حين يلقاه جبريلُ أجودُ بالخير من الرِّيح المرسَلة».

وكانت حال السَّلف رضي الله عنهم الاجتهادَ في دراسة القرآن في رمضان؛ قال الحافظُ ابن رجب: «وكان السَّلف يَتلُون القرآن في شهر رمضان في الصَّلاة وغيرها، وكان الأسودُ يقرأ القرآنَ في كلِّ ليلتين في رمضان، وكان النَّخعيُّ يفعل ذلك في العَشر الأواخر منه خاصَّة، وفي بقيَّة الشهر في ثلاث، وكان قتادةُ يختم في كلِّ سبع دائمًا، وفي رمضان في كلِّ ثلاث، وفي العشر الأواخر في كلِّ ليلة، وكان للشافعيِّ في رمضان ستُّون ختمة يقرؤها في غير الصَّلاة، وعن أبي حنيفةَ نحوُه، وكان قتادةُ يَدرُس القرآن في شهر رمضان،

وكان الزُّهريُّ إذا دخل رمضانُ قال: فإنَّما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطَّعام، قال ابن عبد الحَكَم: كان مالكٌ إذا دخَل رمضانُ فرَّ من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم، وأقبَل على تلاوة القرآن من المصحف.

قال عبد الرزَّاق: كان سفيان الثَّوريُّ إذا دخل رمضانُ ترك جميعَ العبادة، وأقبل على قراءة القرآن، وكانت عائشةُ ﵂ تَقرأ في المصحف أوَّل النَّهار في شهر رمضان، فإذا طلَعت الشَّمس نامَت.

وقال سفيان: كان زُبَيد الياميُّ إذا حضر رمضانُ أحضر المصاحفَ وجمع إليه أصحابه.

وإنَّما ورد النَّهي عن قراءة القرآن في أقلَّ من ثلاث على المُداومة على ذلك، فأمَّا في الأوقات المفضَّلة كشهر رمضان، خصوصًا اللَّيالي التي يُطلَب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضَّلة كمكَّة لمن دخَلها من غير أهلِها، فيُستحَبُّ الإكثار فيها من تلاوة القرآن؛ اغتِنامًا للزَّمان والمكان، وهو قول أحمدَ وإسحاقَ وغيرهما من الأئمَّة، وعليه يدلُّ عملُ غيرهم كما سبق ذِكرُه.

وإذا كانت الحسنات تتَضاعف في هذا الشهر، وهو مَوسم للأعمال الطيِّبة؛ من ذِكر ودعاء وصدَقة وصبر وإمساك عن الحرُمات، فينبغي للصَّائم ألَّا يضيعَ هذه الفرصة النَّادرة، وأن يُكثر فيها من العمل الصَّالح، وليَحذَر الغِيبة والنَّميمة والحقد والحسد؛ ففي الحديث: «من لم يدَع قولَ الزُّور والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَه وشرابَه»، وفي الحديث الآخَر: «رُبَّ صائم حظُّه من صيامه العطشُ والجوع، ورُبَّ قائم حظُّه من قيامه السَّهر»، فهنيئًا لمن صامَه محتسبًا؛ فقد جاء في حديث أبي هريرة عن النبيِّ

ﷺ: «من صام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبِه».

وحيَّهلا بشهر الصَّوم، شهر البركات!

ليلة القدر[١]

خصَّ الله شهر رمضان المباركَ بمزايا وخصائصَ ليست لغيره من الشُّهور، وفيه: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ٣-٥].

فضل الله يُعطيه من يشاء، ويمنعُه عمَّن يشاء، فكما أنَّ البشر والحَيَوانات يتفاضلون، فإنَّ الأزمنة والأمكِنة، والنباتات والأشجارَ تتفاضَل هي الأخرى، والمياه فيها العذب النَّمير[٢]، وفيها الأُجاج المالح والمرُّ غير المستساغ... إلخ، ولله حِكَمٌ عظيمة في خَلقه وتدبيره.

وليلة القدر التي أُنزل فيها القرآن، وهي في رمضان، لها فضيلةٌ ليست لسِواها من اللَّيالي، نوَّه الله بفضلها في القرآن، وبيَّن الرَّسول ﷺ ما لها من مكانةٍ رفيعة، وفضيلةٍ لا تُدانيها ليلةٌ أخرى فيها.

قال الرَّسول ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبِه».

وفي أيِّ ليلة من ليالي رمضان؟

هنا يَختلف العلماء فيستدلُّون ويعلِّلون، وتتنوَّع الأقاويل حتَّى أوصلَها بعض العلماء إلى أربعين قولًا: وليلة العمل فيها خيرٌ من عمل ألف شهر، جديرةٌ بأن تكونَ محلَّ بحث واستنباط وحرصٍ على معرفة موقعها.

---

(١) نُشرت في جريدة "البلاد" العدد (٢١١٧)، في ٢٧/ ٩/ ١٣٨٥.
(٢) النَّمير من الماء: النَّاجع.

وكلُّ مؤمن يتمنَّى أن ينالَ هذا الأجر العظيم، ويحظى بحسنات جُلَّى تقرِّبه إلى الله وإلى مثوبته.

سأل أبو ذرٍّ النبيَّ ﷺ عن ليلة القدر، فقال: قلتُ: يا رسول الله، ليلةُ القدر رُفِعت مع الأنبياء، أو هي باقيةٌ إلى يوم القيامة؟ قال: «باقيةٌ إلى يوم القيامة»، قلتُ: في رمضانَ أو في غيره؟ قال: «في رمضان»، قلتُ: في العَشْر الأوَّل أو الثَّاني أو الآخِر؟ فقال: «في العشر الآخِر».

وروى ابنُ عمر أنَّ رجالًا من أصحاب النبيِّ ﷺ أُروا ليلةَ القدر في المنام في السَّبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأَت على أنَّها في العشر الأواخر، فالتَمِسوها في العشر الأواخر في الوتر منها».

وقالت عائشةُ: «كان رسولُ الله ﷺ إذا دخَل العَشْر الأواخر من رمضان أحيا اللَّيل وأيقَظ أهلَه وشدَّ المِئزَر، وكان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها».

وفي روايةٍ أخرى: «تحرَّوا ليلةَ القدر في الوتر في الأواخِر من رمضان».

ومن هذه الأحاديث يُعلَم قطعًا أنَّ ليلة القدر في رمضان، وأنَّها على الصَّحيح في العشر الأواخر، وفي وترٍ منه.

ولكن أيُّ ليلة هي أحرى بأن تكون ليلةَ القدر من بين هذه اللَّيالي، وأكثرها ترجيحًا؟

الواقع أنَّ الرِّوايات تختلف، ومع ذلك فإنَّ ليلة سبع وعشرين أرجحُ تلك اللَّيالي؛ لأنَّه ورَد فيها من الخصائص ما لم يَرد في ليلةٍ غيرها من ليالي

رمضان.

ونُورد ثلاثةَ أحاديثَ كلٌّ واحد منها يدلُّ على أنَّ ليلة القدر في ليلة غير اللَّيلة التي يدلُّ عليها الحديث الآخر:

في حديث أبي سعيدٍ، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «رأيتُ ليلة القدر ثم أُنسِيتها، فالتمِسوها في العشر الأواخر في الوتر، وإنِّي رأيتُ أنِّي أسجد في صبيحتها في ماء وطين»، قال: فجاءت سحابةٌ فمطرَت حتى سالَ سقفُ المسجد، وكان من جريد النَّخل، فأُقيمت الصَّلاة، فرأيتُ رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطِّين حتى رأيتُ أثرَ الماء والطِّين في جبهته. وفي روايةٍ: في صبيحة إحدى وعشرين.

وفي حديثٍ آخر أنَّ عبد الله بن أُنيس سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنِّي أكون ببادية يُقال لها: الوطأة، وإنِّي بحمد الله أصلِّي بهم، فمُرني بليلةٍ من هذا الشَّهر أَنزلها في المسجد فأصلِّيها فيه؟ فقال: «انزِل ليلةَ ثلاثٍ وعشرين فصَلِّها فيه، وإن أحببتَ أن تستتمَّ هذا الشهرَ فافعل».

وفي حديث أبي ذرٍّ أنَّ النبيَّ ﷺ لم يَقُم في رمضانَ حتَّى بقِيَ سبع، فقام بهم حتَّى مضى نحوٌ من ثلُث الليل، ثم قام بهم في ليلة خمس وعشرين حتى مضى نحوٌ من شَطْر اللَّيل، حتى كانت ليلةُ سبع وعشرين فجمَع نساءه وأهلَه واجتمع الناس، قال: فقام بهم حتى خَشِينا أن يَفوتَنا الفلاح (يعني السُّحور).

ولأجل ما ورد في ليلة سبع وعشرين ممَّا لم يَرد مثلُه في ليلةٍ أخرى، ذهب أكثرُ أهل العلم إلى أنَّها أرجى اللَّيالي بليلة القدر.

وعلى المسلم أن يجتهدَ ويتحرَّى الخير في مَظانِّه، ولا سيَّما في هذا

الشَّهر المبارك الذي تُضاعَف فيه الحسنات بما لا يَعلمه إلَّا الله، والذي هو شهر الصَّبر، والصَّبر ثوابه الجنَّة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وأن يغتنمَ هذه الفرص النَّادرة؛ لعلَّه أن يسعَد برضا ربِّه ونعيمِه المقيم.

ولحكمةٍ عظيمة؛ أخفى الله ليلة القدر حتَّى يجتهدَ الناس في العبادة ويُطيعوه طاعاتٍ كثيرة، نفعُها إليهم عائد، وبرُّها إليهم واصل، وفي ذلك مُعتبَر للألبَّاء وذوي الحَصافة والكِياسة، والنَّباهة والدِّراية. قال بعض أهل العلم: «أبهَم الله تعالى هذه اللَّيلة على الأمَّة؛ ليجتهدوا في طلبها، ويجدُّوا في العبادة في الشهر كلِّه طمَعًا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة؛ ليُكثروا من الدُّعاء في اليوم كلِّه، وأخفى اسمَه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطَّاعات؛ ليجتهدوا في جميعها، وأخفى الأجَل وقيام السَّاعة؛ ليجدَّ الناس في العمل حذرًا منها» .

حكم الوصال في الصوم[1]

جاءت الأدلَّة صريحة في النَّهي عن الوصال، والمتأمِّل للشَّريعة يجد أنَّها شريعة سمحاء، وأنَّها لا حرج فيها ولا عنَت ولا إرهاق؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي الحديث: «إنَّ هذا الدِّين يُسر، ولن يشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلَبه».

وحيث إنَّ الوِصال مشقَّة على الصائم أمَر بترك الوِصال، ونهى عن الوِصال نهيَ تحريم على أرجحِ الأقوال، ما عدا الوِصالَ إلى السَّحَر فقد أُبيحَ مع أفضليَّة الإفطار.

ففي "صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن عُمر أنَّ رسول الله ﷺ واصلَ في رمضان؛ فواصلَ الناس، فنَهاهم، فقيل له: أنتَ تُواصل! فقال: «إنِّي لستُ مثلَكم؛ إنِّي أُطعَم وأُسقى»، ولفظ البخاري: نهى رسول الله عن الوِصال، فقالوا: إنَّك تواصل! قال: «وأيُّكم مثلي؟! إنِّي لستُ مثلَكم؛ إني أُطعَم وأُسقى»، وفي "الصَّحيحين" من حديث أبي هريرة: نهى رسول الله ﷺ عن الوِصال، فقال رجلٌ من المسلمين: إنَّك يا رسول الله تُواصل! فقال رسول الله ﷺ: «وأيُّكم مثلي؟ إنِّي أَبيت يطعمني ربِّي ويسقيني»، وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنَّه نهى عن الوِصال وقال: «إنِّي لستُ كهيئتكم، فلمَّا أَبَوا أن ينتهوا واصلَ بهم يومًا ثم يومًا ثم يومًا»، وعن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «إيَّاكم والوِصالَ»، فقيل: إنَّك تواصل!

(١) نشرت في "البلاد" العدد (٢١٠٩)، في ١٨/ ٩/ ١٣٨٥.

قال: «إنِّي أبيتُ يُطعمني ربِّي ويسقيني، فاكلَفوا من العمل ما تُطيقون».

وفي "الصَّحيحين" من حديث عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبلَ اللَّيل من هاهنا، وأدبر النَّهار من هاهنا، وغرَبت الشَّمس فقد أفطر الصَّائم».

وفي "السُّنن" من حديث أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يزال الدِّين ظاهرًا ما عجَّل الناس الفِطر، إنَّ اليهود والنَّصارى يؤخِّرون».

وفي "السنن" من حديث أبي هريرة ويَعلى بن مُرَّة أنَّ النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: إنَّ أحبَّ عبادي إليَّ أعجلُهم فِطرًا».

وفي البخاريِّ ومسلم من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تُواصلوا، فأيُّكم أراد أن يواصِلَ فليُواصل إلى السَّحَر»، قالوا: فإنَّك تُواصل! قال: «إنِّي لستُ كهيئتكم؛ إنَّ لي مُطعِمًا يُطعمني وساقيًا يَسقيني»، وعن عمرو بن العاص؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ فَصل ما بينَ صيامنا وصيام أهل الكتاب أَكلَةُ السَّحر»؛ رواه مسلم.

وروى مسلمٌ عن أبي عطيَّة مالكِ بن عامر؛ قال: دخلتُ على عائشة رضي الله عنها أنا ومسروق، فقلنا: يا أمَّ المؤمنين، رجُلان من أصحاب رسول الله ﷺ أحدُهما يعجِّل الإفطار ويعجِّل الصلاة، والآخر يؤخِّر الإفطار ويؤخِّر الصلاة، قالت: «أيُّهما يعجِّل الإفطارَ ويعجِّل الصلاة؟» قلنا: عبد الله، قالت: «كذلك كان يَصنع رسول الله ﷺ».

وعن سهل بن سعد أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر»؛ متَّفق عليه.

وأخرج عبد الرزَّاق عن عمرِو بن ميمونٍ الأَوْديِّ؛ قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ أسرعَ الناس إفطارًا وأبطأَهم سحورًا»، قال الحافظ: إسناده صحيح(١).

وعن أبي ذرٍّ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول: «لا تزال أمَّتي بخير ما أخَّروا السُّحور وعجَّلوا الفطر»؛ رواه أحمد.

وعن أنس أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «تسحَّروا؛ فإنَّ في السُّحور بركة»؛ متَّفق عليه.

وعن ابن عمر مرفوعًا: «إنَّ الله وملائكته يصلُّون على المتسحِّرين»؛ رواه ابن حبَّان، وفي روايةٍ له عنه: «تسحَّروا ولو بجُرعة من ماء».

قال ابن عبد البرِّ: «إنَّ أحاديث تأخير السُّحور صِحاحٌ ومتواترة».

ومن تأمَّل هذه النُّصوص عَلِمَ مقدار التسهيل على الصَّائم والرِّفق به؛ ففي الصَّوم منافعُ رُوحيَّة وجسميَّة عظيمة يصعب حصرها.

ولم يكن فيه عُسر ولا إضرار بالنفس أو البدن، وإنَّما هو ترويض للنَّفس والجسم على الصبر والعبادة، ومُشاركة المسلم لإخوانه المسلمين في أحاسيسهم ومشاعرهم، والترغيب في الإنفاق والسَّخاء؛ وهكذا دلَّت النُّصوص الشرعيَّة باطِّرادٍ في صوم رمضان وغيره في مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ﴾ [الأعراف: ٣١-٣٢].

ولمَّا أراد جماعةٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ أن يقوموا بأنواع من العبادات

---

(١) "فتح الباري" (٤/ ٢٣٤).

فيها مشقَّة وإضرار بالجسم، فمنهم من أراد أن يصومَ ولا يفطر، ومنهم من أراد أن يقومَ الليل ولا ينام، ومنهم من أراد أن يتبتَّلَ ولا يتزوَّج - غضب النبيُّ ﷺ وقال: «لكنِّي أصومُ وأُفطر، وأقومُ وأنام، وأتزوَّج النِّساء، فمن رَغِبَ عن سنَّتي فليس منِّي».

وبمثل هذا الاعتدال في العبادة، والرَّاحة والأكل والشُّرب واللذَّات، وردَت الشَّريعة السَّمحة واضحةً نقيَّةً ليلُها كنهارها لا يَزيغ عنها إلَّا هالك، والله المستعان.

رمضان والإخوان المضطهدون[1]

في ليلة الأربعاء استقبل الناسُ ببهجةٍ وحُبور شهرَ الصَّوم والخير والبركات؛ ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ شهرٌ أوَّله رحمة، وأوسطُه مغفرة، وآخره عِتقٌ من النَّار.

ومَن صامَه وقامَه إيمانًا واحتِسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر.

تُضاعَف فيه الحسَنات، وتُقال فيه العثَرات.

من فطَّر فيه صائمًا كان له من الأجر مثلُ أجره، من غير أن يَنقُص من أجر الصَّائم شيء.

في رمضان كانت غزوةُ بدر الكبرى التي فُرِّق فيها بين الحقِّ والباطل، وانتصر فيها الإسلام، وانخذَل فيها الكفر.

وفيه ليلة القدر، خيرٌ من ألف شهر.

وفي هذا الشَّهر يبتهلُ المسلمون إلى الله، ويتفرَّغون إلى تلاوة القرآن والتعبُّد.

ويتذكَّر الغنيُّ حالة إخوانِه الفقراء؛ فيَبذُل لهم العطاء، ويقدِّم لهم المعونات، وعندما يمسُّه الجوع والظَّمأ بسبب الصَّوم يدرك أنَّ له إخوانًا يبيتون على الطَّوى، ويعجِزون عن الكساء، ويحتاجون إلى المأوى؛ فيدعوه ذلك إلى أن يُبادر بمساعدة إخوانه ومؤازرتهم، والمسلمون في هذه الأيام

(١) "اليمامة" العدد (٤٥٣)، في ٦/ ٩/ ١٣٨٣.

تمرُّ بهم ذكرياتٌ كثيرة وعِظاتٌ جميلة، فمِن أحداث التَّاريخ وعِبَره ما يبعث على لَمِّ الشَّمل وجمع الشَّتات، وتآلف القلوب بين المسلمين في شرق الأرض وغربها.

وفي هذه الأيَّام بشائرُ تدلُّ على أنَّ المسلمين الذين جمَّدوا طاقاتهم، ولعبَت بهم الأهواء، وشتَّتهم الاستعمار بأحابيله ومكره، هؤلاء المسلمون قد بدأوا يعرفون جدوى التَّعاون والتصافي، وها هم الملوك والرُّؤساء العرب يجتمعون في القاهرة، وتلك بدايةُ أمل مشرق، وعسى أن يتبعَها تقارُب وتعاون وثيق بين الدُّول الإسلامية؛ لأنَّ في وَحدة المسلمين وتعاونهم قوَّةَ المسلمين ومجدَهم.

إنَّ رمضان الذي يصومه المسلمون امتثالًا لأمر الله، وما شرعه على لسان رسوله محمَّد ﷺ خاتم الأنبياء - لحَريٌّ به أن يذكِّرنا بإخواننا المسلمين الذين يُمتحنون في هذه الظُّروف، ويتعرَّضون لمكائدَ وفتن قاسية، والعمل من أجل تخليصهم ممَّا يُقاسونه من وَيلات؛ فهناك العرب المسلمون في الخليج العربيِّ والجنوب العربي، وهناك مسلمون في كشمير وفي إريتريا وفي كينيا وفي الهند وفي قُبرص، وهناك الاضطهاد الوحشيُّ للمسلمين في روسيا والصِّين الشعبيَّة، وهناك المأساة الفظيعة في فلسطين.

كلُّ هذه جديرة بأن تنالَ اهتمام المسلمين، وتبعثَ فيهم النخوةَ والحميَّة الدِّينيَّة والنُّصرة للحقِّ، ومؤازرتهم، للنَّجاة ممَّا هم فيه من أخطار ومصائب.

إنَّنا ندعو الله أن يوفِّقَ الحكَّام والشُّعوب إلى فَهم هذه الحقائق، والعمل من أجلها في جدٍّ وعزم وإقدام؛ حتى يكونوا خير أمَّة أُخرجت للناس.

مشاعري في رمضان[1]

وجَّه إليَّ مندوبُ جريدة "البلاد" أسئلةً عن شعوري تجاهَ قدوم شهر رمضان المبارك، وعن المعاني التي تُستَشفُّ منه، وعن ذكرياتي في هذا الشهر، وأمنيَّاتي فيه....، وقد أجبتُه بالتَّالي:

شعوري شعورُ كلِّ مسلم يبتهج للقاء هذا الشَّهر الكريم، ويحمَد الله أن أنعَم عليه هذه النِّعمة العظيمة، وإنَّه ليَسأل الله أن يوفِّقه لكي يعمل الخير، وألَّا يكون صومُه عن الأكل والشُّرب فقط، ولكن أن يصومَ عن الأخطاء والآثام.

وأن تكونَ هذه الأيَّام المشرَّفة موسمًا لأعمال البرِّ التي يشعر فيها المسلم بالسَّعادة، ويرجو المولى جلَّ وعلا أن يَقبلَ ذلك، ويرتضيَه.

المعاني التي يستشفُّها المسلم من هذا الشَّهر كثيرة، فليس فرضُه لمجرَّد الحرمان من الأكل والشَّراب، ولكن له حِكَم كثيرة ومقاصدُ رائعة؛ فيُشعِر المرءَ الذي آتاه الله بَسطةً من المال مدى ما يُقاسيه الفقراء، ويكون ذلك حافزًا له إلى المسارعة لأداء ما وجَب عليه من زكاةٍ وحقوق، ويحثُّه على أن يتطوَّع بالصَّدقات ويواسي المنكوبين، ويهُبَّ لمؤازرة المحتاجين على قدر استطاعته.

وبذلك يحصل التعاطف والتعاون بين أفراد المجتمع، ويشدُّ بعضهم أزرَ بعض، كما أنَّ من الحِكَم في الصوم امتثالَ أمر الله وما شرَعه، والتَّسليمَ

(١) أُرسلت لجريدة "البلاد" في ١٣٨٦/٩/٤، ونُشرت في العدد (٢٣٩٥)، بتاريخ ١٣٨٦/٩/٩.

بأنَّ في كلِّ ما يأمرُ الله به وينهى عنه غايةَ الحكمة والمصلحةِ العظيمة، وفي هذا الشَّهر فُسحةٌ للتزوُّد بزاد التقوى؛ من تلاوة القرآن والصَّلوات المسنونة في التراويح والقيام، والتلاقي على الذِّكر والعبادة والطُّهر مع صفاء القلوب، وابتعادها عن الانغماس في المادَّة والأطماع، بل اجتماع على البرِّ وتعاونٌ على الخير، وإيثارٌ على الأنفس وسخاءٌ في اليد، ومودَّةٌ في الصَّدر.

وفي الصَّوم تعويدٌ للجسم على الصَّلابة والتحمُّل، وتمرُّنٌ على الجلَد والقوَّة؛ ليعطي الجسم تعويضًا عمَّا أرهقَه من التَّرف، وركَن إليه من الخمول، وتنشيط له ليعود قويًّا وجَلدًا.

وفي الصَّوم تكريمٌ من الباري جلَّ وعلا لعباده؛ كي ينالوا الأجرَ الكثير، والمثوبةَ العظيمة؛ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقد ورد في فضل الصَّوم وتكريم الصَّائم ما يُبرهِن على ما يلقاه الصَّائم من كثير الحسنات، وما أُعِدَّ له من جزيل المَكرُمات، وما يَنتظره من رفيع الدَّرجات.

ولهذا الشَّهر من المزايا ما لا يُستطاع حصرُه، ولا يمكن استيعابه، ويكفي أنَّه تهذيب للنَّفس والرُّوح، وتقويةٌ للجسد والإرادة، وفرصةٌ لزرع السَّعادة في الدِّين والدُّنيا، وفي الآخرة والعاجلة.

وأمَّا ذكرياتي عن رمضان فهي أنِّي بدأتُ أصومه مبكِّرًا جدًّا، وكان ذلك بدافع التَّقليد للصَّائمين، كما أنَّني وقد كنتُ أسمع أنَّ الناسيَ للصَّوم لا يضرُّه أن يأكلَ أو يشرب، فكنت أتمنَّى أن أنسى فآكلَ أو أشربَ ناسيًا!

وأمنيَّتي بهذه المناسبة أن يوفِّق الله الأمَّة الإسلاميَّة في مشارق الأرض ومغاربها، وشمالها وجنوبها إلى أن تتعاون وتتعاضَد، وأن تسعى لما فيه

قوَّتها وعزَّتها في ضوء الشريعة الإسلاميَّة السَّمحة، ووَفق هدي القرآن والسنَّة؛ ليتبوَّؤوا مكانتهم العالية، التي سما إليها أسلافُهم.

أقضي أيَّام رمضان في قراءة القرآن والصَّلاة، وفي العمل الرَّسمي، وفي مطالعة الصُّحف، وفي الكتابة والبحث.

من أهداف الحجِّ[1]

بعد أيام يقف المسلمون في عرفات مبتهِلين خاشعِين، وفي عيد الأضحى ينحَرون الذَّبائح؛ تقرُّبًا إلى الله، وأداءً لنُسكٍ إسلاميٍّ وشعيرةٍ من شعائره، في أيَّام حافلة بالذِّكر والتلاوة والصَّلاة والطَّواف.

والحجُّ - أحد أركان الإسلام - فرضٌ على المستطيع إليه سبيلًا من المكلَّفين، يفِدُ إليه المسلمون من كلِّ صُقع، ومن كلِّ فَجٍّ عميق؛ ليشهدوا مَنافعَ لهم، ويَذكروا اسمَ الله في أيَّام معلومات.

يعبدون إلهًا واحدًا، يتَّجهون لقبلة واحدة، ويؤدُّون أعمال الحجِّ في مَظاهرَ يتجلَّى فيها الصَّفاء والمساواة والأخوَّة الصادقة، ويتدارَسون أحوالهم ويتعرَّفون على مشاكلهم، ويتعاوَنون على البرِّ والتقوى؛ ولذا كان الحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّة.

ما أعظمَها من مشاعرَ! وأقدسَها من رُوحانيَّات، وأبهجَها من ساعات!

أيَّام من الأيَّام لها وزنها وحرمتها وقداستها، تُضاعف فيه الحسنات، وتزيد فيه المثوبة، ويربو فيها الأجر، وأماكن فاضلة مقدَّسة، وفي الحجِّ أعمال واجبة تعلِّم الصبر والتحمُّل، وفي الحجِّ تتلاشى الفوارق المصطنَعة، والمفاخراتُ بالأحساب والأنساب، والأموال والرِّياش[2]، الغنيُّ والفقير، والصَّغير والكبير، والذَّكر والأنثى، لا فضلَ لبعضهم على بعض إلَّا بالتقوى.

(١) "؟" العدد (٣٨)، في ٦/ ١٢/ ١٣٨٢.
(٢) الرِّياش: اللِّباس الفاخر والمَعاش.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

أجل؛ إنَّها فضائلُ وخيرات، يوفِّق الله لها من يشاء، وإنَّها حِكَم وأسرار عظيمة يعقلها مَن أُوتي بصيرة نافذة وعقلًا لبيبًا، وفقهًا في الدِّين.

في الحجِّ واجبات، وفيه محظورات، وفيه مندوبات؛ لينالَ المسلمُ الأجر ويجتنبَ الوِزر، ويحصِّل الغنيمة.

إنَّ الحجَّ تظهر فيه روعة الإسلام بأجلى معانيها؛ فالفرد عليه تكاليفُه ومسؤوليَّاته تجاه نفسه، وعليه تكاليفُه ومسؤوليَّاته تجاه إخوانه؛ تجاه المجموعة، إنَّه يؤدِّي هذه الأعمال في أوقات معلومة ومع إخوانه، وعليه تَبِعَةُ تقصيره وإخلاله بالواجبات أو فعل المحظورات، كذلك الحجُّ ليس انزواءً ورهبنةً على طريقة العبَّاد المتحذلِقين[1]، وإنَّما هو عبادةٌ لا تركَن للانزواء ولا تمقُت المكاسب الدنيويَّة المشروعة، وهو ليس حرجًا ضيِّقًا وإنَّما يمثِّل سماحة الإسلام ويُسرَه.

ما أعظمَ حِكَمَ الإسلام وأجلَّها! وما أولى المسلمين أن يتدبَّروا ويفهموا مقاصد الإسلام، وما يعنيه الحج، وما ينبغي أن تكونَ عليه حالةُ الحاج! وليتذكَّروا إخوانًا لهم لا يزالون يُقاسون الآلام والتَّعذيب من الدُّول الاستعماريَّة الغربيَّة والشرقيَّة، دول الرأسماليَّة الطاغية والشُّيوعيَّة المجرمة.

ليتذكَّروا إخوانًا لهم في التركستان وبخارى وألبانيا، وفي الحبَشة وكينيا، وليَسعَوا لما فيه صفاؤهم وإزالة الظُّلم عن إخوانهم، وليدَعوا

(١) تحذلق: ادَّعى أكثرَ ممَّا عنده.

السِّبابَ والشتائمَ وقولَ الزُّور ونهشَ بعضهم أعراضَ بعض، ولينصروا المظلوم، ويمنعوا الظالم، وليَسعَوا لنشر الإسلام في أصقاع الأرض ويكافحوا الشُّرور، ويحاربوا المبادئ الهدَّامة والآراء الملحِدة والعقائد الزائفة؛ ليعملوا على ما فيه وحدتُهم وجمع كلمتهم تحت لواء الإسلام العادل، في وَحدة إسلاميَّة رائعة، وليتذكَّروا واجباتهم إزاء إخوانهم البائسين والمنكوبين والمُعوِزين؛ فيمدُّوا لهم يد العون والمساعدة، كلٌّ بحسب طاقته ووَفق اقتداره.

هذه بعضٌ من واجبات، عسى أن يكون في الحجِّ مذكِّر بها للحجَّاج؛ ليؤدُّوا ما عليهم على بصيرة ووعي.

وفَّق الله، وسدَّد الخُطى.

الحج ومزاياه[١]

الحجُّ فرَضه الله على كلِّ مكلَّف مرَّة في العمر، وجعلَه أحدَ أركان الإسلام ودِعامة من دعائمه العتيدة، وجعلَ فيه خيراتٍ عظيمةً ونعمًا جُلَّى، يَعيا بها اللِّسان، ويعجِز عنها الحصر.

والحجُّ سواء أكان أداءً لفرض أم تطوُّعًا بنَفل، فإنَّ فيه من الفضائل والمزايا ما لا يطاق حصرُه.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٧-٢٩].

أوحى الله لنبيِّه إبراهيم أن ينادِيَ الناس للحجِّ؛ طلبًا للمثوبة، ورغبةً في نيل المثوبة والزُّلفى من الله «والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّة»، في الحجِّ يفِدُ العديد من الناس من كلِّ حدَبٍ وصَوب، ومن كلِّ لون وجنس، من مشارق الأرض ومغاربها؛ ليُجرَّدوا من لباسهم إلَّا من سُترة؛ على هيئة المساواة العادلة التي يأتيها الإنسانُ طائعًا مختارًا منيبًا؛ لأنَّها استجابة لنداء

(١) "اليمامة" العدد (٣٢٤)، في ٢/ ١٢/ ١٣٨٥.

الإنسان في وحيه وعلى لسان رسله.

وفي السَّفر مشقَّات، وهو قطعة من العذاب، ومع هذا فهو مستعذَب محبوبٌ في سبيل الله وقَصدِ حجِّ بيته.

والرَّاحة والاطمئنان اللَّذان يجده الحاجُّ ما لا يمكن التعبير عنهما، عندما يشتغل قلبه بتوحيد الله والإخبات إليه، ويَعمر فؤادَه الإيمانُ منصرفًا عن مُتع الدُّنيا ومشاغلها إلَّا بقدر محدود، ما أجلَّها نعمة! وما أعظمَها منقَبة!

والحجُّ له مزايا كثيرة: منها أن يتعارف المسلمون ويتعاونوا على حلِّ مَشاكلهم، وفَهم بعضهم البعض الآخر، وتعلُّم بعضهم من بعض، فهو أجلُّ مجتمع وأخطر مجمَع، أين منه المؤتمرات والمنتديات!

وإنَّنا ونحن اليوم على أبواب هذا الموسم العظيم، لنتمنَّى أن يوفِّق الله المسلمين لفَهم مقاصد الحجِّ، فيتعاونوا على البرِّ والتقوى لإنقاذ إخوانٍ لهم مسلمين تحت نِير الدُّول الغربية، أو الشُّيوعية الشرقيَّة، أو غيرها من حكم الطَّواغيت.

كنَّا نأمُل أن تُبحث مسألة لها أهميَّتها في أوقاف الحرمين التي وقَفها أناسٌ أرادوا الأجر والمثوبة، وعملوا خيرًا بوقفها لعمارة المسجد الحرام، أو لمساعدة المحتاجين من سكَّان الحرمَين، أو لإنشاء مساكنَ يأوي إليها الحُجَّاج، أو لحفر الآبار ليرتويَ منها الظَّمآن، أو لنشر العلم والتعليم في ربوع الحرمين.

كلُّ أولئك وغيرها من طُرق الخير وأبوابه الجليلة، ولكنَّها مع الأسف قد ذهبت سُدًى، أو كادت؛ بفِعل عقوق البعض. وبعضُ الحكومات قد

استولَت على هذه الأوقاف بغيًا وعدوانًا، وطمعًا واستهانة بالدِّين.

فعلى المسلمين في هذا المَوسم الكريم أن يتعاضَدوا لردِّ هذه الحقوق لأهلها الشرعيِّين، وأن يندِّدوا بمن يجترئ على أكل هذه الأوقاف، وصرفها في غير مصارفها المشروعة، ويتآزَروا لمحو الخرافات، وإزالة الوثنيَّات، ومحاربة الإلحاد بشتَّى صنوفه وجميع أشكاله، سواء الإلحاد الشُّيوعي الذي تُجنِّد له بعض الحكومات العربيَّة اليوم طاقاتِها، وتعبِّئ أجهزتها لتحبِّبه إلى النُّفوس، والاستعاضة به عن هَدي القرآن وسنَّة خير الأنام، ونهج السَّلف الصالح، باسم الاشتراكيَّة الديمقراطيَّة، أم الإباحيَّة التي غزَت كثيرًا من البُلدان المنتسبة للإسلام، أم كان حُكمًا بغير ما أنزل الله من القوانين الوضعيَّة.

وإنَّ الحجَّاج سيشاهدون ما بذلَته الدولة والشعب السعوديُّ في عمارة الحرمين، وما بُذل في ذلك بسَخاء من أموالٍ طائلة بلغَت مئات الملايين ممَّا يذهل الرَّائي، وما يُنفق في توفير راحة الحجَّاج من تعبيد الطُّرق، وتوفير المياه، والحرص على طُمَأنينتهم ممَّا يشهد به كلُّ منصِف.

إنَّ هذه الدَّولة وهي تنفق الأموال الكثيرة في هذا السَّبيل، يجب أن يكون من الوفاء لها ومن القيام بالواجب لها على أقلِّ تقدير: إعادةُ الحقوق المشروعة من الأوقاف على أهل الحرمين إليهم، وهو مطلب عادل، بل هو أداء لحقٍّ مفروض.

وبعد؛ فكم في الحجِّ من مزايا عظيمة ممَّا يفوق الحصر والتَّعداد!

للأذكار[١]

قرأتُ في جريدة "كل شيء" البيروتيَّة العدد (٣٢٥) آراء لفتاة، وصفَتها الصحيفة بأنَّها: سمراءُ شابَّة في عمر الورود، فيها سحر حوَّاء وجمالها، وفيها مناعة الماضي ورونق الحاضر، وتُدعى الفتاة بناديا أبي عاد.

وتَروي الكاتبة على لسان ناديا: ما أحلى الماضي! ويا ليتني عشتُ فيه!

وسألتها عن سبب هذه الأمنيَّة، وردَّت بحسرة كأنَّها تستردُّ تاريخ جدَّاتنا مستشهِدةً بواقع اليوم؛ قالت: فرق كبير بين الماضي والحاضر؛ كانت الفتاة في الغابر تعيش للبيت وعمَلِه، كانت تحمرُّ خجلًا إذا رآها ابن الجيران، وتُفاخر بحِشمتها، وتعتزُّ بتقاليدها الشرقيَّة، كانت تجد لذَّتها في حرمان الرجل منها وعدم وصوله إلى كلمة (مرحبًا) من شفتَيها، وكانت، وكانت...

أمَّا اليوم فقد باتت الفتاة تُفاخر في الإغراء، وتتحدَّى العالم بقياسات صدرها وخَصرها وأردافها! باتت تعتزُّ باقتباس العادات الأوروبيَّة وبالمظاهر، وبنوع قماش فستانها، ولؤلؤ خاتَمها، وماركة سيَّارتها.

كانت جَدَّتها توصيها بالحشمة؛ فهي جاذبيَّة الفتاة، وكانت تعلِّمها الحياء والخجل؛ لأنَّهما أقربُ طريق للوصول إلى أعماق قلب الرَّجل.

ثم تُردِف الكاتبة قائلة: إنَّ الآنسة ناديا لا تقرأ كلَّ ما يُكتب في القصص، فهو كلام منمَّق مرصوف ولا فائدة تُرجى منه، تقرأ فقط كتب المرأة القديمة، وحبَّها للبيت، ورغبتها في تربية أطفالها، ووصاياها القويَّة

(١) مجلَّة "راية الإسلام" العدد (٧)، جمادى الثانية ١٣٨٠.

التي كثيرًا ما تكون حِكمًا تحتاجها فتاة اليوم، وهي لا تتضايق من شيء إلَّا إذا رأت إحداهنَّ تقود سيارة، أو تركب درَّاجة هوائيَّة، أو تُفاخر بمايوه قطعتين ولونه الخلَّاب.

ولعلَّ أغرب ما صادفته هو طلب المرأة بالدُّخول إلى البرلمان؛ حيث تفقد الأنوثة والحياء والحشمة، وهذه مقوِّمات جمال المرأة الشرقيَّة وروعتها، وهي لا تعتقد بهذه الأشياء لأنَّها متأخِّرة التفكير؛ بل تقول: «انظروا كم من مشاكلَ تقع فيها الفتاة الشرقيَّة نتيجة تفكيرها الخاطئ وتمدُّنها السَّخيف! وأنا أحبُّ التمدُّن ولكنَّني أفهم التمدُّن على حقيقته، وأفهمه في أشياءَ وأُبعِده عن أشياءَ أخرى».

وتستشهد على ذلك بأحد أقوال جدَّتها فتقول: كيف تريد الفتاة أن يتقدَّم الشابُّ لطلب يدها وهي تُعطيه كلَّ ما يسعى إليه في الحياة؟ كيف يتزوَّجها وهي تقول بفرحة: هربتُ من المدرسة لأقابلَك، وكذبتُ على أهلي لأذهبَ معك إلى السِّينما؟! كيف يتزوَّجها وهي تتلاعب بالكلام وبكلِّ مفاهيم الفتاة لتُمضي معه بعض الوقت في لهو قد يتعدَّى في أكثر الأوقات اللَّهو؟! وبعد ذلك هل يأمَن الزَّوج على زوجته بعدما عرف عنها الشَّيء الكثير؟ وشاهد بنفسه الحِيلَ التي تنتهجها لتُقابله؟!

وتضيف السَّمراء الشابَّة قولها: الفتاة العذراء التي يحبُّها كلُّ رجل ويتمنَّاها زوجةً له، ليست الفتاةَ التي تحتفظ على عفافها وتترك الباقي لمن هبَّ ودبَّ من الناس، الفتاة التي يتمنَّاها كلُّ رجل باتت قليلة الوجود، وهذه مصيبة شرقنا الذي ينظر بحسرة إلى الرُّقي والتمدُّن العالميِّين، وسيأتي اليوم الذي نتحسَّر فيه على الماضي، ونعرف أنَّنا خسرنا أشياء حين تماشَينا مع حضارة باريس وغيرها التي نرى في حضارتها عزَّة لنا وكرامة لأمتنا.

وختَمت الآنسةُ كلماتها وهي تقول: سأموت وفي نفسي حنينٌ إلى ماضٍ لم أعِش فيه، وفي قلبي حسرةٌ على حاضر أعيش بعيدةً عنه بعقلي وعاطفتي، وأرى ضحاياه على الطَّريق الطويل الممتدِّ عبر الأيَّام، وكلُّ ما أتمنَّاه مخلصةً أن يُديم لي جدَّتي، وأن يعطيَ كلَّ فتاة جدَّة فيها بركة الجدَّات، أمنيَّة من يدري كيف تتحقَّق؟

ثم تُردِف الكاتبة: ولكن يا ليت في شرقنا الكثيراتِ من هذه الشابَّة! لكُنَّا في القمَّة، ولكانت فتاة أوروبا تزور بلادنا لتتعلَّم ما لم تعلِّمها إياها الحضارة السَّخيفة، يا ليت!

هذه آراء فتاة مثقَّفة من بلد تبلغ نسبة التَّعليم فيه بين الرِّجال والنِّساء أعلى نِسَب بين البلاد العربيَّة، صوَّرت فيها بعض واقع تلك البُلدان المؤلِم، وفي قولها ذلك أكثرُ من عبرة، وأكثر من ذِكرى.

وليُدرك من كان له قلب مدى النِّعمة التي حبا الله بها المرأة في هذا المجتمع، فلم تتبذَّل ولم تخلع رداء الحشمة، وبالتالي سَلِم مجتمعُنا من كثير من الأوصاب والمشاكل التي جرَّها رقيُّ المرأة وانخدَعن بالعبارات البرَّاقة التي في نهايتها العطَب والدَّمار.

ومع هذا؛ فإنَّ هنا - مع الأسف - في هذا المجتمع مَن يصُبُّ جامَ غضبه وقارصَ قوله على المرأة التي لا تفتأ تُحافظ على عزَّتها وإبائها، ويَصِمونها بالخمول والرجعيَّة والتخلُّف، وكأنَّما هم يريدون لها حياةً كتلك عبَّرت عنها فتاة جريئة؛ لتكون في نظرهم بعد ذلك متحضِّرة راقية؛ لأنَّها عند ذاك قد انحدرَت إلى الهاوية السَّحيقة.

فإن كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ　　وإن كنتَ تَدري فالمصيبةُ أعظَمُ

لم يَنسَق مع المداهَنة

ورد في "آخر ساعة" العدد (١٣٥٧) تحت عنوان «سفير إندونيسيا يمنع شرب الخمر» محمد سنوسي هاردجادنياتا سفير إندونيسيا في القاهرة أمر بعدم تقديم الخمور في حفلات السِّفارة قائلًا: «إنَّنا نمثِّل دولَنا في الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة، وهي بلدٌ إسلاميٌّ تطبَّق فيها الشريعة الإسلامية؛ ولذلك فإنَّ تقديم الخمور يعدُّ عملًا غير لائق».

وأصرَّ السفير على أن تكتفيَ سفارته بتقديم عصير اللَّيمون والفواكه الأخرى في حفَلات الكوكتيل، وأكثر من هذا رفض السَّفير كلَّ طلبات مساعديه الدِّبلوماسيِّين في سفارته لاستيراد خمور من الخارج وإعفائها من الرُّسوم الجمركيَّة، والمعروف أنَّ السفير الإندونيسيَّ أدى فريضة الحجِّ قبل أن يصلَ إلى القاهرة لتحمُّل أعباء منصبه.

هذا هو الخبر الذي ذكرَته المجلَّة على سبيل الاستطراف.

ونقول: مَرحى لهذا السفير العظيم! وأكثر الله من أمثاله الذين لا يَنقادون للتقليد الأعمى والمداهَنة الذَّليلة، ولا يستجيبون للشَّياطين النَّاعقة، إنَّها تحيَّة من الأعماق.

هل قُمت بواجبك؟[١]

أيُّها المسؤول، هل قمتَ بمسؤوليَّاتك على وجهٍ سليم، وقدَّرت واجبك، وما أُنيطَ بك من عمل جسيم؟ ولم تضيِّع المصلحة العامَّة في خضمِّ الرغبات الخاصَّة، والنَّزوات الفرديَّة، هل بذلتَ جهدك لتؤدِّي الحق، وتُنصف المظلوم وتَعدل بين إخوانك المسلمين بلا مُحاباة، أو مُداهنة، أو مَيل مع قريب، ومُداجاة لكبير أو أخذ رِشوة أو اختلاس؟

إنَّك حينئذ تكون قد أرضيتَ ضميرك، وأرحتَ بالك ونجوتَ من الإثم؛ يقول الرسول ﷺ: «كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته»، فهل أدَّيتَ ما اؤتُمنتَ عليه كما يجب، أم خنتَ الأمانة ونقضت العهد، وخيَّبتَ آمال المحسِنين بك الظَّن، والمسنِدين إليك العمل، والمترقِّبين فيك العدل والإنصاف؟

تذكَّر أنَّك مسؤول أمام الله الذي يعلم السِّر وأخفى، وأنَّك مهما تحايلتَ على الخلق، وخدعتهم، وزوَّرت عليهم، وخُنتهم فإنَّ الله مطَّلع عليك، وعالم بكلِّ ما تفعله وإنَّه لن يحميَك مركزُك، أو جاهُك أو عشيرتك من عذاب الله.

فاتَّق الله يا أخي في نفسك، وإيَّاك والظُّلمَ والجَور والعدوان، ولا تكن في الغَيِّ سادرًا، وفي تجاهل مسؤوليَّتك دائبًا؛ فالرُّجوع إلى الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطل، وكن عند مستوى جَسامة المسؤوليَّة، ولا تأخُذك العزَّة بالإثم، ولا تستنكف عن سماع كلمة الحقِّ مهما صَغر قائلها، ولا تندفع مع

(١) أُذيعت من إذاعة جُدَّة في برنامج "فكرة اليوم".

الباطل مهما كان صاحبه كبيرًا.

وتوكَّل على الله، «واعلم أنَّ الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلَّا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك لم يضرُّوك إلَّا بشيء قد كتبه الله عليك»، ولا تكترث بالباطل وإن كثُر حزبه، ولا تزهد في الحقِّ وإن قلَّ جنده ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

لك حقوق وعليك واجبات[(١)]

أخي، لك حقوقٌ وعليك واجبات، لك حقوقٌ على حكومتك، وعلى إخوانك المسلمين، وعلى أهلك الأقربين، وعلى جيرانك ومن تَلقاهم، وعلى شريكك وعَميلك، وولَدِك وزوجك.

وعليك واجباتٌ تجاه دينك، وحكومتك، ووطنك، وإخوانك المسلمين، وأهلك، وجيرانك، وأبنائك.

فهل قمتَ بواجبك؟ وهل تحرص بأن تؤدِّي واجبك وما عليك كما تحرصُ على أن تأخذَ ما لك من حقٍّ؟

لك حقٌّ وعليك واجب، فاحرص يا أخي على أن تؤدِّيَ واجبك، بقدر ما تحرص على أن تأخذَ حقَّك، ولا تكن أنانيًّا تريد جَلب مصلحتك ولا تُهِمُّك مصلحة الآخرين، تريد ثراءك، ولا تبالي بفقر الآخرين، تريد انتزاعَ ما لك عند الناس، ولا تريد أن تسدِّد الدَّين، وتعيدَ القرض، وتردَّ التحيَّة، وتواسيَ المنكوب، وتعزِّيَ المصاب، وتُضمِّدَ جروح البائسين.

يا أخي، عليك أن تفكِّر في نفسك فلا تتمادى في تقصيرك وغفلتك، ولا تعتدي، وتُمعن في الاعتداء.

إنَّ عليك واجباتٍ، ولك حقوقًا، فعليك أن تتصوَّرَ جَناحَي الطَّائر، هل يمكن له الطَّيران وهو فاقدٌ أحدَهما؟! كذلك المجتمع لا يمكن له النُّهوض والانتعاش إلَّا إذا أدَّى كلُّ إنسان واجبه، وأعطى حقوقه؛ ليكون التَّوازن

(١) أُذيعت من الإذاعة السُّعودية بجُدَّة.

والاعتدال فلا ترجَح كفَّة بأخرى، ولا تغلِب المطامع على النُّفوس فتضيع المصلحة العامَّة، ويكون التفكُّك وفقد الثِّقة وعدم الشُّعور بالمسؤوليَّة، لا بدَّ من حفظ التوازن في الأخذ والعطاء، وفي الحقِّ والواجب.

حقُّ المسلم على المسلم[(١)]

نظَّم الإسلام حقوقَ الفرد وحقوق الجماعة، وأوضح الطَّريقة الفُضلى للتَّعايش الكريم والوئام، والأخوَّة الصَّافية النقيَّة بين المسلمين وبين الوسائل المحبِّبةِ بعضَهم إلى بعض، والتي يَشعُرون معها بالتَّرابط الوثيق، واهتمام بعضهم بأحوال البعض الآخر، ومواساتهم لهم، وشعورهم بالواجب حيالَ بعضهم؛ وهذه أمثلةٌ بما جاءت به الشَّريعة الكاملة في هذا الموضوع:

فمن ذلك قول الرَّسول ﷺ: «لا يؤمن أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه».

وفي حديث البرَاء بن عازب؛ قال: «أمرَنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرَنا بعيادة المريض، واتِّباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإجابة الدَّاعي، وردِّ السلام، ونُصرة المظلوم، وإبرار القسَم. ونهانا عن سبع؛ عن خاتَم الذَّهب - أو قال: حَلْقة الذَّهب - وعن لُبس الحرير، والدِّيباج، والسُّندُس، والمَياثِر، والقَسِّيِّ، وآنية الفضَّة».

وفي حديثٍ آخرَ قال ﷺ: «لا تَدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أوَلا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحابَبتم؟ أفشوا السَّلام بينكم».

وفي حديث آخر: أنَّ رجلًا سأل النبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: «تُطعِم الطَّعام، وتَقرأ السَّلام على مَن عرفتَ ومن لم تعرف».

---

(١) أُذيعت من الإذاعة السُّعودية بجُدَّة.

بأمثال هذه الخِلال الحميدة والخِصال الفاضلة جاء الإسلامُ هاديًا للبشريَّة إلى النُّور وإلى الحق، وفي وئام ومحبَّة، ووفاء هو مَضرِب المثل، وتعاون وطيد، وأدب وسيم نبيل، بعيدًا عن التَّرف والميوعة والأشياء التي تَقدَح في الرُّجولة وتنتقص منها.

الحسد داء وَبيل(١)

الحسَد صفة ذميمة عقلًا وشرعًا، وبالحسد وقَع أوَّل قتيل من بني آدم، عندما قَتل قابيلُ هابيل؛ لمَّا تقبَّل الله من هابيلَ عملَه الصالح، ولم يتقبَّل من قابيل عمَله المَشوب، وقد ذكَر الله قصَّتهما في (سورة المائدة).

وكثيرون من الكفَّار عاندوا الأنبياء حسدًا وبغيًا، واليهود جحَدوا نبوَّة محمَّد ﷺ من أجل الحسد والبغضاء، مع علمهم أنَّه رسول الله وخاتم الأنبياء.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤]، وكم من جرائمَ وآثام ارتُكبت بدافع الحسَد! وكم من نكَبات وحروب ومشاكل جرَّها الحسد!

وقد جاءت الشريعة الإسلاميَّة محذِّرة من الحسد، ومبيِّنة قُبحَه ومضارَّه، وناهيةً المسلمَ أن يتَّصف بالحسد لأخيه المسلم؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكم والظنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا، ولا تنافَسوا، ولا تحاسَدوا، ولا تباغَضوا، ولا تدَابَروا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا كما أمرَكم، المسلمُ أخو المسلم لا يظلِمُه ولا يَخذُله ولا يحقِره، التَّقوى ههنا، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره - بحَسْب امرئٍ من الشرِّ أن يحقِرَ أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام؛ دمُه ومالُه وعِرضُه، إنَّ الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صُوَركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم».

---

(١) أُذيعت من الإذاعة السُّعودية بجُدَّة.

فما أحرى المسلمين أن يجتنبوا الحسد والتباغض والتقاطع، وأن يكونوا إخوةً متآلفين!

النَّميمة والغِيبة من أدواء المجتمع[(١)]

الغِيبة والنميمة هما أحد عوامل الهدم، وأدوات التَّخريب في المجتمَعات، وهما يوغِران الصُّدور، ويبثَّان الشِّقاق، ويسبِّبان العداوات والأخطار، وقد وُصِفتا في القرآن الكريم بأبشع وصف، وذُكِر صاحبُها بأسوأ ذِكر؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال الله تعالى: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾ [القلم: ١١].

وفي الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أتدرون ما الغِيبة؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذِكرُك أخاك بما يَكره» قيل: أفرأيتَ إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تَقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكُن فيه ما تقول فقد بَهتَّه».

وفي حديث أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لمَّا عُرج بي مرَرتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاس يَخمِشون بها وجوهَهم وصدورَهم، فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحومَ النَّاس ويقَعون في أعراضهم».

وفي حديثٍ آخرَ: «لا يَدخلُ الجنَّةَ نمَّام».

وعن ابن عبَّاس أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بقبرين فقال: «إنَّهما يُعذَّبان، وما يعذَّبان في كبير؛ بلى إنَّه كبير، أمَّا أحدهما فكان يمشي بالنَّميمة، وأمَّا

(١) أُذيعت من الإذاعة السُّعودية بجُدَّة.

الآخر فكان لا يستنزه من بوله».

فالغِيبة والنَّميمة من الأمراض المتفشِّية والأدواء المستعصية، وهما يجرَّان الدَّمار والخراب، وكم من كلمة غِيبةٍ ونميمةٍ أورثَت المصائب وجرَّت المآسي، وكانت عواقبُها سيِّئة وذميمة!

وما أحسنَ أن تتضافرَ الجهودُ لتقليل خطَرهما وإبعادهما عن مجتمعاتنا، وإفهام من يتعاطاهما بسيِّئ عقابهما وأليم نهايتهما!

ليس هذا من الغِيبة[١]

تحدَّثنا في كلمةٍ سابقة عن الغِيبة والنَّميمة، وبيان ما فيهما من مفاسدَ ومضارَّ، وبعض ما ورَد من النَّهي عنهما، ولكنَّ بعض الناس قد يَستشكِل ما ورَد من أحاديثَ قد اغتِيب فيها أناسٌ وذُكروا بسوء وهم غائبون، وكيف يلتئِم هذا مع ما سلَف من الأدلَّة الواردة في النَّهي عن الغِيبة عمومًا.

فقد قالت عائشةُ ﵂: استأذن رجلٌ على النبيِّ ﷺ فقال: «ائذنوا له؛ بئس أخو العشيرة!»؛ متَّفق عليه.

وعن عائشةَ أيضًا؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما أظنُّ فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئًا»؛ رواه البخاري.

وعن فاطمةَ بنت قيس ﵂؛ قالت: أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: إنَّ أبا الجَهْم ومعاويةَ خطَباني؛ فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا معاوية فصُعلوكٌ لا مالَ له، وأمَّا أبو الجَهْم فلا يضَعُ عصاه عن عاتقه».

وهذه الأحاديثُ لا تتَعارض مع ما سبَق؛ فإنَّه يجوز للحاجة غِيبةُ شخص، فإذا كان ظالمًا واشتكى المظلومُ فيجوز له أن يقول: ظلَمني فلان؛ قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، وكذلك إذا كان الغرَض من غِيبته إزالةَ المنكَر.

ومثل: جَرح الشُّهود.

(١) أُذيعت من الإذاعة السُّعودية بجُدَّة، ونُشرت ضمن كتاب "فكرة اليوم" الذي أصدرته وزارة الإعلام.

والمُجاهر بالفِسق يجوز ذِكره بما يُجاهر به من مَعاصٍ لأجل ارتِداعه، لا للانتقام والتشفِّي منه، وقد يكون ذِكر العيب في شخصٍ حكايتُه على سبيل التَّعريف به لا التنقُّص له، وهذا له نظائرُ في كتب المحدِّثين كما يقولون: حدَّثنا الأعرج والأصمُّ والأعمَش... وأشباهها.

فهذه ليست من الغِيبة المنهيِّ عنها، والله أعلم.

هل الكذب جائز في الشَّريعة؟[١]

الكذب ممقوتٌ شرعًا وعقلًا، والكذَّاب شخصٌ لا يوثَق به، ولا يركَن إليه، ولا يجد له صديقًا ولا مُحبًّا، بل هو يقابَل بالاحتقار أينما ذهب، وبالمَقت أينما حلَّ، ولا يؤتمن على شيء، ولا يُسنَد إليه أمر، وفي الحديث:

«عليكم بالصِّدق؛ فإنَّ الصِّدق يهدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنَّة، ولا يزال الرَّجل يَصدُق ويتحرَّى الصِّدق حتَّى يُكتبَ عند الله صدِّيقًا، وإيَّاكم والكذب؛ فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النَّار، ولا يزال الرَّجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتبَ عند الله كذَّابًا».

ومع هذه السيِّئات للكذب؛ فإنَّ هناك مواقفَ يجوز فيها الكذب؛ لأنَّ المصلحة المترجِّحة هنا أكبرُ من مفسَدة الكذب؛ فيجوز الكذبُ للإصلاح بين المتباغِضَين، فقد ورَد حديث أمِّ كلثوم بنت عُقبةَ بن أبي مُعَيط؛ قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذَّاب الذي يُصلِح بين الناس فيَنمي خيرًا أو يقول خيرًا»، ولم أسمعه يرخِّص في شيء ممَّا يقوله الناس إلَّا في ثلاث؛ تعني: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرَّجل امرأته، وحديث المرأة زوجَها.

ففي هذه الثَّلاثة الأشياء يجوز الكذب للمصلحة؛ في الإصلاح بين المتخاصِمَين، وإزالة البغضاء من النُّفوس؛ ليحلَّ محلَّها الوفاء والإخاء والتَّعاون على الخير.

---

(١) أُذيعت من الإذاعة السُّعودية بجُدَّة، ونُشرت ضمن كتاب "فكرة اليوم".

وفي الحرب يجوز الكذبُ لإرهاب الأعداء، وذكر الانتصارات العظيمة للمسلمين على الكافرين، وذكر هزائم الأعداء وضعفهم وعدم المبالاة بهم؛ ليفُتَّ في عضُدِهم ويشتِّت شملَهم، ويُزعزِع ثقتَهم في أنفسهم وأسلحتهم وجنودهم؛ لتكون عليهم الهزيمةُ ويكون للمسلمين النَّصر، ولعدوِّهم الاندحار والخِذلان؛ وفي الحديث: «الحرب خَدعة».

ويجوز الكذب بين الزَّوجين فيما يحبِّب أحدهما للآخر.

ومن الحالات التي يجوز فيها الكذب: إنقاذ المسلم من ظالم يريد الفَتك به أو التعدِّيَ على عِرضه أو ماله.

فهذه ممَّا ساغ الكذب فيها؛ لما فيها من مصلحةٍ تفوق المفسدةَ النَّاجمة عن الكذب، والله أعلم.

النِّياحة على الميت من عادات الجاهليَّة[(١)]

من المخالفات الذَّميمة، والعادات السيِّئة ما يفعله بعض الناس عندما يموت لهم عزيز أو قريب؛ من رفع الصَّوت بالبكاء، ولَطم الخدِّ، ونشر الشَّعر، وشقِّ الجيب، وقول: وا وَيلاه! والغلوِّ في تَعداد محاسن الميت، وهناك من تأخذ أجرًا على النِّياحة والصُّراخ، وهي (النَّائحة)، وكلُّ هذه من عادات الجاهليَّة، وهي محرَّمة شرعًا.

قال الرَّسول ﷺ: «ليس منَّا مَن لطَم الخدودَ وشقَّ الجُيوبَ ودعا بدعوى الجاهليَّة»، وعن أمِّ عطيَّة؛ قالت: «أخَذ علينا رسول الله ﷺ عند البَيعةِ ألَّا نَنوح»، وعن أبي مالكٍ الأشعريِّ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّائحة إذا لم تتُب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سِربالٌ من قَطِران ودِرعٌ من جَرَب».

وفي حديث آخر: «أربعٌ في أمَّتي من أمر الجاهليَّة لا يتركونهنَّ: الفخر بالأحساب، والطَّعن في الأنساب، والاستسقاء بالنُّجوم، والنِّياحة على الميِّت».

وقد جاء في الأحاديث أنَّ الميِّتَ يتأذَّى بما يفعله النَّائحون وأنَّه يُعذَّب بذلك.

وأمَّا الحزن على الميِّت، والبكاء في غير صُراخ أو نياحةٍ أو جزَع فلا مانعَ منه؛ إذ إنَّ هذا شيء ليس في مقدور الإنسان ولا يستطيع المرء الصَّبر

(١) أُذيعت من الإذاعة السُّعودية بجدة.

عنه، ولا يكلِّف الله نفسًا إلَّا وسعها. وقد بكى النبيُّ ﷺ مرَّة لمَّا دخل على سعد بن عُبادة وهو مريض وقد أصابته غَشْية، وبكى مَن كان مع الرسول ﷺ من أصحابه، ثم قال الرسول ﷺ: «إنَّ الله لا يعذِّب بدمع العين ولا بحُزن القلب، ولكن يعذِّب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يَرحم».

ولمَّا مات ابنُ بنت رسول الله ﷺ ذَرَفت عينا رسول الله ﷺ، ثم قال: «هذه رحمةٌ جعلَها الله في قلوب عباده، وإنَّما يرحم الله من عباده الرُّحماء».

وذرَفت عيناه لمَّا مات ابنُه إبراهيم، ثم قال: «إنَّ العين تَدمع، والقلبَ يحزن، ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربَّنا، وإنَّا لفراقك يا إبراهيمُ لمَحزونون».

الوَساطة

في الكثير من الأنظمة الوضعيَّة تعميمٌ لا بدَّ له من تخصيص، وفي بعضها ما لا يتَّفق وشريعةَ الإسلام ومبادئه، ومن واجبنا التَّدقيق فيما نستوردُه من أنظمة، وما نريد تطبيقَه من قوانينَ؛ ليتَّفق مع الشريعة الإسلاميَّة السَّمحة، ومن ذلك أنَّ كثيرًا من النُّظم إذا تحدَّثت في الوَساطة أجملَت في المنع، وعمَّمت في الحظر، وإن كان هذا غير ممكن واقعيًّا، ومع أنَّ هذا التَّعميم ليس بصحيح من الناحية الشرعيَّة، فإنَّه يسبِّب مشاكلَ ويورِث متاعب، لو سَلِم الناس من ذلك التعميم ورجَعوا إلى الأدلَّة الشرعيَّة، لوجَدوا ما فيه راحتُهم، ولأمكَن تطبيق ذلك بسهولة، ولصار من اليسير جدًّا تنفيذُ المنع فيما هو ممنوع، وما فيه مفاسدُ تضرُّ بالمجتمع والصَّالح العام.

والوساطة الممنوعة شرعًا هي في المعاوَنة على أخذ شيء لا يستحقُّه الآخِذ، أو إسقاط حدٍّ من حدود الله عن مرتكِبه أو الجاني فيه، أو أمثال هذا؛ لما في ذلك من ظلم وإضرار بالمجتمَع.

أمَّا الشَّفاعة والوساطة - مثلًا - لينالَ حقَّه، أو ليتولَّى عملًا هو به جدير، أو ليُصلِح بين متنازِعَين وأشباه ذلك، فقد دلَّت الأدلَّة على جواز هذا.

قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٥]، وعن أبي موسى الأشعريِّ؛ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أتاه طالبُ حاجةٍ أقبلَ على جُلسائه فقال: «اشفَعوا تُؤجَروا، ويَقضي الله على لسان نبيِّه ما أحبَّ».

ولما عتقَت بَريرةُ وامتنعَت من بقائها مع زوجها، قال لها النبيُّ ﷺ: «لو راجَعتِيه!»، قالت: يا رسول الله، تأمُرني؟ فقال: «إنَّما أشفع» قالت: لا حاجةَ لي فيه.

فهذا وشِبهُه من الوساطة جائز، وفيها إيصالُ خير لمستحقِّه، ومؤازرةٌ على نفع المسلمين وقضاءِ حوائجهم.

بدعة المولد[١]

تحتفل بعضُ البُلدان الإسلاميَّة بمولد النبيِّ الكريم محمَّد ﷺ، ويحسَبون هذا الاحتفالَ من علامات الطَّاعة والتعظيم للرَّسول والحبِّ له، ويغلو بعضهم في مظاهر هذه الاحتفالات، ويُسرف ويظنُّ ذلك خيرًا يعملُه، وقُربةً يفعلُها، وعبادةً يؤدِّيها، وما درى أنَّه قد ابتدع بدعةً ما أنزل الله بها من سلطان، وأنَّ تعظيم الرَّسول ﷺ ليس بالبِدَع في الدِّين، ولكن باتِّباع المشروع، وتحكيم الوحي، والاقتداء بالسَّلف الصالح، ولو كان الاحتفال بالنبيِّ ﷺ خيرًا لسبَق إليه السَّلف الذين هم أكثر الناس طاعةً للرسول، وأشدُّ حرصًا على اتِّباع المشروع، وأعظمُ محبَّةً لنبيِّ الله، مع أنَّ ذلك لو كان مشروعًا لبيَّنه الرسول ﷺ للأمَّة، فهو قد بلَّغ البلاغ المبين، ولم يتوفَّه الله حتى أكملَ به الدِّين، ويستحيل أن يكتمَ الرَّسول ﷺ شيئًا فيه للأمَّة خيرٌ في دينها، وبهذا يتَّضح جليًّا أنَّ الاحتفال بالمولد بدعة، والمحتفِل مبتدِع، وكلُّ بدعة ضلالة.

وقد أنكر علماء المسلمين هذه البِدَع، وبيَّنوا خطأ فاعلها، وذكر شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة في كتابه "اقتضاء الصِّراطِ المستقيم"[٢] من البِدَع ما يُحدِثه بعضُ الناس من اتِّخاذ مَولد النبيِّ ﷺ عيدًا، مع اختلاف النَّاس في زمَن مولدِه، وقال: فإنَّ هذا لم يفعله السَّلف مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه، ولو كان خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السَّلف ﷺ أحقَّ به منَّا؛

(١) جريدة "الدَّعوة" العدد (٧٢)، في ١٣٨٦/٦/١٧هـ.
(٢) (ص ٢٠٩).

فإنَّهم كانوا أشدَّ محبَّة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منَّا، وهم على الخير أحرص، وإنَّما كان محبَّته وتعظيمه في مُتابعته وطاعته واتِّباع أمره وإحياء سُنَّته باطنًا وظاهرًا، ونَشر ما جاء به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللِّسان؛ فإنَّ هذه هي طريقة السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، والذين اتَّبعوهم بإحسان... إلخ.

وكتب الأستاذ محمَّد الغزالي في كتابه "ليس من الإسلام" (ص**٢٠٣**) يقول: «وقد تعدَّدَت مَوالدُ الصَّالحين في طول البلاد وعرضها، وأصبحت أسواقًا مألوفة، ومواسمَ معروفة، وقيل: إنَّ أوَّل من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميُّون بالقرن الرَّابع للهجرة، ابتدعوا ستَّة موالد: المولد النبوي، ومَولد الإمام علي، ومولد السيِّدة فاطمة الزَّهراء، ومولد الحسن والحُسين، ومولد الخليفة الحاضر، وبقِيَت هذه الموالد على رُسومها إلى أن أبطلَها الأفضلُ ابن أمير الجيوش، ثمَّ أُعيدَت في خلافة الحاكم بأمر الله سنة **٥٥٤**هـ بعدما كاد النَّاس ينسونها.

وأوَّل من أحدث الاحتفالَ بميلاد النبيِّ ﷺ بمدينة (إربل) الملك المظفَّر أبو سعيد في القرن السَّابع، ثم فشَت هذه الموالدُ وكَثُر قُصَّادها، وافتنُّوا في تنميقها وإبرازها، ومَلئها بما تهوى الأنفُس، حتَّى صارت كلمة (مَولد) رمزًا على الفوضى والزِّياط[1] والمساخر، والتقرُّب إلى الله بإقامة هذه الموالد عبادة لا أصل لها».

إلى أن يقول:

«والحقُّ أنَّ الموالد من أخصب البيئات للمَناكِر الظَّاهرة والمستورة،

---

(١) الزِّياط: المُنازَعة واختلاف الأصوات.

وفي ساحاتها الواسعةِ ينتشر الرُّقَعاء دون عمل، ويختلط النِّساء بالرِّجال في المأكل والمنام، وكثيرًا ما تقع جرائم الزِّنى واللِّواط، ويُدخَّن الحشيش، وتُسمَع الأغاني والموسيقا الخليعة، وتختفي روح الجِدِّ وتقدير الأمور؛ لتحُلَّ مكانها قلَّة الاكتراث وقَبول الدَّنايا، كما تختفي النَّظافة من المساجد، وتضطرب الأوقات والجماعات، ودَعك من أنَّ الوافدين على هذه الساحات لهم عقائدُ غريبة، فربَّما ضنَّ أحدُهم على أمِّه بقروش يبَرُّها بها في الوقت الذي يبسُط يدَه بالنَّفقة هنا؛ إكرامًا لصاحب المولد الذي لا يُخيِّب قاصدًا ولا يردُّ طالبًا!

وبعض الناس يعتذر لهذه الموالد بأنَّ فيها حلَقاتٍ للذِّكر، ودرسًا للعلم، وتلاوةً للقرآن، وإطعامًا للفقراء والمساكين، ولو خلَتِ الموالدُ من الآثام التي سُقناها آنفًا لوجَب تعطيلُها؛ لمظاهر التديُّن الفاسد التي تَسودها؛ فحَلَقات الذِّكر ضرب من الهَوَس، وألوانٌ من الرَّقص الذي يسوَدُّ له وجه الدِّين، وأمَّا القرآن المتلوُّ في هذه السَّاحات فما يَنتفِع به تالٍ ولا سامع، إنَّه غناء مملولُ النَّغم، يتصنَّع له بعض السامعين شيئًا من الإقبال ريثما يُفرَغ منه.

وكذلك القول في دروس الوعظ والإرشاد التي ينظِّمها الأزهر الآن يبغي بها تعليمَ الجماهير المحتشِدة في هذه الموالد، تلك كلُّها محاولات عابثة، وإهدارٌ لقيمة الذِّكر الحكيم والحديث الشريف، ولو افترَضنا بعضَ الخير في هذه الأعمال، فإنَّها لا تُعدُّ مبرِّرًا لإقامة الموالد بعدما أوضَحنا الشُّرور التي تكتنفها، وقانون الشَّريعة في هذا أنَّ درء المفاسد مقدَّم على جَلبِ المصالح».

وقد أطال صاحبُ كتاب "السُّنن والمبتدَعات" في هذا الموضوع،

وذكَر ما يحدث فيه من المنكَرات، وكذلك صاحب كتاب "الإبداع، في مضارِّ الابتداع"، وليس هدفُنا استقصاءَ ما قاله العلماء، وإنَّما إشارة إليه، وتنبيهٌ لمن يظنُّ بدعة المولد قُربةً وطاعةً وهي من البدع المضلَّة، وتعظيم الرَّسول ﷺ وحبُّه لا يكون بالبدع، وإنَّما بإحياء سنَّته والقيام بما شرَعه الله وبلَّغه رسولُه.

من أجل الإصلاح

مبدأ من أين لك هذا؟[١]

كتَب بعض الكتَّاب في إحدى الصُّحف المحليَّة مقترحًا أن يُطبَّق مبدأ: (مِن أين لك هذا؟!) في البلاد العربيَّة؛ كوسيلةٍ من وسائل الحيلولة دونَ الأخطار الشُّيوعيَّة والمبادئ الهدَّامة التي لا تمتُّ للإسلام بصِلَة، وما دام أنَّ العلاج قريبٌ منَّا ومن صميم ديننا، فلماذا لا نبدأ بتطبيقه في هذه البلاد التي يجب أن تكون الرَّائدة؛ كجزء من واجبها تجاه دين الإسلام العظيم؟![٢]

وإنَّ هذه الفكرة الجريئة جديرةٌ بأن يُنظَر إليها بجدٍّ وعناية، وأن تُعطى من الدِّراسة والتَّنفيذ ما هي به قَمينة.

إنَّنا لا نريد أن نسيرَ على سياسة النَّعامة التي تُخفي رأسها في الرِّمال؛ حُسبانًا منها أنَّها قد اختفَت عن الصيَّاد؛ فما أسرعَ ما تسقط ضحيَّة الصيَّاد!

إنَّ إغماض العيون عن واقعنا لا يَعني إلَّا تراكم المشاكل واشتدادَ وطأتها على الأمَّة حكومةً وشعبًا، وقد يَعقبُها انفجار مدمِّر يصعُب سدُّه ويشُقُّ رَتقُه.

---

(١) نُشر في مجلَّة "الجزيرة" ونقلَته صحفية "عكاظ" العدد (٨١) في ٥/ ٧/ ١٣٨١.

(٢) ثُم صدَر مرسوم ملَكي برقم (١٦) وتاريخ ٧/ ٣/ ١٣٨٢هـ وفيه:
على مجلس الوزراء بناءً على ما تَقتضيه المصلحة العامَّة أن يُحاسب الموظَّفين عن مصادر ثرواتهم وثَروات أولادهم القُصَّر أو البالغين الذين لم يُعرَف عنهم التكسُّب وثروات زوجاتهم.
إذا عجز الموظَّف عن إثبات مصدر شرعيٍّ لما يملكه هو أو مَن ذُكروا في المادة السَّابعة؛ ما يثير الشكَّ في أنَّ اكتساب هذه الأموال كان بطريق الرِّشوة أو الهدايا أو الاستغلال للنُّفوذ الوظيفي، فإنَّ على مجلس الوزراء أن يُصادر نصفَ تلك الأموال المشكوكِ في مَصدرها وأن يحكمَ عليه بالعزل من وظيفته.

إنَّ من صميم ديننا الحنيف محاسبةَ العمَّال ومصادرةَ الأموال التي يأخذونها من طريقٍ غير مشروع، كما أنَّ من يختلسون الأموال العامَّة أو الخاصَّة، أو المتلاعبين ببيت مال المسلمين أو بأموال الأفراد منهم - قد وضَع الإسلامُ لهم عقوباتٍ لو طُبِّقت لكان للأمَّة الإسلاميَّة شأن، وأيُّ شأن!

ولستُ أعرف سببًا قويًّا يَحول دون تطبيق ذلك المبدأ الذَّكي، الذي هدفه تحقيقُ العدالة الاجتماعيَّة، ودرء المفاسد الناتجة عن الاختلاس، والاحتيال للاستيلاء على الأموال بطرُق مشبوهة، والذي يُشعر الجميع أنَّ قيمة المرء بعمله ونفعه، فلا يبقى في المجتمع عاطلون بالوراثة، يتفاقَم أمرهم، وتتضخَّم مشكلتهم كلَّ يوم نتيجة طلباتهم المتزايدة التي يُمليها الجشع والفراغ والاتِّكاليَّة، ثم فيه تقوية لسُلطة وُلاة الأمور وهيبتهم، وفيه كَسب لوُدِّ الشعب، وتقوية أواصر المودَّة بينه وبين حُكَّامه.

ثم فيه تنشيطٌ للعمل المنتج المفيد، وسعيٌ للقضاء على التبطُّل والكسل، وفيه تجنيبُ الأمَّة والبلاد من المبادئ المستورَدة، والأفكار الضارَّة، والأخطار الكثيرة.

وإنَّ من محاسن ديننا الإسلاميِّ العظيم ذلك المبدأَ الذي نُطالب بتنفيذه، مبدأ «من أين لك هذا؟».

وقد قال العلَّامة شيخ الإسلام ابن تيميَّة في كتابه "السِّياسة الشرعيَّة" (ص٢٠-٢١):

«وما أخَذ ولاة الأموال وغيرُهم من مال المسلمين بغير حقٍّ فلوليِّ الأمر العادل استخراجُه منهم؛ كالهدايا التي يأخذونها بسبب العمل، قال

أبو سعيدٍ الخدريُّ ﵁: «هدايا العمَّال غُلول»، وروى إبراهيمُ الحربيُّ في "كتاب الهدايا" عن ابن عبَّاس ﵁ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «هدايا الأمراء غُلول».

وفي "الصَّحيحين" عن أبي حُميد الساعديِّ ﵁؛ قال: استعمل النبيُّ ﷺ رجلًا من الأَزْد يُقال له: ابن اللُّتْبِيَّة على الصَّدقة، فلمَّا قَدِم قال: هذا لكُم، وهذا أُهدي إليَّ، فقال النبيُّ ﷺ: «ما بال الرَّجل نستعمله على العمل ممَّا ولَّانا الله فيقول: هذا لكم وهذا أُهدي إليَّ! فهلَّا جلس في بيت أبيه أو بيت أمِّه فينظر أيُهدى إليه أم لا! والذي نفسي بيده، لا يأخذ منه شيئًا إلَّا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرةً لها خُوار، أو شاةً تَيعَر»، ثمَّ رفع يدَيه حتى رأينا عُفْرَة إبْطَيه، وقال: «اللَّهم هل بلَّغتُ»؛ ثلاثًا.

وكذلك مُحاباة الوُلاة في المعاملة من المبايعة والمؤاجرة والمضاربة، والمساقاة والمزارعة، ونحو ذلك من نوع الهديَّة.

ولهذا شاطر عمر بن الخطَّاب ﵁ من عمَّاله مَن كان له فضل ودِين ولا يُتَّهم بخيانة، وإنَّما شاطرَهم لما كانوا خُصُّوا به لأجل الوِلاية من محاباة وغيرها، وكان الأمر يقتضي ذلك؛ لأنَّه كان إمامَ عدل يقسِم بالسويَّة.

وقد روى الإمام أحمدُ وأبو داودَ في "سُننه" عن أبي أُمامة الباهليِّ ﵁؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شفَع لأخيه شفاعةً فأُهدي له عليها هديَّة فقَبِلها، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الرِّبا».

وروى إبراهيمُ الحربيُّ عن عبد الله بن مسعودٍ ﵁؛ قال: «السُّحت أن يطلبَ الحاجة للرَّجل فيُقضى له فيُهدي إليه فيَقبلَها»، وروى أيضًا عن

مَسروق أنه كلَّم ابنَ زيادٍ في مَظلِمة، فأهدى له صاحبُها وصيفًا، فردَّه عليه وقال: سمعتُ ابن مسعود يقول: «من ردَّ عن مسلم مظلِمة فرزأه[1] عليها قليلًا أو كثيرًا فهو سُحت»، فقلت: يا أبا عبد الرَّحمن، ما كنَّا نرى السُّحت إلا الرِّشوة في الحكم! قال: «ذاك الكفر»!

فأمَّا إذا كان وليُّ الأمر يَستخرج من العمَّال ما يريد أن يختصَّ به هو وذَووه، فلا يَنبغي إعانةُ واحدٍ منهما؛ إذ كلٌّ منهما ظالم؛ كلِصٍّ سرق من لصٍّ، وكالطَّائفتين المقتتِلتَين على عصبيَّة ورئاسة، ولا يحلُّ للرَّجل أن يكون عونًا على ظلم؛ فإنَّ التعاون نوعان:

تعاون على البرِّ والتَّقوى؛ من الجهاد، وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وإعطاء المستحقِّين.

فهذا ما أمرَ الله به ورسولُه، ومن أمسك عنه خشيةَ أن يكونَ من أعوان الظَّلَمة، فقد ترَك فرضًا على الأعيان، أو على الكفاية متوهِّمًا أنَّه متورِّع، وما أكثرَ ما يَشتبه الجبنُ والفشل بالورع! إذ كلٌّ منهما كَفٌّ وإمساك.

والثَّاني: تعاوُن على الإثم والعدوان؛ كالإعانة على دم معصوم، أو أخذ مالٍ معصوم، أو ضرب من لا يستحقُّ الضَّرب ونحو ذلك.

فهذا الذي حرَّمه الله ورسولُه، نعم إذا كانت الأموال قد أُخذت بغير حقٍّ وقد تعَذَّر ردُّها إلى أصحابها، ككثير من الأموال السُّلطانية، فالإعانة على صرف هذه الأموال في مصالح المسلمين، كسداد الثُّغور، ونفقة المُقاتِلة ونحو ذلك من الإعانة على البرِّ والتقوى؛ إذِ الواجب على السُّلطان في هذه الأموال إذا لم يمكن معرفةُ أصحابها، وردُّها عليهم ولا على

(١) رزَأه عليها أي: أخَذ منه شيئًا عليها.

ورثتهم، أن يصرفَها - مع التوبة إن كان هو الظَّالم - إلى مصالح المسلمين، هذا قول جمهور العلماء؛ كمالكٍ وأبي حنيفةَ وأحمد، وهو منقولٌ عن غير واحد من الصَّحابة، وعلى ذلك دلَّت الأدلَّة الشرعيَّة بما هو منصوص في موضوع آخر، وإن كان غيره قد أخذها فعليه هو أن يفعلَ بها ذلك.

وكذلك لو امتنع السُّلطان عن ردِّها كانت الإعانة على إنفاقها في مصالح أصحابها أولى من تركها بيد من يضيِّعها على أصحابها وعلى المسلمين؛ فإنَّ مدار الشريعة على قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، المفسِّر لقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وعلى قول النبيِّ ﷺ: «إذا أمرتُكم بأمر فأتوا منه ما استَطعتم»؛ أخرجاه في الصَّحيحين... إلخ.

هكذا ينبغي أن يُستمَدَّ العلاج من الإسلام، لا من أفكار مستورَدة غريبة، لا تتَّفق ودينَنا وأوضاعَنا، ونحمَد الله أنَّ عندنا من الكنوز الثَّمينة في ديننا ما يُغنينا عن مبادئ الشُّيوعيِّين والرأسماليِّين وغيرهم.

فهيَّا لتطبيقه؛ لنرقى صعُدًا في معارج المجد، ولنلاشي الفكرة المشوَّهة التي يأخذ بها الأجانب عن المسلمين من تخلُّفهم وتبطُّلهم، ووجود فئات بينهم تلتَهم كلَّ شيء دون أن تعملَ أيَّ شيء، وقطيع من البشر يُساق بالعصا لا طوع له ولا وعيَ لديه؛ لنطبِّق مبادئ ديننا الحنيف، ولنقُل لأولئك الأجانب: إنَّنا بعكس ما زعمتم، وها هي الحقيقة تفنِّد مزاعمَكم، وهي نقيض ما توهَّمتم، فعلى رِسلكم، وانظروا جيِّدًا.

من أين لك هذا؟[1]

نشرَت بعض الصُّحف المحليَّة أنَّ الحكومة ستُصدر قرارًا بتطبيق مبدأ: من أين لك هذا؟ على موظَّفي الدولة الذين أَثرَوا ثراءً فاحشًا من طرقٍ غير مشروعة، وهذا الاتِّجاه ممَّا تُحمد عليه الحكومة، وينبغي شدُّ أزرها للوصول لهذه الغاية، وقد سبق أن كتبتُ مقالًا في مجلَّة "الجزيرة" بعنوان (مبدأ من أين لك هذا؟)، ونشرَته صحيفةُ "عكاظ" نقلًا عن المجلَّة الآنفة الذِّكر، وعدَّ بعضُ الناس ذلك المقالَ سابقًا لأوانه، بل ذهب بعضُهم إلى مدًى أكثر من ذلك، ومع هذا فإنَّ ما تناقلَته الصُّحف أخيرًا يبشِّر بأمل كبير.

إنَّ هذا العالَم المتطاحِن، والذي تَصطَرع فيه شتَّى المذاهب، ومتبايِن النِّحل، كلٌّ فريق يقدِّم ما لديه من مبادئَ ومذاهب مُوَشَّاة بألوان من الزَّخرفة والإغراء، هو عالم قلق يريد أن يحصلَ على مبادئَ ومثُل تتَّفق ومتطلَّباتِ الحياة المتطوِّرة النَّاهضة، وإنَّ ما نشاهده من صراع بين الرأسماليَّة والشُّيوعيَّة هو مَثَلٌ لتَصارع المذاهب المتناقضة، ومحاولة كلِّ مذهب السَّيطرة على المذهب الآخر واكتساحَه، ونحن مسلمون نَدين بدين الحقِّ، ولنا شريعة سمحاءُ مشرقة، نكرَه الشُّيوعية لإلحادها واستهتارها بكيان الفرد ومعنوياته.

ومع هذا فلو أنَّنا قاوَمنا الشُّيوعية بالرأسماليَّة لم نصَنع شيئًا، ولكنَّنا نقدِّم ما هو خير من الرأسماليَّة؛ إنَّه التَّشريعات والمبادئ الإسلاميَّة التي تحارب الرِّبا والغشَّ والخداع، كما تمقُت الإلحادَ والكفر، وإنَّ في دين

(١) "اليمامة" العدد (٣٣٧)، في ١٢/ ٣/ ١٣٨٢.

الإسلام وتشريعاتِه الحكيمة دُررَ الجواهر وكنوزَ المفاخر، وفيه ما يُقنِع ويُغني عن المذاهب المستحدَثة والمبادئ المستورِدَة.

وعلى علماء المسلمين أن يَفهموا الإسلام حقَّ الفهم، وأن يجهروا بالحقِّ قيامًا بالواجب، وعلى حكَّام المسلمين وذَوي السُّلطان التَّطبيق والتَّنفيذ؛ حتى نستطيعَ أن نقدِّم للعالم الدليل النَّاصع على ما لدينا من كنوز نفيسة، وتشريعات سديدة حكيمة، وأن نعرفَ تلك اللآلئ ونحترمَها.

ومن ثَم كان الاستبشار عظيمًا بتطبيق (من أين لك هذا؟)؛ لأنَّه يكون بدايةً لفَهم عميق في دراسة الإسلام، وإدراكًا للأخطار التي تهدِّد المسلمين في عقائدهم ومثُلهم، وتجد بعض الثُّغرات التي تَلِج منها، وتموِّه على ضِعاف البصائر بواقعها وأخطائها، ولا سيَّما ناحية المال وتصريفه.

والإسلام الذي جاء نورًا وهُدى، بِعَدالته وسموِّ أهدافه قد حقَّق الأمل المنشود في هذا المجال وغيره.

ففيه تنظيمٌ للأموال، ودقَّةٌ في التَّفصيل، وعدالةٌ في التوزيع ممَّا يَدحض مُفترَيات المفترين، وتخرُّصاتِ الجائرين.

وما قاعدة: من أين لك هذا؟ إلَّا إحدى المثُل، وأنموذجٌ للتَّشريعات السَّامية العادلة.

وفي قصَّة الرجل من الأَزْد وقد بعَثه الرَّسول ﷺ عاملًا على الصَّدقة، وجاء يقول: هذا لكم وهذا أُهدي إليَّ، وقولِ الرَّسول ﷺ: «هلَّا جلسَ في بيت أبيه أو في بيت أمِّه فيَنظر هل يُهدى إليه؟»، وفي مُشاطَرة عمرَ لبعض الصَّحابة أموالهم مع استقامتهم وأمانتهم - ما يُعطي الدَّليل القاطع على أنَّ تلك التشريعات الإسلاميَّة لو قُدِّمت للعالم على حقيقتها سالمةً من التَّحريف

والتأويل الجائر لقَبِلها فَرِحًا مسرورًا، ولأدرك أنَّ ما يزعُمه أعداء الإسلام عن الإسلام إنَّما هو كذب وتضليل، وأنَّ الدِّين الإسلاميَّ هو دين الحقِّ والعدل والإخاء؛ لا تلك المبادئ التي يطليها أصحابُها بكلام كاذب وزخارفَ باهتة.

إنَّنا اليوم في خِضمِّ صراع مرير في المبادئ، وعلينا أن نبرهنَ للعالم أنَّ لدينا مبادئَ هي أفضل ممَّا لديه، وأنَّها المبادئ التي تطمئنُّ إليها النَّفس، ويسكن لها الفؤاد، ويرتاح بها الضَّمير، وأنَّ العالم المتعطِّش للهدوء والاستقرار هو في مسيس الحاجة لذلك الدِّين، وتلك التشريعات، بل هي التي يجب عليه اتِّباعها، بل إنَّه الدِّين الحقُّ، ورسوله خاتم الرُّسل قد بُعث للناس أجمعين.

وبعد، فهذه خطوة طيِّبة تتلوها خطوات موفَّقة بإذن الله.

أموال الدَّولة يجب الحفاظ عليها[1]

يتصوَّر بعض الناس أنَّ أموال الدَّولة لا حرج في الحصول عليها بأيِّ وسيلة، وقد يتقدَّم بعضهم بطلبات كاذبة لينالوا شيئًا من المال، كأن يَزعموا أنَّه أصابَتهم جائحة أو خَسارة، ولم يكن حدثَ شيءٌ من ذلك! ولبعض الموظَّفين الذين يتحايَلون على تعويض عن نقل عائلته من جهةٍ نائية، ويأخذ تعويضًا عن ذلك من مال الدَّولة وهو كاذب، وربَّما بلغ التَّحايل ببعض الناس إلى أخذ الرِّشوة والسَّرقة، ولا يرى في ذلك جريمةً طالما أنَّه من مال الدَّولة.

وهذا التصوُّر الفاسد يُنتج مضارَّ كثيرة، ومفاسدَ مستطيرة، وهو يَنخَر في جسم الدَّولة كما ينخَر السُّوس في الخشَب... ويَهدِم الكيان ويقلب المقاييس.

والموظَّف الذي يُساعد على هذه الأشياء هو مسيء، وأداةُ هدم في بناء الأمَّة ورقيِّها.

فمال الدَّولة هو ملك لكلِّ الأفراد من الأمَّة، وما الموظَّف فيه إلَّا واسطةٌ لإيصال الحقوق إلى أهلها، مهما علا مركزه وارتفعت مرتبته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة في كتابه "السِّياسة الشرعيَّة": «وليس لِوُلاة الأمور الأموالُ أن يَقسِموها بحسَب أهوائهم، كما يَقسِم المالكُ مُلكَه؛ فإنَّما هم نُوَّاب ووُكلاء ليسوا مُلَّاكًا؛ قال النبيُّ ﷺ: «إنِّي والله

(١) "اليمامة" العدد (٤١٣)، في ١٤/ ٤/ ١٣٨٣.

لا أُعطي أحَدًا ولا أمنع أحدًا، وإنَّما أنا قاسمٌ أضَع حيثُ أُمِرت»؛ رواه البخاريُّ عن أبي هريرة ﵁.

فهذا رسول ربِّ العالمين قد أخبر أنَّه ليس المنعُ والعطاء بإرادته واختياره، كما يَفعل في ماله.

ذلك المال الذي أُبيح له التصرُّف فيه، وإنَّما هو عبد الله يَقسم المالَ بأمره فيَضعُه حيث أمَره الله تعالى، وهكذا قال رجلٌ لعمرَ بن الخطَّاب: يا أمير المؤمنين، لو وسَّعتَ على نفسِك في النَّفقة من مال الله تعالى، فقال له عُمر: «أتدري ما مثَلي ومثَل هؤلاء؟ كمَثَل قوم كانوا في سفَر فجمَعوا منهم مالًا فسلَّموه إلى واحدٍ يُنفقه عليهم، فهل يحلُّ لذلك الرجل أن يستأثرَ عنهم من أموالهم؟!».

وحُمل مرَّة إلى عمر بن الخطَّاب ﵁ مالٌ عظيم من الخُمس، فقال: «إنَّ قومًا أدَّوا الأمانة في هذا لأُمناء»، فقال له بعض الحاضرين: إنَّك أدَّيت الأمانة إلى الله تعالى فأدَّوا إليك الأمانة، ولو رتَعتَ رتَعوا.

فهل يَفهم أولئك المُتجنُّون على الحقيقة: أنَّ أموال الدَّولة أمانةٌ يجب أداؤها على الوجه الصَّحيح، وأنَّها ليست غنيمةً ينهَبها من يقدر على النَّهب، ويتحايل في الاستيلاء عليها بشتَّى الطُّرق والوسائل، ويُبعثرها حسَب هواه ومزاجه؟!

إنَّها أمانة فمن فرَّط فيها فهو مقصِّر، ومن بدَّدها فهو آثم، ومن نهَبها فهو خائن يستحقُّ العقاب الرَّادع، والجزاء الصَّارم.

إنَّنا نأمُل أن يَرعَويَ أولئك الذين يحسَبون أموال الدَّولة مباحةً

للمختَلِسين والخائنين، وأنَّ من وقعت في يده فهي مِلكُه يتصرَّف فيها بلا حساب.

وإذا لم يرتَدِعوا فسوف يأتيهم العقاب عاجلًا أو آجلًا، وسوف لا يُعذَرون في خيانتهم، وسرقاتهم وحِيَلهم المموَّهة، فهل يعتبرون قبل أن يُفلِت الزِّمام؟! ولاتَ ساعةَ مَندَم! لعلَّ وعسى!

بيوت الأقارب وأموال الدَّولة[1]

في عدد فائتٍ تكلَّمتُ عن وجوب الحفاظ على أموال الدَّولة، والموضوع متشعِّب الأنواع والأشكال، متفرِّع الغصون والعروق.

وهناك ظاهرةٌ تستوجب العنايةَ؛ للوقاية من امتدادها وعدواها، وقد انتشرَت بشكل يدعو للمبادرة إلى وقف ضرَرها وسرَيان خطَرها، وهذه الظَّاهرة هي أنَّ بعض المسؤولين يستأجرون دورًا لأقاربهم بأجور باهظة على حساب ميزانيَّة الدَّولة، ويكون الدَّافع لذلك في الدَّرجة الأولى محاباة ٣٠٪، ومن الطَّريف أنَّ بعض هؤلاء يحاول الإيهام والتَّضليل؛ لإخفاء اسم قريبه، بحيث يَنطلي على مَن يخشى اعتراضَهم على ذلك التصرُّف عندما يعلمون بالحقيقة!

وغنيٌّ عن القول أنَّ هذا عبثٌ بأموال الدَّولة، وخيانةٌ للأمَّة، وتبذير لثروة الشَّعب.

ولسنا ندري عن موقف ديوان المراقبة حيالَ هذه المسائل، وهل سُكوته راجعٌ إلى عدم علمه بذلك؟ أو إيثارٌ للسَّلامة؟! أو عملٌ بالكلمة المأثورة: «إذا كان الكلام من فضَّة فالسُّكوت من ذهب»؟!

إنَّنا نعلم أنَّ ديوان المراقبة العامَّة يعترض أحيانًا على غلطة في قروش أو هَلَل، وتأخذ المعاملات دوراتها الرُّوتينيَّة، وقد تُكلِّف الدَّولةَ كثيرًا من المال والجهد، فلماذا لا يعترض على استئجار بيوت الأقارب والشُّركاء؟!

(١) "اليمامة" العدد (٤١٨)، في ١/ ٥/ ١٣٨٣.

ولماذا لم يكن لديه الوسائل الكفيلة بمعرفته لهذه الأوضاع؟ ولماذا لا يُعلن رفضَه لأمثال هذه الحالات التي تنِمُّ عن استهتار بالوظيفة، واستهانةٍ بالأمانة، وعدم تقدير للمسؤوليَّة؟!

وليست هذه الأوضاع خفيَّة، بل هي مدار حديث كثير وتعليقاتٍ وهمَسات؛ «وما يومُ حَليمة بسِرٍّ».

إنَّ الصِّحافة مرآةُ الشَّعب، تُبرز هذا الموضوع قيامًا بواجبها، ونوَدُّ أن نرى عملًا حازمًا من لدُن المسؤولين في الدَّولة، ولا سيَّما ديوان المراقبة العامَّة وما يتَّخذ من إجراءات في هذا الصَّدد، والمواطنون يترقَّبون أن يؤدِّيَ هذا الدِّيوانُ ما أُوكل إليه بهمَّة وإخلاص، وإن لم يفعل فسيكون متقاعسًا عن واجبه، وسيَفقد الثِّقة التي لا نشكُّ أنَّ المسؤولين في الدِّيوان يحرصون على نَيلها.

إنَّ أموال الدَّولة ليست مِلكًا لأولئك الذين يريدون توزيعَها على أقاربهم بطرق مُلتوية! وأساليبَ مكشوفة! حتَّى وإن تستَّروا بشتَّى الستائر واندسُّوا في الرِّمال، فقد وَضَح النَّهار، وبقي أن يعملَ المسؤولون المخلِصون لإيقاف هذه البادرة قبل تَفاقُم أمرها، وقبل ألَّا ينفعَ فيها العلاج، وإنَّا لمنتظرون.

أعيدوا النَّظر[١]

تطوَّرت البلاد، وقفَزت في عدَّة مجالات، ودبَّ الوعيُ إلى الأصقاع النائية والمجهولة، ومع ذلك فإنَّ رواسبَ عميقةَ الجذور ما فَتِئت تقفُ حاجزًا، كالأسلاك الشَّائكة، وتسبِّب قلاقلَ وأخطارًا جسيمة مع أنَّها لا تتَّفق والدِّينَ والحكمة، ومن الواجب إعادة النَّظر في إصلاح تلك الأخطاء التي تعوق التقدُّم المثمر، وغربلتُها لِيُعاد إلى جادَّة الصَّواب ما ندَّ منها حتى تسير القافلة برصانةٍ وهدوء.

وهذه قاعدةٌ إجماليَّة.

ونحاول الآن أن نتحدَّثَ عن موضوع حسَّاس؛ هو ما يُسمَّى بالمقرَّرات والمخصَّصات والعوائد و(الشَّرهات) وأشباهها.

وهذه إن كانت صالحةً فيما مضى من الزَّمن، فإنَّه يجب إعادة النَّظر فيها حاليًّا لترتكز على أسُس سليمة، بعيدةٍ عن الارتجال والإسراف والأهواء، وعمل الدَّولة إزاء الضَّمان الاجتماعي يحفِّزنا إلى القول: إنَّه يجب إعادة النَّظر حيالَ هذه الأشياء.

وأن تُعطى حسَب الحاجة والعَوَز، وأن تُضافَ إلى مصلحة الضَّمان الاجتماعيِّ لتُعطى الفقراءَ وذوي الحاجة، دون الأغنياء ومن لهم مَواردُ تَكفيهم، ومن يَستطيعون العمل من التَّنابلة، والعاطلين بالوراثة، والكُسالى.

إنَّ الإسلام دين الحقِّ والعدالة - والذي يَفخَر أبناءُ هذه البلاد حكومةً

(١) "اليمامة" العدد (٣٦٧)، في ١٩/ ١٠/ ١٣٨٢.

وشعبًا أنَّهم من أنصاره وجُنده - قد أمر بتوزيع الأموال توزيعًا صحيحًا، وأن يكونَ سببًا لرفع مستوى الفقراء وسدِّ ديون المَدِينين، وأن يكونَ سلَّمًا لتحقيق الرَّفاهية والرَّخاء للجميع.

ولهذا نهى عن كَنز الأموال والشُّح، وحذَّر من الإسراف والتفاخر بالأموال والتطاول على الناس بسببها.

ودعا الإسلامُ إلى حفظ أموال المسلمين، وأن يُتصرَّفَ فيها بحكمةٍ وعدل.

وإنَّه في هذا الوقت الذي تَصطرع فيه الآراء والمذاهب المتنوِّعة، جديرٌ بنا أن نُثبتَ للعالم أجمعَ أنَّ الإسلام جاء بالخير والرَّفاهية، وإنصاف الفقير دون إضرار بالآخرين أو اعتداءٍ عليهم، وأنَّه هو الذي يحقِّق الطُّمأنينة للإنسانيَّة؛ لا تلك المذاهب المستورَدة، والمبادئ الهدَّامة التي يتشدَّق بها بعض المخدوعين، والتي تقوم على الدِّماء والفتن والعدوان.

ومن ثَم فإنَّ الواجب إثباتُ ذلك عمليًّا في كلِّ مجال، ولا سيَّما في الأموال، حيث يفهم بعضٌ خطأً أنَّ الأخطاء التي قد تقع في هذه النَّاحية يقرُّها الإسلام ويوافق عليها، وقد يدفعه هذا الوهم إلى الارتماء في أحضان الشُّيوعيَّة والمبادئ الهدَّامة.

إنَّ العناية بالفقراء والمُعوِزين قد بدا جليًّا في البيانات الحكوميَّة، وإنشاء مصلحة الضَّمان الاجتماعي، وهذه مساعٍ حميدةٌ إذا ما انضمَّ إليها عملٌ حازم إزاءَ أموال الدَّولة - أو ما كان يسمَّى ببيت المال - لتحقيق العدل والرَّفاهية، وكذا إذا تعاون الأثرياء والتُّجار مع الدَّولة في هذا السَّبيل، فإنَّ النتائج الحسنة ستكون حليفةَ هذه المساعي بإذن الله، وسوف

تخرس ألسنة طالما ردَّدت الاتِّهامات، وادَّعت الأباطيل، وتشبَّثت بأخطاء تضيف إليها ألوانًا من الكذب وكثيرًا من الخداع!

وما أولى الحكومةَ والشَّعب أن يعملوا جميعًا لدفع الباطل، وتحقيق العدل، والعمل الإيجابيِّ السَّريع في المشروعات النافعة والمقاصد النبيلة، وأن يشعروا بالعبء الجسيم والمسؤوليَّة الخطيرة في هذا الشأن، وفي المثل: «صَديقك من صدَقَك - بالتَّخفيف - لا مَن صدَّقك»، والله الموفِّق.

في شؤون الوظائف[1]

أشياء كثيرة تدور حول الوظائف، ورغم النُّظم والاشتراطات والشَّهادات وإجراء المسابقات، فإنَّ هناك أقوالًا طويلة ولغَطًا متشعِّبًا، وقد لا يتعجَّل المرء في التَّصديق بكلِّ ما يُقال، وما يتردَّد على الألسُن، ولكنَّه أحيانًا يصطدم بأشياءَ يقف مبهوتًا أمامَها، ويعجِز عن حملها على حُسن النِّية وإخلاص الطويَّة.

ومثلًا لذلك: المصالح والدوائر ما إن يتعيَّن لها رئيس أو مدير جديد حتَّى تبرُز الوجوه الكثيرة في الوظائف من أبناء قرية المدير أو الرئيس أو مدينته، وبسرعة فائقة تمتلئ الدَّائرة أو المصلحة من أهل تلك المدينة أو القرية بالذات، وتُجرى المسابقات وتُعقَد الامتحانات، ويُعلَن عن الوظائف الشاغرة، ويتقدَّم ذَوو المؤهِّلات وفيهم الأقوياء والأكفاء وأهل الجَدارة، وتخرج النَّتيجة فإذا بالوجوه تشير إليها السِّهام أنَّها من النَّمط نفسِه!

ويتعجَّب المطَّلِعون، ويحزن المتأهِّلون الذين يعودون بخفَّي حُنين، ويتساءل الناس: ما الخبَر؟ ما الحدَث؟ هل هي عنصريَّة على أضيق نطاق وأسخَفِه؟ هل هي لجوءٌ إلى انطوائيَّة منعزلة، وعصبيَّة مَقيتة؟

إنَّني لا أعرف التفاصيل التي من أجلها نجح أولئك دون هؤلاء في مسابقة الوظائف، ولكنَّ علامات التعجُّب لا تفتأ تبرز أمام الناظرين؛ لتدلَّ على السرِّ الذي لم يعُد خفيًّا.

---

(١) "اليمامة" العدد (٤٢٤)، في ٢٢/ ٥/ ١٣٨٣.

وعندما نتطرَّق لمِثل هذا الموضوع فإنَّما لنُجابِهَ الحقائق، ولا نتوارى عنها، ولنسعى لإيجاد الحلول لها ما دامت صغيرة قبل أن تَكبُر وتتعقَّد ويستعصي علاجها.

إنَّني أرجو أن تَنال هذه الملاحظةُ عنايةَ المسؤولين، وأن يضَعوا حدًّا لأمثال هذه الأوضاع السيِّئة، وما أحسب إدراك هذه الحقيقة يَصعب كثيرًا.

إنَّنا في بلاد قريبة من الفِطرة، ودينُها أسمَحُ دين وأعدلُه وأسماه، دينٌ لا يقرُّ الظُّلم، ولا يَجحد المواهب، ولا يَستوي لديه المُحسِن وضدُّه، والعاملُ وعكسُه، والكُفء ونقيضُه، وهو الدِّين الذي يجب تحكيمُه في كلِّ شيء؛ «لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ إلَّا بالتَّقوى»، «من ولَّى على المسلمين امرَأً وهو يرى في المسلمين مَن هو خيرٌ منه فقد خان الله ورسولَه».

وبمِثل هذه المبادئ السَّليمة والطُّرق القويمة تستقيم الأحوال، ويطمئنُّ الناس، وتسير الأمور سيرًا معتدِلًا.

صور من استغلال النُّفوذ[1]

قال لي: كتبتَ عن أموال الدَّولة التي يبذِّرها البعضُ في سبيل أغراضه الخاصَّة، وتتحمَّل خزينة الدَّولة غُرمها، وعدَّدتَّ بعض الأمثلة.

ولكن هناك أشياء كثيرةٌ لا تزال في حاجةٍ إلى تشخيص ومعالجة؛ من استغلال النُّفوذ، والتَّلاعب بأموال الدَّولة من بعض لا يقدِّرون المسؤوليَّة ولا يهمُّهم الواجب.

فمثلًا بعض ذَوي النُّفوذ يستخدمون أشخاصًا من موظَّفي الدَّولة الصِّغار من الفرَّاشين والسَّائقين وأمثالهم في أغراضه الشخصيَّة.

وقد تمرُّ ببيت أحد الموظَّفين الكبار، فتجد لديه حشدًا من الخدم والحَشَم، وتستغرب من هذه الأبَّهة والمظهر غير الطَّبيعي، وترتَسِم علامات استفهام، وتكمُن الحقيقة في أنَّ هؤلاء الخدم ما هم إلَّا موظَّفون في الدَّولة، يتقاضَون مرتَّباتهم من ميزانيَّة الدائرة أو المصلحة على أنَّهم موظَّفون بها، ويعملون فيها.

وقد يكون الواحد من هؤلاء لا يعرف الدَّائرة أو المصلحة إلَّا عند التَّوقيع على المسيَّرات وقَبض الدَّراهم، ولسنا نريد حِرمان هؤلاء الموظَّفين الصِّغار من مرتَّباتهم، ولكنَّا لا نُريد أن يُساء إليهم بمثل هذه الحماقات.

وهذا مثَل صارخ لاستغلال النُّفوذ؛ لا ندري كيف يطول السُّكوت عنه إلى هذا الحد؟

---

(١) "اليمامة" العدد (٤٢٨)، في ٦/ ٦/ ١٣٨٢.

ومع ما في هذا العمل من الكذب والخداع، والقُدوة السيِّئة لنشر هذه المثالب، فإنَّ فيه إجحافًا بالمصلحة العامَّة، وتحايُلًا على تبذير أموال الدَّولة في غير ما يجب صرفُ هذه الأموال فيه، وينضمُّ لذلك تضرُّر الدائرة والمصلحة في هذه التصرُّفات، وشلُّ الأعمال الرَّسمية وتعطيلُها؛ نتيجة النَّقص في أولئك الموظَّفين الصِّغار، الذين أراد ذلك الموظف الكبير ضمَّهم لحاشيته؛ لإشباع غُروره واستغلال نفوذه.

ولا ندري بالضَّبط ما رأي المسؤولين في ديوان المراقبة وأشباهه في هذه الظَّواهر؟! وما موقفُهم منها؟! كما لا نعلم برأيهم في سوالفها!

إلَّا أنَّا نحسب أنَّ إجراءاتٍ ستُتَّخَذ لوقف أمثال هذه التصرُّفات الهوجاء، وإنَّا لمنتظِرون.

سيَّارات الدَّولة[1]

وسيَّارات الدَّولة التي أقصدها هي تلك التي تُشترى لمصلحة الوزارة أو الدائرة أو الهيئة، وما شابهها من الدَّوائر الحكوميَّة، ولأجل أن تُستعملَ في أغراضٍ تعود بالنَّفع لتلك الجهات، وقد يَستخدمها الموظَّف من أجل المصلحة العامَّة المتعلِّقة بعمله الرَّسمي، في حدودٍ معلومة، وإلى هنا والأمر معقولٌ ولا غرابةَ فيه.

ولكنَّ الذي هو غير طبيعيٍّ ولا معقول أن يتصرَّفَ بها بعض الموظفين وكأنَّها مِلكه الخاصُّ، ويستعملها في مصالحه الشخصيَّة، ويُسافر فيها بعضهم - مئات الأميال - في زيارته أو نزهته، ونقل عائلته وأصدقائه، ولا يرى في ذلك أيَّ غضاضة أو حرج، هذا في نفس الوقت الذي يتقاضى فيه بدل تنقُّل من ميزانيَّة الدَّولة، ثم لا يترك سيَّارات الدَّولة، بل يستخدمها في أغراضه الخاصَّة، ويُسرِف في ذلك بلا مبالاة ولا رفق!

إنَّ الدَّولة تنفق الكثير، وفي كلِّ وزارة ودائرة ميزانيَّة خاصَّة لشراء السيَّارات، والدَّولة عندما تبذل هذا البذل فليس لكي ينتفع بها بعضُ أشخاص، ويسيئون التصرُّف، ويعكسون القصد من شرائها، ويُهدرون المصلحة العامَّة في سبيل المصلحة الخاصَّة.

والدَّولة التي تريد سدَّ المنافذ على العابثين، وتسعى لتصحيح المفاهيم المقلوبة، وتكافح الرِّشوة واستغلالَ النُّفوذ وأمثالَها من وسائل التخريب للمجتمع الذي تَنخَر فيه كما ينخَر السُّوس في الخشب؛ لتُقوِّض دعائمه

(١) "اليمامة" العدد (٤٢٣)، في ١٩/ ٥/ ١٣٨٣.

وتمزِّقه أشلاء - هذه الدَّولة ؛ يمثِّلها ديوان المراقبة العامَّة وغيره من الجهات المعنيَّة، جديرٌ بها أن تُولِيَ هذه النَّاحية عنايتها، وأن تضربَ بشدَّة على أولئك المستغلِّين لنفوذهم والمسيئين للتصرُّف في أموال الدَّولة وإيقافهم عند حدِّهم؛ حتى يكونَ للعدالة حرمتُها، وللأمانة وزنُها، وحتى يدركَ أولئك خطأهم ويحذر غيرُهم السَّير على طريقتهم؛ وبذلك تؤدَّى الأمانةُ في هذه النَّاحية، ويُحفظ مالُ الدَّولة من عبث العابثين، ويفهم الآخرون أنَّ أموال الدَّولة لها حمايتها وصيانتها، فليست مجالًا رحبًا، ومركبًا سهلًا لكلِّ من يستهتر بالمسؤوليَّة ويتلاعَب بأموال الأمَّة ومقدَّراتها.

إنَّ موضوع السيَّارات هذا قد كثُر الحديث عنه، وطالما انتظر الناس هبَّة ويقظة من ديوان المراقبة العامَّة وأشباهه من الأجهزة المعنيَّة، ولكنَّ الانتظار طال، ولم يرَوا له وجودًا، فهل يا ترى ستَبرُز أعمال حاسمة تحقِّق الأمل الذي أوشك اليأس أن يلقيَه في عالم النِّسيان؟!

بدل نقل لصغار الموظَّفين[1]

في كلمتي السَّابقة تحدَّثت عن سيَّارات الدَّولة وتصرُّف بعض الموظَّفين حيالَها، واليوم نتحدَّث عن موضوع يعتبر مكمِّلًا للأوَّل، وهو الموظَّفون دون المرتبة الخامسة وكيف أنَّهم لا يأخذون بدل تنقُّل بينما يأخذ موظَّفو المرتبة الخامسة فما فوق، وهذا الوضع نتجَ عنه شيئان مضرَّان:

أوَّلهما: إحداث فوارقَ وحزازات كان من الممكن تجنُّبها بالتسوية في إعطاء الجميع بدلَ تنقُّل.

ثانيهما: أنَّ بعض الموظَّفين استغلَّ هذه الناحية استغلالًا غير حميد، فكثير من السيَّارات التي تُشترى باسم صغار الموظَّفين لا يستفيد منها هؤلاء الصِّغار، وإنَّما يتصرَّف فيها بعض الكبار وكأنَّها مِلكه الخاص، وتَدفع الدَّولة راتب السَّائق وثمن المحروقات، والإصلاحات وقطع الغيار، وتكون فائدتها لذلك الموظَّف الذي يأخذ بدل نقل إضافةً لذلك كلِّه وغيره. وقد لا ينتفع منهما صغار الموظَّفين إطلاقًا، وإن انتفعوا فنَزر قليل وما حالهم معها إلَّا كحال ذلك الخليفة العبَّاسي الذي تُؤخذ باسمه الدُّنيا جميعًا «وما مِن ذاك شيءٌ في يديه»!

إنَّ العدالة تقتضي أن يُعطى صغار الموظَّفين بدل تنقُّل أسوةً بكبار الموظَّفين، ومع ما في هذا من عدالة ظاهرة، وإشعار الموظفين الصِّغار بأهمِّيتهم والحرص على مصلحتهم، فإنَّ فيه كذلك توفيرًا عظيمًا لأموال الدَّولة التي يذهب جزء كبير منها في شراء السيَّارات، وباسم من لا يناله

(١) "اليمامة" العدد (٤٢٥)، في ٢٦/ ٥/ ١٣٨٣.

منها إلَّا الرذاذ النَّزر.

والموظَّف الصغير أحقُّ من الكبير في إعطائه بدلَ نقل، وهو أكثر حاجةً وأولى برفع مستواه المعيشي.

وإنِّي أقترح أن يعطى موظَّف المرتبة السَّادسة مئة وخمسين ريالًا بدل تنقُّل، ويكون أقلَّ ما يعطى لموظَّف هو سبعون ريالًا، وأحسب أنَّ هذا لو تحقَّق سيكون فيه فائدة كبرى، وتقدير عادل فيه المصلحة والشُّعور بالعناية، ولا شكَّ أنَّ الموظَّف عندما يرى الاهتمام به، والحرص على مصلحته من قِبل الدَّولة ومساواته بزملائه، فسيبذل الجهد لأداء عمله على الوجه المطلوب، وسيقدِّم إخلاصه وطاقاته راضيًا مرتاح القلب مطمئنَّ الضمير، وحريٌّ به عند ذلك أن يُخرج عملًا مثمِرًا بعيدًا عن القلق والشُّعور بالضَّياع والإهمال.

إنَّنا واثقون أنَّ الحكومة سوف لا تدَّخر وسعًا في إنصاف صغار الموظَّفين وإعطائهم ما هم به جديرون!

حاجتنا إلى الإخلاص[١]

إذا كانت البُلدان - مهما تطوَّرت صناعيًّا وزراعيًّا وثقافيًّا - محتاجةً إلى علم الآخرين وخبرتهم، وبلادنا في حاجة إلى خبرة الخُبراء وعلم العلماء، ولكنَّها في حاجة قصوى هي أكثر بكثير، من ذلك أنَّها في حاجة إلى الإخلاص الذي يدفع المرء دفعًا إلى تقدير المسؤوليَّة، والأمانة في العمل، والإدراك للمصلحة العامَّة إدارِكًا لا يقف عند حد، ومن ينظر إلى كثير من الثُّغرات والفَجَوات يجد أنَّها في أكثر حالاتها ترجع في الدرجة الأولى إلى فِقدان الإخلاص، لا إلى عدم الخبرة.

فهناك من ينظر للوظيفة على أنَّها سُلَّم مُريح لنَيل الثروة وتكديس الأموال، والظهور بمظهر الفخامة الزائفة! ولو أضاع من أجل ذلك الحقوقَ وخان الأمانة، وهناك من يرى في قُربه من كبار المسؤولين وسيلةً لتحقيق أغراضه الشخصيَّة، ضاربًا عُرض الحائط بالمصالح العامَّة، ومهدرًا الحقوق، وهناك من لا يعرف سبيل التَّعاون لهوًى في نفسه؛ فتضيع بذلك شؤون وأمور بسبب أغراض شخصيَّة أو حزازات نفسيَّة، ويتحمَّل وِزر غلطته وحماقته البائسون.

إنَّنا نرفع الصَّوت عاليًا: نريد إخلاصًا، نريد تعاونًا.

نريد أن يدركَ الطَّبيب أنَّ عليه مسؤوليَّةً جسيمة تجاه صحَّة المواطنين والعناية بهم والحنوِّ عليهم.

---

(١) "اليمامة" العدد (٣٤٧)، في ٢٢/ ٥/ ١٣٨٢.

نريد أن يدرك العالم أنَّ عليه واجبًا ضخمًا في إبراز علمه ونشره؛ لينتفع به النَّاس.

نريد أن يدركَ الموظَّف في الزِّراعة أنَّ عليه عبئًا في تقوية الزِّراعة وتنشيطها، ومحاولة الاكتفاء الذاتيِّ والتصدير أيضًا.

نريد أن يفهمَ الموظَّف بوزارة الماليَّة - أيُّ موظَّف - أنَّ من واجبه حفظَ أموال الشَّعب عن العبث، وصيانتها عن الاختلاس، وضبطها عن البعثرة في الهواء.

نريد أن يفهم الجنديُّ أنَّ عليه حمايةَ البلاد من الطَّامعين والأعداء ومثيري الفِتَن، ومن يريدون لبلاده الشرَّ والدسائس والقلاقل؛ حريصًا على قوَّة الجيش وسلاحه وذخيرته.

نريد أن نتخلَّص من الغشِّ والحسد والمكائد.

نريد أن يتطوَّر الفهم إلى نبذ الغطرسة والكبرياء والأحقاد، والعمل بجدٍّ وحزم وأمانةٍ وإخلاص لرفع مستوى البلاد، والنُّهوض بها دينيًّا واقتصاديًّا وصناعيًّا وثقافيًّا، نريد أن يعمَّ الصَّفاء والأُلفة، وأن نعمل متكاتفين لخير أمَّتنا وبلادنا، متَّبعين في ذلك قول الرَّسول ﷺ: «المسلم أخو المسلم؛ لا يَظلمه ولا يَخذُله ولا يَكذِبه ولا يحقِره...».

وقوله: «المؤمنُ للمؤمن كالبُنيان يشدُّ بعضُه بعضًا».

مسألة فيها نظر[1]

الخبَر الذي روَته بعض الصُّحف منسوبًا لوزير الأوقاف بالإقليم الجنوبيِّ من الجمهورية العربيَّة المتَّحدة، من أنَّ وزارته قرَّرت بناء خمسة آلاف مسكنٍ بمكَّة؛ لينزل بها حجَّاج الجمهورية العربيَّة المتَّحدة.

هذا هو الخبر، وهو خبر ليس بسيطًا أو عاديًّا بحيث تمرُّ به الصِّحافة مرور الكرام دون آراء وتعليقات، تكشف عمَّا يَعنيه ذلك الإجراء وما يمكن أن يَنتج عنه، ولكن - مع الأسف البالغ - فقد كانت الحال هو الصَّمت تقريبًا من مرآة الشَّعب، التي تنظر إليها الأمَّة على أنَّها الرائد والموجِّه، والمنبِّه لما يُتوقَّع حدوثُه.

ولا أرى حرَجًا أن أقولَ بحزن: إنَّ هذه الحادثة جاءت كدليل ساطع على تأخُّر الصِّحافة في بلادنا، وأنَّها حتى بعد أن خطَت بعض الخطوات لا تزال في أول السُّلَّم وفي الدرجات الدُّنيا منه.

ولأترك هذه الملاحظةَ كي أدخلَ في صميم الموضوع وأقول: إنَّ هذا الخبَر كان مفاجأة؛ فإنَّ بناء خمسة آلاف مسكن في مكَّة لحكومة غير حكومة البلاد أيًّا كان نوعها وصِلتُها بحكومة البلاد - أمرٌ مثيرٌ للتساؤل والدهشة، ومع أنَّ مناقشة هذا الموضوع من ناحية النُّظم الدوليَّة والعَلاقات الحكوميَّة ينبغي أن يُبديَ فيها المتخصِّصون في هذا الشَّأن، فإنَّ استثمار رؤوس الأموال في البلاد الأجنبيَّة جارٍ ومعروف، وإن كان خاضعًا لأنظمة البلاد المستثمَر فيها، وشروط وحدود وموافقة الحكومة في البلاد المستثمَر

(١) "القصيم" العدد (٢٩)، في ٤/ ١/ ١٣٨٠.

فيها، وهي لا توافق إلَّا على ما ترى فيه مصلحة شعبها أولًا، واحتياجه لمثل ذلك الاستثمار الأجنبي.

هذا شيء مفهوم إلَّا أنَّه أيضًا يكون باسم أفراد يَخضعون لأنظمة تلك البلاد؛ ولا يكون باسم حكومة أجنبيَّة إلَّا في حدود ضيِّقة كالسِّفارات ونحوها، وربَّما كتب مَن يوضِّح الأمر ويجلو غامضه، ولكن الغرابة والتعجُّب ما فَتِئا متمثِّلَين أمامَنا.

فنحن إذا نظرنا إلى هذا المشروع من الناحية الاقتصاديَّة - وهو الذَّريعة التي تذرَّعت بها الدَّولة الأخرى - فهو في مصلحة تلك البلاد ولا شكَّ، ولكنَّه ليس في مصلحة شعب المملكة وحكومتها قطعًا؛ فهو سيُفقد الشعب جزءًا من ثروته يجب أن تكونَ له وحدَه.

ومن المستغرَب أن تذهبَ ثروات بلادنا لِتُشاد بها العمارات، وتقام بها القصور في الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة وفي البلاد العربيَّة والأوروبيَّة!

وما حكاية ذلك الثريِّ الذي بلغ حديثُه وتصرُّفاتُه جميعَ المثقَّفين في هذه البلاد! والذي ذهبَ بملايينه ليشتريَ جبل المقطَّم وليعمُر الصَّحاري البُور، وهي الملايين التي هرِّبت من هذه البلاد على يد أحد أبنائها! ثم لا يكون بعد ذلك غريبًا أن يأتيَ غيرنا ليعمُرَ بلادنا، وباسم مَن؟ باسم حكومةٍ ودولة لا باسم فرد أو أفراد!

ثم من جهة أخرى ماذا سيكون موقفنا من الدُّول الأخرى الإسلاميَّة وغير الإسلاميَّة وممَّن فيها أقلِّيات إسلاميَّة عندما تَطلب نفس الطَّلب؟ هل يُقبل طلبُها أو يُرفض؟ وأظنُّ الرَّفض سيكون غير معقول؛ لأنَّه - والحالةُ هذه - سيكون بنفس الأسباب والمبرِّرات، فالمنع تفريق بلا سببٍ ظاهر،

ولا حجَّة مقنعة، وقد يثير سخط دول عديدةٍ، ما كان أغنانا عن إسخاطها!

أمَّا إذا كان الأمر بالعكس - أي بالموافقة على طلبها ببناء دُور لحجَّاجها - فإنَّ شيئًا مضحكًا سيقع؛ إنَّ مكَّة ستكون حينئذ (هيئة الأمم) وسيَنجُم عن ذلك مشاكلُ وخيمةُ العاقبة، فمَثلًا بعد ذَهاب الحجَّاج وانقضاء موسم الحجِّ ماذا سيكون مصير تلك المساكن؟ وإذا أراد بعض الحجَّاج من تلك الدُّول التخلُّف بحجَّة أنَّه مقيم في بيته فهل سيُقبل منه ذلك العذر أم يُلزم بالرَّحيل ويُقفل بيته؟

وإذا أرادت الدَّولة صاحبة المشروع تأجير بيوتها المؤمَّلة على حجَّاج من دول أخرى فهل يُسمح لهم بذلك ولو أضرَّ بمصلحة أهل البلاد؟!

ثم إنَّ هناك أشياءَ وأشياءَ تَكمُن وراء هذا المشروع مهما كان فيه من اشتراطات وقيودات الآن، وليس هو بالشَّيء الهيِّن الذي لا يَعني غير حكومةٍ وحكومة - مثلًا - وإنَّما هو شيء يعني التأثير على مستقبل البلاد، وفيه مشاكلُ ليس من السهل التكهُّن بنتائجها، وأقلُّ ما يوصَف به الإقدام على مثل ذلك الشَّيء - وهذا ما نستبعِد وقوعَه من قِبل الحكومة السُّعوديَّة مَلِكًا وحكومةً وشعبًا - فيه مُجازَفة وفيه مخاطرُ لا نحسب أنَّ من الحكمة التسرُّعَ بالبتِّ فيها بالموافقة، ولا أحسب أنَّ حكومةً تريد إقحام البلاد في مشاكلَ لا لزوم لها بحجَّة المحافظة على ثروة حجَّاج بلادها هي مخلصةٌ لبلادنا - مهما أذاعت ونشرَت أجهزةُ دعاياتها - وحتى إذا وُجد مثل تلك الدُّول فإنَّ هناك أنظمة وحقوقًا، واعتباراتٍ تمنع الحكومة الأخرى أن تتنازلَ عن حقوق شعبها إرضاءً لحكومة أخرى.

مرَّة أخرى إنَّ هذا الموضوع جدير بالبحث وسماع صوت الشَّعب، وفي

حاجة شديدة إلى صِحافة جريئة، تعالج الدَّاء قبل استفحاله بصراحةٍ تمثِّل فيها إرادة الخير، والرَّغبة في الوصول إلى الحقيقة التائهة في مجالات النَّزَوات، والأحلام الضَّائعة بين أمانٍ طامحة وتخاذلٍ في غير محلِّه.

صِحافة تمثِّل رغبة الشَّعب وتجلو ما يعتمل في صدره من آمالٍ وآلام، وما يسعى له من حفاظٍ على كرامته ومقدَّساته وسيادته، وما يصبو إليه من عزَّة ورفعة، وأن تنبِّه للأخطار قبل وقوعها، وأن تعطينا أمثلةً من التاريخ؛ لئلَّا تزلَّ الأمَّة في سيرها نتيجة تهوُّر أو مُجازَفة أو تعجُّل قبل تمحيص، والله المعين.

تغيير أسماء الشوارع[1]

كلَّما قرأتُ أو سمعتُ عن تغيير اسم شارع من الشَّوارع وجدتُّني مدفوعًا للتفكُّر في الفائدة التي يمكن أن تأتيَ من التَّغيير، وهل يعادل فيها الرِّبح الخسارة؟ وفكَّرت فيما ينجُم عن التغيير من ارتباكٍ في وثائق العقارات، واختلاط العقود، وما قد يَعرض للأوقاف من ضَياع، وتمنَّيتُ أن تُراعى مثل هذه الاعتبارات عندما يتقدَّم أحدهم باقتراح أو برأي بهذا الصَّدد حتى لا تُغيَّر الأسماء المعروفة وعلى الأخصِّ إذا كانت أسماؤها جميلة، ليس فيها تنفير ولا ضرر، أمَّا إذا كان الغرض هو أن يقترنَ اسم الشَّارع باسم شخصٍ ما، فليكن في الشَّوارع الجديدة التي لم تُسمَّ بعد؛ ففيها مجالٌ واسع.

ومن ثَم فإني أتخيَّل أنَّ إعادة الأسماء المغيَّرة في الشوارع القديمة، وعلى الأخصِّ إذا لم تحظَ الشَّوارع الجديدة بالذُّيوع والاشتهار على الألسنة بشيءٍ مناسب.

هذا؛ وقد رأيت في مجلَّة "المصور" العدد (١٨٨٢) - كلمةً للأستاذ فكري أباظة أعجبَتني، قالها مجيبًا لمن سأله؛ يقول:

«يسألني عن كثرة تغيير أسماء الشَّوارع، ونَزع الأسماء القديمة ووضع الأسماء الجديدة، وأقول لحضرته: إنَّ هذا خطأ وظلم مُخالِف للاتِّفاقات الدوليَّة.

(١) "القصيم" العدد (٢٢)، في ٦/ ٤/ ١٣٨٠.

أمَّا إنه خطأ فلأنَّه لا داعيَ له مطلقًا، وأنَّه طغيان على التَّاريخ فلكلِّ اسم تاريخه، تاريخه المرصود في الكتب، وعندما نمحو الاسم نمحو التاريخ، فإذا أرادَ مؤلِّف جديد يعيد التَّاريخ لم يجد الأسماء ولا الشَّواهد.

وهو ظلم لأنَّه طغيان على حقِّ الأموات، ومن حقِّهم ذلك التَّخليد الذي لم يكن عبثَ عابث.

وأمَّا مخالفة الاتِّفاقات الدوليَّة؛ فلأنَّ المؤتمرات البريديَّة قد قرَّرت هذا؛ حتَّى لا يحدث اضطرابات ولا خلل في عناوين الخطابات والبرقيَّات وخصوصًا التِّجارية، وما يترتَّب على ذلك من أضرار وتعويضات، ولا نريد بعد ذلك أن نبحثَ في قيمة ومكانة الأسماء الجديدة؛ فكلٌّ نقابة تريد أن تجيءَ ذِكرى أعضائها، والمجال واسع في الشَّوارع الجديدة».

هذه كلمة الأستاذ فكري أباظة، وهي جديرة بالتأمُّل ممَّن يهمُّهم الأمر.

الشحَّاذون يوم الجمعة[1]

السُّؤال: المحتاجون والفقراء عمومًا يثيرون العطف والشَّفقة، وللفقراء حقٌّ معلوم في مال الأغنياء، ومن الواجب حمايتهم وإغناؤهم عن السُّؤالِ وبَذلِ ماء وجوههم.

ويكثر الشحَّاذون يوم الجمعة، وفي مناسبة شهر رمضان المبارك، وبعضهم لا يكفيه أن يجلسَ في الطَّريق، وإنَّما يلج المسجد؛ ليلُفَّ ويدور على المصلِّين لسؤالهم، وهذا منظر مؤلم مضايق.

ويَظهر أنَّ هذا لم يكن جديدًا بل هو قديم جدًّا؛ فقد جاء في كتاب "المنتقى من أخبار الأصمعي" عن أبي يَزيدَ المدنيِّ؛ قال: «كان عكرمةُ إذا رأى السُّؤَّال يوم الجمعة سبَّهم، فقلتُ له: ماذا تريد منهم؟ قال: كان ابن عبَّاس يسبُّهم إذا رآهم، فقلتُ له كما قلتَ لي، فقال: إنَّهم لا يشهدون للمسلمين عيدًا ولا جمعةً إلَّا للمسألة والأذى، فإذا كانت رغبة الناس إلى الله ﷻ كانت رغبتُهم إلى النَّاس».

ويَذكر الحافظ ابن كثير في ترجمة الإمام المؤرِّخ المفسِّر محمَّد بن جرير الطَّبري حكايةً طريفة، قال: وقد أراد الخليفة المقتدر في بعض الأيَّام أن يكتب كتابَ وقفٍ تكون شروطه متَّفقًا عليها بين العلماء؛ فقيل له: لا يَقدر على استحضار ذلك إلَّا محمَّد بن جرير الطَّبري، فطلبَ منه ذلك، فكتب له، فاستدعاه الخليفةُ إليه، وقرَّب منزلته عندَه وقال له: سَل حاجتَك،

(١) "القصيم" العدد (٢٢)، في ٦/ ٤/ ١٣٨٠.

فقال: لا حاجة لي، فقال: لا بدَّ أن تسألني حاجة أو شيئًا، فقال: أسأل من أمير المؤمنين أن يتقدَّم أمره إلى الشُّرطة حتى يمنعوا السُّؤَّال يوم الجمعة أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع!

أين إنجازات مجلس التَّخطيط؟[1]

يتساءل النَّاس وحُقَّ لهم التَّساؤل، أين إنجازاتُ مجلس التَّخطيط منذ تأسَّس حتَّى هذه الساعة؟!

إنَّ المفهوم من هذا المجلس أن يُبرز أعمالًا كبيرة، ومشروعاتٍ عظيمةً يلمسها الناس ويَجنون ثمرتها، وأن يُحِسَّ الجميع بأنَّ مشروعاتٍ لها تأثير على مجرى حياتهم وتطوُّرها قد خرجَت إلى حيِّز الوجود؛ لتنقُلهم من طَور التخلُّف إلى طَور التقدُّم والنُّهوض.

وسَمع النَّاس عن وفود الخبراء القادمين والذَّاهبين، وعن الدِّراسات تِلو الدِّراسات، والمستشارين، وعن الملايين الهائلة المُرصَدة للمشروعات.

وبقي للتَّنفيذ والمشروعات المتحقِّقة الملموسة.

وبدَت ظاهرة الإبطاء في تنفيذ المشروعات، ولسنا ندري هل السَّبب هو استكمال الدِّراسات كما يُذاع ويُنشر أحيانًا؟ ربَّما، ولكن هل من الضَّروري أن يتوقَّفَ تنفيذ المشروعات على تلك الدِّراسات وعلى حضور أولئك الخبراء؟ لا أظنُّ ذلك، بل إنَّ هناك من الدِّراسات والتقارير ما وصل درجة التُّخَمة، فبعض الجهات الحكوميَّة كلَّما تغيَّر وزيرها أو رئيسها قام سوق الخبراء والدِّراسات والتقارير، حتَّى إذا ذهب وجاء خلَفُه ليكرِّر الدَّور من جديد!

وأين تلك الدِّراسات والتقارير التي عُمِلت في زمن سلَفِه؟ لعلَّها في

---

(١) "اليمامة" العدد (٣٦٤)، في ١٣٨٢/٩/٢٣.

زوايا النِّسيان!

وأين الأموال التي صُرفت من خزينة الدَّولة بسبب استقدام الخبراء ودراستهم وتقاريرهم؛ ما دام أنَّه لم يُستَفد منها؟!

وأشياء كثيرة تدور حول هذه العمليَّات وظنون وتخمينات، ومع هذا فالكلُّ يَسأل: أين ما أنجزه المجلس من أعمال تتَّفق وما يُنتَظر منه؟!

وبدأ الاستغراب من أنَّ بعض من لهم دور كبير في المجلس قد ناءت كواهلهم - علاوةً على واقعهم - بما أُنيطَ بهم من أعمال؛ فمن وظائفَ رسميَّة، إلى اشتراك في اللِّجان المتعدِّدة، إلى...

ومرَّة أخرى تبدو الغرابة؛ كيف يستطيع من يقوم بمثل هذه المشاغل أن يخطِّط لمجلس التَّخطيط، ويستوعبَ الدِّراساتِ والتقاريرَ والمناقشات؟ ثم هل من الضَّروري أن يحمَّلَ شخصٌ فوق طاقته، وتُناط به شتَّى المسؤوليَّات الجسيمة التي ظهرَت نتيجتُها على الواقع الملموس؟!

إنَّ البلاد لم تعد قاحلةً من المثقَّفين والمتخصِّصين لهذه الدرجة!

ثمَّ هل من اللازم أن تُسنَد أمورٌ كهذه لمن أُثقِل بالأعباء وأُغرق بالمشاغل؟ وما السرُّ في هذا التناقض العجيب؟

إنَّ النَّاس ينتظرون من مجلس التَّخطيط أعمالًا جبَّارة، يظهر أثرُها جليًّا في قفزة البلاد ونهضتها صناعيًّا وزراعيًّا وعلميًّا واقتصاديًّا، ومن ثَمَّ فإنَّ الإنجاز للمشروعات والتفرُّغ من جانب موظَّفيه شيء لا بدَّ منه، إذا ما أُريدَ له أن يحقِّق ما يؤمِّله منه المواطنون.

أمَّا أولئك الذين يكونون في المجلس دبابيسَ وأشواكًا، وحجرَ عثرة في

طريق المشروعات والنُّهوض بالبلاد، وتعطيل المشروعات، وشلِّ حركة المجلس - فإنَّ من الواجب تطهيرَ المجلس منهم، والبحثَ عنهم - إن كان الأمرُ يحتاج للبحث - لِيُزالوا من طريق التطوُّر النافع الذي يقفون أمامه حاجزًا.

إنَّ مجلس التخطيط يجب ألَّا يَقتصر على الدِّراسات والاجتماعات، بل يتعدَّى ذلك إلى العمل الجادِّ المستمر، وإنفاذ المشرعات التي تعود على البلاد جميعها بالخير والازدهار.

وإنَّنا لنرجو أن يُولِيَ سموُّ الأمير فيصل وليُّ العهد ونائب جلالة الملك هذه الآمالَ عنايةً خاصَّة، حيث إنَّها آمال أمَّة ورغبات شعب متطلِّع إلى مستقبل أفضل، وعلى الله الاتِّكال(١).

---

(١) صدَر بعد ذلك مرسومٌ ملَكيٌّ بإلغاء هذا المجلس، وتحويله إلى هيئة فنِّية للتخطيط، مرتبطة بمجلس الوزراء.

الوظيفة خدمة لا استعلاء[1]

الوظيفة مِحَكٌّ؛ يَظهر بها عقليَّة الشخص وفَهمه وإدراكه للواجبات أو عدمها.

والنَّفس العالية لا تنظر للوظيفة إلَّا على أنَّها شعور بالمسؤوليَّة وخدمة للصَّالح العام، ومن ثَمَّ فإنَّك ترى هذا الشَّخص متواضعًا؛ لم يزْدَهِه المرتَّب ولم تنفُخه المظاهر، ومهما علَت وظيفته وكبُرت فإنَّه لا يزداد إلَّا تواضعًا، وتفانيًا في القيام بواجباته وتقديرًا لظروف النَّاس وأحوالهم، وعلى العكس ترى تافهَ الشخصيَّة ينظر للوظيفة من زاويةٍ أخرى، فهو يراها وسيلةً للاستقلال والخيانة، ووسيلةً للاستعلاء والغطرسة واحتقار النَّاس الذين نُكِبوا بأمثاله واضطرُّوا لمراجعته.

ولا شكَّ أنَّ مثل هذا الشخص مهما بلغ من ارتقاء الوظيفة فإنَّه يزداد بُغضًا وحقارة، وهو يسيء إلى الدَّولة أعظمَ إساءة، وقد يجرُّ النِّقمة إلى أقاربه وأُسرته، ومثل هذا داءٌ وَبيل يجب التخلُّص منه، وعلى الدَّولة الواعية أن تزيلَه من طريق الناس حتَّى تَسلَم من شروره وسلاطته وتوجُّهِ النِّقمة عليها بسببه.

وإنَّ الوعي الذي سرى إلى البوادي والحواضر، وإلى سكَّان القرى والصَّحاري وروَّاد الكهوف، لم يعُد يَستسيغ أن يُوضعَ في طريق حاجاته، وبينه وبين مَطالبه من مَلِكه أو رئيس الوزراء - مثلًا - مَن ابتُلي بمركَّبات النقص، والعُقد النفسيَّة المتراكمة ليقف متعاليًا على الناس، محتقِرًا لهم، يَسلُقهم ببذيء القول، وفُضول الكلام، مُهدِرًا لكراماتهم مهما علا منصبُه

(١) "اليمامة" العدد (٣٦٣)، في ١٦/ ٩/ ١٣٨٢.

وارتفع نسَبُه.

وإنَّ إساءةَ مثل هذا للدَّولة لا تقف عند حد، بل هي مِعول هدم في كِيانها، وأداة تحطيم لبنيانها من حيث يشعُر أو لا يشعر؛ إذ إنَّ هذا وأمثاله يزرعون الضَّغينة والكراهية في النُّفوس، ويبعدون القريب، ويحوِّلون الأصدقاء إلى أعداء، وقد يَرى فيهم الناسُ - خطأً - صورة مجسَّمة للدَّولة، ومن الصعب نزع مثل هذا التصوُّر من الأفهام عندما يبذر بذوره.

إنَّ الدَّولة عليها واجب - هو في مصلحتها والمصلحة العامَّة على حدٍّ سواء - ألَّا تسمحَ لمريدي إذلال الناس واحتقارهم بتبوُّؤ المناصب؛ حتَّى لا تفتح ثُغرات على نفسها هي في غنًى عن فتحها.

إنَّ الشُّعوب التي وعَت وعمَّها العلم، وتفتَّحت آفاقُها إلى مجالات رحيبة، وأدركت ما يجري في العالم القريب والبعيد - لم يعُد يلائمها تسلُّط موظَّفين من ذوي العقليَّات المتحجِّرة الذين يَزدَرون الناس، ويتَّخذون الوظيفة سُلَّمًا للاستطالة على الشَّعب وإهدار كرامته بسبب عُنجُهِيَّتهم ورُعونتهم.

وإنَّ الصِّحافة مرآة الشُّعوب، وقد أُعطِيت هنا فسحةً لتقول وتنتقدَ؛ رغبةً في الإصلاح - من واجبها ألَّا تكتم الدَّولةَ هذه الحقيقة، بل تنبِّه وترشد الدَّولة التي تريد أن تعملَ في جدٍّ ونشاط، من أوَّل واجباتها إدراك هذه الحقيقة التي قد ينتج عن الغفلة عنها أو التَّجاهل لها مضاعفاتٌ سيِّئة وردودُ فعل خطيرة، والله المستعان.

البادية والقرية[1]

البادية وهي تمثِّل القطاع الكبير من الشَّعب، والقرية وهي تمثِّل جزءًا كبيرا منه - ما زالا متخلِّفَين بشكلٍ واضح، بل نصيبُهما من العناية الرسميَّة ما فتئ ضئيلًا جدًّا.

وهذا العدد الذي يبلغ ٩٠٪ من السكَّان تقريبًا لم ينَل بعض حقِّه، وما هو قَمينٌ من المشاريع الحيويَّة التي نالت المدينةُ قسطًا لا بأس به منها.

إنَّ الكثير من البوادي وسكَّان القرى يحتاجون إلى عناية خاصَّة وسريعة بتوفير المياه لهم، والرَّفع من مستواهم المعيشي، ونشر الوعي بينهم، ومساعدتهم على التكيُّف مع الحضارة الصِّناعيَّة والقدرة على الاستفادة منها.

فالفلَّاح في القرية يُعاني من كساد محصوله نتيجة المزاحمَة الخارجيَّة لمنتوجاته، وهو في مَسيس الحاجة إلى مدِّه بالقروض المجَّانيَّة، وبنك التَّسليف الزِّراعي أمل منعِش للفلَّاح، أمَّا القرية فيَنقُصها الماء - في عدَّة جهات من بلادنا - كما ينقصها بصفة عامَّة الكهرباء، والبلديَّات، ورَبطها بوسائل المواصلات الحديثة؛ من تعبيدِ طرُق وسَفلتتِها، والسِّكك الحديديَّة، والاتِّصال البرقيِّ والبريدي.

قد تكون بعض القرى حظِيَت بشيءٍ من هذه الوسائل، ولكنَّ البعض الآخر يحلم بأن ينالَ هو الآخَرُ كما نال غيرُه.

والبادية وهي جزء مهمٌّ وعظيم ما برِحَت متخلِّفةً في كلِّ النواحي، ولم

(١) "اليمامة" العدد (٤٠٠)، في ٢٧/ ٢/ ١٣٨٣.

تنَل عناية عمَليَّة حتَّى الآن، وإن كان هناك مشاريعُ تُدرَس لإنعاش البادية والنُّهوض بها إلَّا أنَّ حالتها كالقرية؛ تستدعي السُّرعة في تحقيق المشاريع النافعة، فلا يقف (الرُّوتين) البغيضُ في وجه تقدُّمها وسرعة النُّهوض بها.

والبادية في حاجةٍ إلى تشجيعٍ كبير من الحكومة؛ وذلك بحفر آبار ارتِوازيَّة لهم، ومؤازرتهم على إنماء الثَّروة الحَيَوانيَّة، وفتح المدارس المتنقِّلة عندهم، وجعل منهج يتَلاءم وظُروفَهم وأوضاعَهم؛ ليكون تنقُّلهم تدريجيًّا، وتقديم المعونات العاجلة لهم؛ ليحيَوا حياةً كريمة منتِجة.

إنَّ من يفكِّر في حالة البادية قديمًا، وحالتهم الرَّاهنة يصاب بالذُّعر؛ لما وصلَت إليه البادية من تخلُّف اقتصادي فظيع، وقد توالَت سنواتُ الجَدْب والمَحْل وقلَّة الأمطار؛ فكان أن تشتَّت البادية، وفقدَت البلاد ثَرواتٍ هائلةً من الإبل والغنَم، والسَّمن والأَقِط، وفقدَت البلاد أهمَّ من ذلك، وهي الطَّاقات البشريَّة لدى البادية؛ فإنَّه لم يكن لهؤلاء نصيبٌ من التعليم يمكِّنهم من مجاراة العصر الصِّناعي.

فظلُّوا حَيارى مندهِشين، هذه صورة للأغلبيَّة من البادية، ومن ثَمَّ فإنَّ من الواجب العنايةَ بهذه القطاعات الكبيرة من الشَّعب، وإيلاءها ما تستحقُّه من رعاية، ورفع مستوًى.

إنَّ مقارنةً بسيطةً بين التطوُّر في المدينة وبين التخلُّف في القرية والبادية - تُظهِر البَون البعيدَ بين الاثنين، وأنَّ المسافة ليست قريبةً ولا معقولة.

وصحيحٌ أنَّ المدينة لم تَقنَع بما وصلَت إليه من تطوُّر، وما من شكٍّ أنَّها تحتاج إلى أشياءَ كثيرة، ولكن من الإنصاف ألَّا يُغفَل جانبُ القرية والبادية في غَمرة المطالب بالتطوير للمدينة، والمُطالَبة بنَيل الرغبات الفرديَّة

التي لا تقف عند حد، ولا يخمُد لها أُوار**!!** إنَّنا في عصر الصِّراع، ولن يَستطيع الصُّمود فيه إلَّا من كان التَّعادلُ والاعتدالُ منهجَه، والتَّوازن رائدَه، والسُّرعة في الإصلاح طريقَه.

للتقريب بين الطَّبقات[(١)]

هذا رأي أقدِّمه بالرَّغم من أنَّه شائك ودقيق، وقد يُغضب أشخاصًا، ويتذمَّر منه أُناس، ولكنَّ واجب الصَّراحة، وما يتطلَّبه الموقف يقتضي أن يُقال، وأن يُجهَر به.

وثِقَتي: أنَّ من يتناول الموضوع سيَهدأ ويزول غضبُه عندما يفكِّر بإنصاف ويتطلَّع إلى آفاق أوسع!

وهنا نقطتان نريد بحثَهما بصراحةٍ ووضوح، بقدر الإمكان:

أُولاهما: الفوارق الهائلة في الوظائف، صحيح أنَّ المواهب مختلفة، والكفاءات متباينة، والإنتاج متفاوت، ونحن لا نريد أن يُغمَط صاحبُ الفضل فضلَه، ولا أن يُجحَد جهدُ المُجدِّ ويُكتَم تقدُّم المتقدِّم، ولكن نريد ألَّا تكون الهوَّة ساحقةً، والتفاوتُ في المرتَّبات شاسعًا إلى حدٍّ بعيد جدًّا.

وإذا أمعَنَّا النَّظر في صُغرى الوظائف وكُبراها، وجَدنا الهوَّة السَّاحقة التي قد يَنجُم عنها أخطارٌ يصعب تَلافيها.

ولو نظَرنا إلى نظام الموظَّفين بصفة عامَّة لوجَدناه في صالح كبار الموظَّفين قطعًا دون صِغارهم، وعسى أن يكون في النِّظام المرتقَب ما يزيل تلك المساوئ أو يقلِّل منها على الأقل.

ومثلًا: راتب الوزير ووكيل الوزارة لا يتَناسبان وما تعتَزمه الدَّولة من إصلاحات وتطوير، ونهوض بالمشاريع الكبيرة.

---

(١) "اليمامة" العدد (٣٧٦)، في ٢١/ ١١/ ١٣٨٢.

إنَّ عشرة آلاف ريال شهريًّا كراتب للوزير شيءٌ كثير، كما أنَّ راتب وكيل الوزارة وهو خمسة آلاف ريال كثيرٌ أيضًا.

ومن الممكِن أن يكون راتب الوزير خمسة آلاف ريال شهريًّا، وراتب الوكيل أربعة آلاف مثلًا، وفي الوقت نفسه تُعدَّل رواتب صغار الموظَّفين بما يَرفع مستواهم ويعطيهم دخلًا معقولًا.

هذه واحدة.

أمَّا **الثَّانية** فهي المخصَّصات والعوائد وأشباهُهما، وهذه يجب إعادة النَّظر فيها على وجهٍ سليم حسَب ما يَقتضيه الشَّرع والعقل، وما تدعو إليه المصلحة العامَّة، وما تتطلَّبه العدالة والحكمة.

إنَّ الدَّولة تخطِّط وتسعى لإقامة المشروعات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، والبناء على أسس صحيحة متميِّزة بالعمق والفَهم، ومتحلِّية بالعدل والصَّراحة، حتى تُشيعَ الثِّقة بين الفرد والمجموع، والشَّعب والحكومة، وحتى يأخذَ الشَّعب أمثلة حيَّة من التَّضحية والعمل الإيجابي، ومن واجب الدَّولة أن تنظر للصَّالح العام، وألَّا تستمع للمثبِّطين من «هيئة المنتفعين» ممَّن لا يهمُّهم إلَّا المصلحة الشخصيَّة مهما نتَج عنها من مصائب.

هذا، وإنَّا لنثق أنَّ الواعين المدركين سيكونون سنَدًا للحكومة فيما تُقدِم عليه من أمثالِ هذه الأعمال التي تتَّسم بالعدل والإنصاف، ولو فاتت بعضُ مصالحهم الخاصَّة، إنَّنا نرجو أن تُتَّخذَ خطوةٌ حازمة شُجاعة في هذه النَّواحي، وأن تأتيَ الاستجابةُ سريعةً بشكل عمَليٍّ لا تقف دونَه المثبِّطاتُ والموهِنات.

ومن واجب الشعب أن يُساندَ الحكومة فيما تعمله من أجل الصالح

العام، بما يتمشَّى مع الشرع والعدالة، وما يصحِّح الأخطاء ويعود بالمياه إلى مجاريها الصَّحيحة.

إنَّنا لا يصحُّ منَّا أبدًا أن ندفنَ رؤوسنا في الرِّمال وندَعَ معالجة المشاكل الحسَّاسة جانبًا؛ لأنَّا إن فعَلنا ذلك لم نقُم بواجب الصِّحافة ومتطلَّباتها، ولم نؤدِّ الأمانة التي تحمَّلنا مسؤوليَّتها.

إنَّ هذا العالم الصَّاخب والممتلئ بالنظريَّات والدِّعايات البرَّاقة يجب ألَّا نُغمِض عيونَنا عنه، وإنَّما نقابله بأعمال نستمدُّها من ديننا ومبادئنا، حتَّى تُسدَّ الطريق على المتقوِّلين والمتربِّصين.

وكلُّ ما يتطلَّبه الأمر إرادةٌ قويَّة منفِّذة، تَنبِذ التَّسويف والتردُّد، وتَسير مع الحقِّ والعدل إلى شاطئ الأمان، غيرَ هيَّابة ولا وجِلة.

هذه كلمةٌ نَرى من الضروريِّ قولهَا، ومن واجبنا أن نجهَر بها، وليس الدَّافعُ لها مَلءَ فراغ الصَّحيفة، أو محاولةَ التَّسلية، كلَّا؛ ولكنَّها حقيقة، قد يجد البعضُ طعمَها مرًّا، ومع ذلك فمن الخير له أن يتجرَّعها كالدواء المرِّ تمامًا، أخيرًا ونرجو ونأمُل أن نُوفَّق جميعًا - حكومة وشعبًا - إلى الخير والسَّداد.

خبر له مغزاه[1]

وجد العريف يعن الله بن عبد الرحمن العمري والجُنديُّ سعيد بن ناصر القحطاني - وهما من قوَّة المرور - مبلغًا يزيد على أربعة آلاف ريال، وسلَّماه إلى إحدى مناطق الشُّرطة في الرِّياض، وهذا خبَر قد يكون عاديًّا بالنِّسبة لبلاد تَنعَم بالأمن، وتأمَن على أنفُس أهلها وأموالهم وأعراضِهم كبلادِنا، ولكنَّه مع ذلك يستحقُّ التأمُّل، ويستثير الإعجابَ بشجاعة الرَّجلين، وأدائهما للأمانة، وفَهمهما لواجبهما حيالَ الأمن والمحافظة على حقوق النَّاس.

ولقد أبدى الأمير سلمان بن عبد العزيز أميرُ منطقة الرِّياض تقديرَه للرَّجلين بأن دفَع لهما مبلغ أربعمئة ريال، وشكَر لهما.

وهذا التَّقدير من الأمير يُذكَر فيُشكَر، وهو معنًى سام للتَّقدير النبيل للمُحسِن؛ ليُضاعف من جِدِّه وإخلاصه وقوَّة عزمه، وليكون قُدوةً صالحة لغيره في فَهم الواجب، والحرص على أداء الأمانة ومُراعاة الحقوق.

إنَّ لهذا الخبر أكثرَ من معنًى، وأكثرَ من دلالة، وبلادُنا - بحمد الله - لا تَزال بخير، فهي قريبة من الخير، والتمسُّك بالدِّين، ويقَظة الضَّمير، والتَّربية الكريمة.

وما هذا الخبَر إلَّا مثَلٌ لما يتمتَّع به أبناءُ هذه البلاد من أمانة، وبما يتحلَّون به من مثُل رفيعة عجَزَت مدَنيَّة القرن العشرين عن السُّموِّ إليها، وتقاصرَت هِممُ تلامذة الغربيِّين عن الوُصول إليها، وظلَّت أملًا يُداعب

(١) "اليمامة" العدد (٤٠١)، في ١/ ٣/ ١٣٨٣.

أخيلَة المفكِّرين، وأمنيَّةً يحنُّ إليها الغارقون في الحضارة الحديثة والمدنيَّة العصريَّة في بلادٍ كثيرة.

إنَّنا - على مفترَق الطُّرق - بين عوامل شدٍّ وجَذب، ودَفع وصد، وإقدام وإحجام، ومن الخير التثبُّت فيما نأخذ من صالح، وما نذَر من طالح؛ فلا ننبَهر بالأضواء اللَّامعة والدَّعاوي المضلِّلة، فتَكون الكارثة، ولا نقف جامدين متردِّدين؛ «كالمُنبَتِّ، لا أرضًا قطَع، ولا ظَهرًا أبقى»، فنعَضُّ بَنان النَّدم حيث لا ينفع النَّدم.

مرَّةً أخرى: إنَّنا نحيِّي الرَّجلين على أمانتهما، ونحيِّي أمير منطقة الرِّياض على تقديره لهما، ونَطلُب بإلحاح أن يُكرَّم هذان الرَّجلان من قِبل وزارة الداخليَّة والأمن العام، وأن يكونَ هناك بندٌ لتقدير أمثالهما بالمكافأة مثلًا، أو بالترفيع أو بالأوسِمَة.

إنَّ عملًا كهذا يَغرس في النَّفس الشُّعورَ بالحبِّ للقيام بالواجب، والتَّفاني في تأدية العمَل الجميل، وهو تقديرٌ للقدوة الطيِّبة، وتحيَّة رائعة تدفع للإخلاص والمعاني السَّامية.

وهي عنوانُ وفاءٍ لمستحقِّ الوفاء، ووسامُ شرفٍ لمقدِّري الشَّرف، والفاهمين لما للأمانة من أثر عظيم في نفوس النَّاس، وما يُكنُّونه للأمناء من إعزاز وتبجيل، وما ينطوي عليه أداء الأمانة من رضا الله وحبِّ الناس وراحة الضَّمير، وأخيرًا لا يسَعُنا إلَّا أن نكرِّر التحيَّة من الأعماق لكلِّ مخلِص أمين.

الصِّحافة ووزارة الإعلام

أنا والصِّحافة[1]

عرفتُ الصِّحافة قارئًا، ثمَّ مساهمًا بنَشر بعض كلمات كنتُ أحسبها هادفة، وعلى هذا الاتِّجاه فهمتُ أنَّ الكتابة لا تَعني الأسلوب الجذَّاب والكلام المنمَّق، والزَّبرقة الخاوية، وتمنَّيت أن يُشاركَ طلَّاب العلم في الصُّحف مشاركةً فعَّالة حتى يؤدُّوا واجبًا، ويوجِّهوا الوجهة السَّليمة، وأبديتُ رأيي في أكثرَ من مجلس وأكثرَ من منتدًى.

وكتبتُ كلماتٍ توخَّيتُ فيها أن تكون مثمِرة، مع هذا اختلفَت المفاهيم حولها؛ فمن راضٍ معجَب، ومن ساخطٍ ناقم، ومن عاتب متألِّم.

وعرفتُ الصِّحافة عن كَثب عندما رغِب إخوانٌ أعزَّاء أن أكون عضوًا في أسرة تحرير صحُفِهم، وعرفتُ أنَّ الصِّحافة لا تقلُّ أهميَّة عن أيِّ سلاح فاتكٍ قد يُوجَّه إلى نحر العدوِّ الغادر، وقد يُضرَب بها على غير هدًى فتكون وبالًا وشرًّا مستطيرًا.

وإنَّني اليوم في هذه المناسبة أسمح لنفسي بالتحدُّث عن الصِّحافة؛ إذ إنَّ هذا الحديث وإن كان شخصيًّا في مظهره، فهو مثلٌ على حالاتٍ تمرُّ بكتَّاب كثيرين.

وإذا كان ما يَعنيني في السَّابق هو الكتابةَ أحيانًا، فإنَّني الآن قد دخلتُ في طَور أشدَّ إيغالًا، وهو خوض غِمار الصِّحافة والتقلُّب في مَعمَعتِها.

وإنَّني لأشعُر بخطورتها، وثِقل مسؤوليَّتها، وأعلم أنَّ الآراء متبايِنة،

(١) "اليمامة" العدد (٣١٨)، في ١٩/ ١٠/ ١٣٨١.

وأنَّ كلًّا قد رسَم صورةً في نفسه ليرى الصَّحيفة المثاليَّة - في زعمِه - عليها، فإذا ما غايرَت تلك الصُّورةَ اشمأزَّ وابتعد.

وهل يمكن أن يَرضى الناسُ جميعًا «ورضا الناس غايةٌ لا تُدرَك»؟! وهل يكون الإجماعُ على حبِّ شخص وقد أبغَض أناسٌ الأنبياء، وآخرون قتَلوهم؟! والمُصلِحون لَقُوا من البلاء والأذى الشيءَ الكبير!

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ومَن ذا الذي تُرضَى سَجاياهُ كلُّها   كفى المَرءَ نُبلًا أن تُعَدَّ مَعايِبُهْ

وما أجملَ قول الزَّهاوي:

ولا يَعدَمُ الإنسانُ طولَ حياتِه   صديقًا يُواسي أو عَدوًّا يُعاكِسُ!

لقد تَطاوَل أناسٌ وأسرفوا، حتَّى ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

والنَّاس بَعدُ أصناف، وآراؤهم شتَّى؛ فمنهم الغالي ومنهم الجافي، ومنهم المتطرِّف ومنهم المعتدل، فهل سيَرضى هؤلاء المتناقضون عن شخصٍ أو مَقالٍ أو صَحيفة؟! إنَّ هذا ضَربٌ من المستحيل.

إذًا فهل نحن نتوخَّى رضا الناس كلِّهم أو نودُّ إرضاء فئة معيَّنة؟ إنَّنا في الواقع نَسعى إلى أن تجتَذِب الصِّحافة أكبرَ عددٍ ممكِن من القُرَّاء، لا على حساب عقائدنا ومبادئنا التي نَدِين بها ونعتزُّ بها.

وبعد؛ فإنَّ هذه الصَّحيفة ستكون - بحول الله - مِشعَلًا وُضَّاءً يُنير

الطَّريق، ومِنبرًا مدوِّيًا يَدعو إلى الخير في حكمة، وإلى العمَل في حزم، وإلى التقدُّم في غير ما تخبُّط.

وصحيفة "اليمامة" بعدُ هي للجميع، ترحِّب بكلِّ كتابة؛ من شِعر ونَثر، ما دامت هادفةً قويمة.

وزارة الإعلام[1]

خُطوة جديرة بالتَّقدير، ووَثبة لها مَغزاها أن تطوِّر الدَّولة مديريَّة الإذاعة والصِّحافة والنَّشر فتجعلَها وزارةً للإعلام.

وقد أسندَت الوزارة إلى رجلٍ سبَق أن عرَف مشاكلَ الإذاعة وخبَرها عن كَثب.

وإن كنَّا من المتفائلين بأنَّ الوزير جميل الحجيلان سينهَض بهذا المرفق الهام، وسيَجعل من إذاعتنا إذاعة قويَّة، ومن وسائل الإعلام أجهزةً حيَّة متوثِّبة تتَّفق وما يؤمِّله المواطنون ويترقَّبونه من تطوير لا يقف عند المظاهر السطحيَّة، ولا يسير مع الآراء المتطرِّفة، ولا يكون غايتُه الوقوفَ عند إذاعة الأغاني الرَّخيصة المبتذَلة كما قد يفهَمه بعض المتهوِّرين.

ولكنَّا لا نريد استباق الحوادث، ونريد أن نضيفَ إلى الأمل التَّذكيرَ والترقُّبَ وإبداءَ الرأي الهادف.

ونحن مع ذلك نَعرف خطورة المسؤوليَّة وجَسامة العِبء في وزارة الإعلام، وما يتطلَّبه النُّهوض بها من جهدٍ عظيم.

وإنَّنا نرجو أن يكونَ لهذه البلاد صوتٌ مَسموع في أنحاء الدُّنيا، وأن يكونَ هذا الهدف قَبل غيره نُصب عينَيِ الوزير، وكل من يتحمَّل مسؤوليَّة في هذا الجهاز الهام.

إنَّ البُلدان تَكسِب - بالصَّوت المسموع والدعاية القويَّة - مكاسبَ ماديَّة

(١) "اليمامة" العدد (٣٧٤)، في ١٤/ ١١/ ١٣٨٢.

ومعنويَّة لا تُقدَّر بثَمَن أو بقوَّة.

ومن المؤسِف أنَّ جهاز الإذاعة قد تخلَّف كثيرًا، وإذا كنَّا نجهل الأسباب الحقيقيَّة ولا نحبُّ إلقاء الكلام على عَواهنه[1] فنُلقي التَّبِعة على شخص معيَّن أو أشخاص معيَّنين - فإنَّه لا خلاف أنَّ الإذاعة قد تأخَّرت كثيرًا، وأفقَد هذا التخلُّفُ الدولةَ والشَّعب الكثير جدًّا، وتجرَّع مرارتَه الجميع.

ووزير الإعلام سيجد الكثيرَ من المشاكل، والكثيرَ من الآراء والاقتراحات، والعديدَ من المشاريع، نتمنَّى له التوفيق في مهمَّته الشاقَّة.

ونرجو أن يقفزَ جهاز الإعلام هنا خطواتٍ واسعةً، فسيَحُثُّ الخُطى حتَّى يدركَ شأوَ الأُمم التي أدركَت أهميَّة الإعلام فأعطَته ما هو به جدير.

وممَّا يؤلم المرء أن ينقَطِعَ عنه صوتُ بلاده عندما يجاوز حدود البلاد، فلا يَسمع إذاعةَ بلاده وهو في الكويت أو العراق أو سوريا أو لُبنان، وتصوَّر حالة الطَّلبة الذين يدرُسون في أوروبَّا وأمريكا، بل الإنسان وهو داخل البلاد يجد صعوبةً كبيرة في سماع الإذاعة، وهذا نقصٌ كان ينبغي التخلُّص منه منذ زمن بعيد.

وهو ما كان حافزًا لمضاعفة الجهود للنُّهوض بالإذاعة وتطويرها في كلِّ مجال، في الجوهر والمظهر، وفي المادَّة والحسِّ، فلا بدَّ من أن تكونَ حافلةً بالأخبار الواسعة، والأحاديث العميقة، والبحوث الممتِعة، والتجاوب مع آمال الأمَّة ومشاعرها ورغباتها؛ ليشعُر الجميع أنَّها تنطق بلسانهم، وأنَّها تتجاوب وما يعتمِل في نفوسهم من آراء وأفكار ومتطلَّبات.

---

(١) يقال: رمى الكلام على عواهنه؛ أي: لم يُبالِ أصابَ أم أخطأ.

وهناك نقطة هامَّة، ألا وهي ضرورة العناية باللُّغة العربيَّة، وتجنُّب العاميَّة بقدر الإمكان، حيث إنَّ اللغة العربيَّة هي المفهومة والمحبَّبة لدى الجميع، وهي التي يجب الحرص على المحافظة عليها؛ فهي لغة الدِّين والأمَّة العربيَّة، فالتحدُّث بلهجة عامِّية، إضافةً إلى ما فيه من تشجيع العامِّية، فهو غير مفهوم تمامًا من عددٍ كبير من السُّكَّان؛ نظرًا لاختلاف اللَّهجات العامِّية.

هذا؛ ونرجو أن يوفَّق القائمون على الإعلام، وأن ينهضوا بالعبء الجسيم؛ لنشدَّ بعد ذلك على يد المسؤولين مهنِّئين جَذِلين.

إذاعة الرِّياض[1]

كان النَّاس يترقَّبون بلهفة وشوق إذاعة الرِّياض القويَّة المجلجِلة، وبفارغ الصَّبر يَنتظرون اليوم الذي ينطلق فيه صوت إذاعة العاصمة مدوِّيًا مسموعًا، ينقُل للعالم الإشعاع والنُّور ويُهديهم الكلمة الطيِّبة، ويُبين عن حقيقة المجتمع وما حقَّقه من نهضة في شتَّى المجالات، كما هي دون أن تحجُبَهَا سحُب الدِّعايات المغرِضة والأقاويل المشوِّشة.

وكانت فرحة أن سمعَ النَّاس إذاعة الرِّياض في فترات تجريبيَّة.

وكان مفهومًا وبديهًا، أن يستعدَّ المسؤولون عن الإذاعة للعبء الجديد والمسؤوليَّة الجديدة فيقدِّموا شيئًا ممتعًا مفيدًا، في السُّموِّ والجِدَّة والإفادة والإمتاع.

ولكن ما إن بدأَت الإذاعةُ الجديدة في فترتها التجريبيَّة حتَّى سُمع منها في أكثرِ وقتها أغانٍ خليعةٌ منحطَّة، ومن نوع سخيفٍ ماجن!

وصارت دهشة! تُرى لماذا هذه الأغاني الخليعة؟ وما الدَّافع لها؟ وما الهدف منها؟ وقد يقولون: إنَّها فترة تجريبيَّة، ولكن ألَا يصحُّ أن تُذاعَ الأحاديثُ المفيدة والكلمات الموجِّهة والبحوث النَّافعة؟!

وقد يُقال: المستمع في حاجةٍ إلى ترفيهٍ وإلى أغانٍ، وحتى مع هذا الرأي: أليس هناك أناشيدُ حماسيَّة وفكاهيَّة، وأغانٍ فيها مرحٌ لا يصل حدَّ التبذُّل والانحلال؟! إنَّها كثيرة! ولا أحسب أنَّه عجزٌ في المادَّة عن جَلبها

(١) "اليمامة" العدد (٣٧٨)، في ٢٨/ ١١/ ١٣٨٢.

إذا كان لا بدَّ من أغانٍ، ولا أظنُّ أنَّ المسؤولين قد فوجئوا وأُخذوا على غِرَّة فلم يتمكَّنوا من الاستعداد، والصُّحف منذ سنتين تتحدَّث عن إذاعة الرِّياض المرتقَبة، ومتابعة تطوُّرات مراحلِها، وأنباؤها تَترى كلَّ يوم!

وأذواق النَّاس هل هي التي تَطلب هذا النَّوع من الأغاني؟ وهل قد وصلَت إلى هذه الدَّرجة من الانحطاط حتَّى تستَسيغَ أمثال هذه الأغاني الرَّخيصة التي لا تَروج إلَّا في مجتمعَاتٍ سافلة؟

شيء محيِّر!

أمَّا إن كانت إذاعة الرِّياض أُنشئت لهذه الأغراض - وهذا مستحيل - فإنَّ عدمَها خيرٌ من وجودها.

وبعد؛ فإنَّ البلاد في حاجة إلى إذاعة قويَّة وصوت مسموع؛ لينطق بكلمة الحقِّ واضحةً صريحة، وليسمع العالَمُ أجمع رأيَ البلاد وآمالها وآلامها، وليس ما يَنقصه هو الأغاني المسفَّة لتحقِّقه له إذاعةُ عاصمة المملكة التي تضمُّ الحرَمين الشَّريفين، وفيها مهبِط الوحي ومثوى خير الأنام، ومنها شعَّ نور الإسلام وضَّاءً يملأ الخافقين.

إنَّ هذه البلاد وهي تسير في خطواتٍ جبَّارة للنَّهضة والتطوُّر النَّافعين لا تُريد من إذاعتها أن تكون نَشازًا، وصوتًا للخَلاعة والمُجون ومَرذول القول.

ومع أنَّا لا ندري عذرَ القائمين على إذاعة الرِّياض في ذلك، ومع أنَّها في أيَّامها الأولى وخُطواتها البُدائيَّة، فإنَّا نرجو أن تكون هفوة وتصلح، وزلَّة يعقبها رجوعٌ إلى صواب الحقِّ وقارعة الطريق، والرُّجوع إلى الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل.

هذا؛ وإنَّا نحيِّي إذاعة الرِّياض الجديدة، ونرجو لها التقدُّم والتوفيق.

صِحافة المؤسَّسات[1]

عندما ألغَت الحكومة امتيازاتِ الصُّحف الفرديَّة وحوَّلتها إلى مؤسَّسات أهليَّة، بادرَ بعض الناس إلى إبداء الفرح والاغتباط، ودبَّجوا المقالات الضَّافية في إعلان بهجتهم لهذا القرار، وشطَّ ببعضهم الخيال فظنَّ أن صِحافة المؤسَّسات هي البُغية المنشودة، والضَّالَّة المفقودة، وأنَّها ستحقِّق ما عجَزَت عنه الأوائلُ والأواخر، وستحصِّل الأوابد والشَّوارد، وأنَّها البلسم الشافي والأمل والمرتجَى في عالم الصِّحافة، وأنَّها ما بين غَمضة عين وانتِباهتِها ستَجعل من الصِّحافة السُّعوديَّة صِحافةً عالميَّةً تَطوي المسافات، وتقفز الحواجزَ في لحظاتٍ معدودات!

وقد تهجَّم أحدُ كبار موظَّفي وزارة الإعلام، وعضو إحدى المؤسَّسات الصحفيَّة على صِحافة الأفراد في مقالٍ نشَره في إحدى الصُّحف في مطلع عهد المؤسَّسات، ولم يشَأ أن يَذكرَ أولئك الذين صمَدوا في أيَّام عصيبة غيرَ مبالين بالاستفزازات والحمَلات؛ لأنَّهم يُدافعون عن معتقداتهم وبلادهم وبني وطنهم.

ونَدَر أن كتَب منصِفٌ كلمةَ خيرٍ في أُناس كان الأحرى بمن تطاوَلوا عليهم وأنكروا جهدهم، أن يعكس القضيَّة، وتحمَّل أولئك النَّفر ما أصابهم بصبر وعزيمة، وثقة قويَّة، ومرَّت الأيام، وإذا بكلمات تَبرُز بين آونةٍ وأخرى تُشيد بجهودٍ كاد يَطمِسها الضَّباب والتزلُّف، وبالرغم من قلَّة هذه الكلمات فإنَّها ذاتُ مدلول عميق، في إظهار الحقيقة التي أراد بعضُ الحاقدين

(١) "الجزيرة" العدد (٣٢)، في ٨/ ١٠/ ١٣٨٤.

طمسَها، وانخدَع أناس طيِّبون لم يُدركوا ما تَرمي إليه من أهدافٍ ومَرامي.

وعندما ألقى الأستاذ عبد الله القصبي رئيس بلديَّة جُدَّة السابق محاضرتَه عن صِحافة المؤسَّسات التي نشرَتها جريدة "المدينة"(١)، تمنَّيت لو أنَّ أولئك الذين تهجَّموا في غمرة الحماس وفَورة العاطفة - ومن باب الحُكم على الشَّيء قبل تصوُّره - نظَروا للموضوع من زاوية البحث المنصِف والدليل السَّاطع والتأمُّل النيِّر، إنَّهم لو فعَلوا لهان الأمر، ولا يهمُّ بعد ذلك أيَّدوا أم عارضوا ما دام الحكم بعد رويَّة واتِّزان ووضعٍ للأمور في نِصابها.

ولستُ الآن في مَقام التَّفضيل والمقارَنة بين عهدَين للصُّحف، وإنَّما أُعجبت بأسلوب الأستاذ القصبي في بحثه، واتِّزان مناقشته، وحُسن عرضه للموضوع الذي عالجَه بروح منصِفة، هَمُّها البحث عن الحقيقة دون غَمط أحدٍ حقَّه، ودون تهوُّر أو إسفاف؛ و«إنَّما يَعرف الفضلَ من النَّاس ذَووه».

وأسِفتُ كثيرًا أن تُفتقَد هذه الطَّريقة في معالجة الأمور لدى كتَّابنا وأُدبائنا إلَّا نادرًا، إنَّنا نرجو أن يحذوَ كتَّابنا هذا الحذو، فلا يكونون مائلين مع الرِّيح حيث تميل، بل يكونون أسمى رأيًا وأبعَد نظرًا وأكثر تحلِّيًا بالإنصاف وهم بذلك جَديرون، وما نحسبهم إلَّا فاعلين.

---

(١) نشرتها جريدة "المدينة" في العدد (٢٢٢) في ٢٩/ ٧/ ١٣٨٤، و(٢٢٤) في ١/ ٨/ ١٣٨٤، و (٢٢٨) في ٥/ ٨/ ١٣٨٤.

نادرة

ذكَر ابنُ الجوزيِّ في كتاب "الحمقى والمغفَّلين" قال: بلغَنا عن نصرِ ابن مُقبِل وكان عامِلَ الرَّشيد على الرَّقَّة أنَّه أمَر بِجَلد شاةٍ الحدَّ، فقالوا: إنَّها بهيمة، قال: الحدود لا تُعطَّل، وإن عطَّلتُها فبئس الوالي أنا، فانتهى خبَرُه إلى الرَّشيد، فلمَّا وقَف بين يديه قال: كيف بصَرُك بالحُكم؟ قال: النَّاس والبهائم عندي واحدٌ في الحق، ولو وجَب الحدُّ على بهيمةٍ وكانت أمِّي أو أختي لحدَدتُّها ولم تأخُذني في الله لومةُ لائم، فأمَر الرَّشيد ألَّا يُستعانَ به.

حكمة

«إذا رأيتُم المَدَّاحين فاحثُوا في وجوههم التُّراب»؛ حديث صحيح.

الأغاني في الإذاعة السُّعوديَّة[1]

أُثيرَ في الآونة الأخيرة جدَلٌ حول الأغاني في الإذاعة السُّعوديَّة، فمِن مُحبِّذ للأغاني؛ لأنَّها في زعمه تسلِّي وتروِّح عن النُّفوس، ووجَد هؤلاء من بعض الموظَّفين استجابة، فراحوا يَكيلون لهم المَديح، ويَخلعون عليهم ألقابًا ضخمة، وبطولاتٍ لا يَحلُم بها كبارُ القادة وعظماءُ التَّاريخ.

وتصدَّى بعضُ الغَيورين للردِّ على تلك الآراء الخاطئة والمَزاعم المضلِّلة، فكتب مسلمٌ غَيور في صحيفة "النَّدوة" يندِّد فيها بفكرة إذاعة الأغاني الخليعة من الإذاعة السُّعوديَّة، ويوضِّح أنَّه لا ضَير على الإذاعة السعوديَّة أن تكون الوحيدةَ من بين إذاعات العالم التي ترفَّعت عن المُجون والخلاعة، بل إنَّ هذا مَدعاة للفخر والإعجاب، وفيه ثباتٌ محمود ومثَلٌ عالٍ يجب أن يُحتذى.

كما كتب فضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم وفضيلة الشيخ حسن بن عبد الله مُبديَين استياءهما من هذه الفكرة؛ قيامًا بواجب النصيحة وقد أجادا فيما كتَبا.

نعم؛ إنَّ إذاعة الأغاني المائعة من (مكَّة المكرَّمة) أشرفِ بقعةٍ على وجه الأرض، وأقدَسِها، ومن إذاعة حكومة إسلاميَّة لها طابعٌ خاصٌّ ونظرة خاصَّة نحو الإسلام، ودولتها لم تقُم إلَّا على أساس الحكم الدِّينيِّ دون نظر إلى التَّقليد والانسياق وراء الأهواء والكثرة الضالَّة - أقول: إنَّ إذاعة الأغاني الماجنة من هذه الإذاعة فيه استخفافٌ واستهانة لا نظنُّ أنَّ ذَوي

(١) مجلَّة "راية الإسلام"، العدد الثاني والثالث من السنة الثانية، محرَّم وصفر عام ١٣٨١.

الرَّأي الصَّائب في حكومتنا يرضَون بهما.

إنَّ هذه الدولة قامت على أساس الدِّفاع عن الدِّين والحفاظ على الشَّعائر الإسلاميَّة والمقدَّسات المفضَّلة، ودولةٌ هذا شأنها لا يَليق بها أن تَجعل من إذاعتها وسيلةً لهدم الأخلاق، وتلويث النُّفوس بالتبذُّل والميوعة، والتقليل من وازع الدِّين والخلق بدعوى ترويح النَّفس وترفيهها كما يحلو لبعض المتشدِّقين؛ فالأسماء لا تغيِّر الحقائق، فإذا سُمِّي السَّمُّ شهدًا والعَلقم عِنبًا فالحقيقة لن تتغيَّر بذلك الاسم المَنحول.

إنَّ تلك الأغانيَ التي تُذاع من أكثر إذاعات العالم، والتي يطالب البعض بإذاعتها من الإذاعة السُّعوديَّة، هي أغانٍ خليعةٌ مائعة، ووسيلةٌ من وسائل الرَّذيلة وداعية من دُعاتها، ولو سُمِّينَ الفنَّ والطَّرَب، وإن قيل: إنَّها لمشاهير المطربين وكبار الفنَّانين.

وليت شعري: ما الذي يَجنيه السَّامعون من أمثال هذه الأغاني السَّخيفة! التي عزَّ على البعض وكَبُر في نفسِه أن تخلُوَ منها الإذاعة السُّعوديَّة، وأن تظلَّ إذاعةٌ واحدة في العالم سليمةً من وباء الأغاني المتهتِّكة، مترفِّعة عن ذلك الانحطاط، وراحوا يَسلُقونها بألسنةٍ حِداد، ويُعوِلون ويَدعون بالويل والثُّبور وعظائم الأمور؛ لماذا؟ لأنَّ الإذاعة السُّعوديَّة متخلِّفة لم تُجارِ الإذاعات المتطوِّرة التي تذيع للفنَّانين والفنَّانات!

وليتَهم عندما تصايَحوا مُتباكين على تخلُّف الإذاعة السُّعوديَّة طالبوا بتقوية جهازها، أو بتنويع برامجها، أو بإدخال ألوانٍ من النشاط المحمود فيها، إذًا لكان الأمر معقولًا، ولكن لم يهتمَّ الكثيرون من هؤلاء إلَّا لشيء واحد؛ هو إدخال الأغاني في الإذاعة السُّعوديَّة؛ لكي تتطوَّر الإذاعة!

وإنَّنا لنَعجب عندما نسمع كلمة التطوُّر تُقحَم في أشياءَ لا تتَّصل بها! لقد كان الأجدر بأولئك أن ترتفع أصواتهم عندما بدأ بعضُ الأثرياء يُخرج أموالَه إلى بُلدان أخرى، ولم تكن المصلحة الإسلاميَّة هي التي أملَت عليه ذلك الفعل، ولكنَّه الجشَع والاستهانة بمصالح هذه الأمَّة، وحرمانها من فوائد ثرواتٍ نمَت في وسط بلادهم، بل فضَّلوا أن يتقوَّى بها الأعداء.

أقول: في ذلك الحين لم نَسمع لدعاة التطوُّر والنَّهضة لسانًا يتكلَّم، ولا رأينا لهم أقلامًا تُنادي بالإصلاح والتطوُّر، وإنهاض البلاد اقتصاديًّا وزراعيًّا، ولكن طبيعة مَن همُّه الانطلاق ممَّا يسمِّيه بقيود الدِّين الثَّقيلة، يطلب جوًّا مرحًا تنمو فيه الرَّذيلة، وتستطيل على الحقِّ وأهله، فلا يجد بدًّا من المطالبة بترقية الإذاعة ورفع شأنها بالمجون واللَّهو والميوعة، ولكن ليس كثيرًا على من يتمنَّى أن تكون بلاده مثل أوروبًّا؛ لا في صناعتها وقوَّتها المادِّية ولكن في ميوعتها وانحلالها وتفسُّخها - أن يسمِّيَ الميوعة تطوُّرًا، والمجون تقدُّمًا!

إنَّ هؤلاء وإن خفِيَت مقاصدُهم بعضَ الوقت فإنَّها ستَظهر حتمًا، ويرَون أنَّ تمويههم قد بطَل، وتضيق بهم الأرض بما رحُبَت، وينتصر الحقُّ وأهله، وتتقدَّم إذاعتنا حتَّى تكون منبرًا يتطلَّع إليه العالم الإسلاميُّ، ويستضيء بما يشعُّه من نور الهداية الإسلاميَّة بإذاعةِ أحاديثَ إسلاميَّة، ومواضيعَ من سياسة الإسلام، وتربيته الاجتماعيَّة، ونظامه في الحكم وتدبير المال واستعماله بما يرضي الربَّ، وتجعل وسيلة إلى نشر الإسلام وإعلاء كلمته، وسحق الباطل والقضاء عليه، ومن الباطل الأغاني ودُعاتها.

وختامًا؛ فلنَذكُر الحكمة القائلة: خُذوا على أيدي سُفهائكم يبارَك لكم في أعمالكم، والله ناصرُ دينه، ولله العزَّة ولرسوله وللمؤمنين.

الصِّحافة لسان الأمَّة[1]

الصِّحافة مرآة الشُّعوب وترجمان الأمَّة، والوساطة بين المسؤولين وأصحاب المطالب، وهي لذلك قد تتطرَّق لأشياء كثيرة من أعمال المسؤولين وتوجِّه لها النَّقد حينًا والتَّحبيذ حينًا آخر، وتَنقُد لِتَشحَذ الهمم، ولتتعاون مع الغافل والمقصِّر، وتَنحى باللَّائمة حينًا، وقد يكون في الأسلوب الذي تعالج به مشكلةً ما بعض القسوة.

ومع هذا كلِّه فالنَّاس يختلفون في وجهة نظرهم تجاه الصِّحافة، فمنهم من يُريدها مديحًا وإطراءً ولا شيء غيره، ومنهم من يرتفع بنظره إلى مجالٍ أوسع؛ ليرى فيها رسالةً ينبغي أن يَضطلِع بها على خير وجه؛ لما فيه مصلحةُ المجموع وما يعين على تأدية الواجبات، وأنَّها إذا جَبُنت عن النَّقد الهادف وقَصُرَت عن لفتِ نظر كبار المسؤولين، وأخلَدَت إلى المَلَق والهلَع، فهي صِحافة تافهة غيرُ جديرة باسم الصِّحافة.

وهناك فئةٌ أخرى ترى أنَّ الصِّحافة يجب أن تكون صريحةً حتى تُصبِح أداةَ هدم وتشنيع وطمسٍ للمَحاسِن وإظهارٍ للمَساوئ، وفي هذه النَّظرة كثيرٌ من التطرُّف والجُنوح. ومن الناس مَن يرى أنَّ الصِّحافة ينبغي ألَّا تَنشُر عن جهةٍ ما إلَّا ما يُوافق مِزاجها، وأن تستَقيَ الأخبارَ من لدُنها، وهي بلا شكٍّ سوف لا تُوافق إلَّا على نَشر ما يُعجِبها مهما كانت الحال.

وإنَّ المنطق المعتدل يقتضي أن تكون الصِّحافة وسيلةَ تعاوُن، وطريقًا إلى الوصول لحلِّ المَشاكل، والعمل لما فيه المصلحة العامَّة، وقد تُغضب

(١) "اليمامة" العدد (٣٤٦)، في ١٥/ ٥/ ١٣٨٢.

أفرادًا في سبيل أمَّة، وتُسخِط أشخاصًا من أجل شعب، وهي مع ذلك قد تخطئ وتصيب، والمهمُّ أن يكون الهدفُ سليمًا، وأن يكون التحرِّي والدِّقة بحسب الإمكان، وأن تكون صِحافةً شريفة مترفِّعة عن الدَّنايا والسَّفاسف.

وممَّا تُحمَد عليه حكومة هذه البلاد أنَّها قد رفعَت الرِّقابة عن الصحف، وحمَّلَت رؤساء التَّحرير المسؤوليَّة في النَّشر، وهذه يدٌ كريمة وعمل جليل، ويبقى بعد ذلك أن يُدرِكَ البعضُ هذه الحقيقة، وأن يَعلموا أنَّ الحكومة أفسحَت المجال للصِّحافة حتى تنقُد وتنبِّه في حدود الصَّالح العام، ومن أجل رِفعة البلاد والنُّهوض بها في شتَّى المجالات، فهل نعي هذه الحقيقة، وندرك أنَّ من الخير التعاونَ في القيام بها على نحوٍ أفضل؟!

الصِّحافة مسؤوليَّة[١]

الصحفي تتنازعه عواملُ شتَّى، وضروب مختلفة من الأحاسيس والمشاعر، وهو بحكم مهنته الصحفيَّة يَلقى صنوفًا غريبة ومشاكلَ عديدة، فالقارئُ يريد منه أن يجعلَ من صحيفته مرآةً صادقة تعكس آلامَه وآماله، وأن ينهَج الصَّراحة والجهر بكلمة الحقِّ في غير موارَبة[٢] أو مُجاملة.

ولكنَّ ذلك قد يُغضب آخَرين، ويُثير فيهم السَّخط على الكاتب والصَّحيفة حيث انتُقِدوا في الصَّحيفة، ويبلغ ببعض الناس النِّقمة على الجريدة إلى حدِّ مُناصبتها العَداءَ ورفع الشَّكاوى ضدَّها والتهجُّم الشَّديد، وقد يوقف الإعلانات عن الصَّحيفة إمعانًا في التشفِّي.

ومع ذلك فإنَّ من حقِّ الصحفيِّ أن يكون له حمايةٌ حتَّى يستطيع أن يجهرَ بكلمة الحقِّ، ويلبِّيَ رغبات القرَّاء العادلة، ويكون همزةَ وصل بين الجمهور والمسؤولين، كما هو واجب الصِّحافة.

إنَّ الصحفيَّ الذي يريد أن يُرضيَ ضميرَه لا بدَّ أن ينتقد بعض الأوضاع؛ سواء في الدوائر الرسميَّة، أو في الشركات، أو في أمور اجتماعيَّة أو اقتصاديَّة أو غيرها.

وقد لا يكون كلُّ مسؤول أو موظَّف عنده الاستعداد لتحمُّل النَّقد وفَهم رسالة الصِّحافة النَّزيهة، بل ربَّما فسَّر بعض كلامهم بما لا يَحتمل، وظنَّ ظنَّ السَّوء بالكاتب والجريدة، ورَماهما بكلِّ ما شاءت به نفسُه! وصبَّ

(١) "اليمامة" العدد (٤٠٧)، في ٢٢/ ٣/ ١٣٨٣.

(٢) الموارَبة: المُخاتَلة والمداهاة.

عليهما جامَ غضبه.

وهذا النَّمط من الناس لا يَفهَم الصِّحافة إلَّا أنَّها تطبيلٌ وتزمير، وكيلُ مديح بدون حساب، حتَّى لمن ليس بذلك جديرًا.

إنَّ الصحفيَّ يتعرَّض للمتاعب المختلفة، ومن الإنصاف أن يُحمَد له موقفُه إذا ما صدَع بقولة الحقِّ مع اقتناعه أنَّه قد يُساء إليه شخصيًّا، وقد يكون عُرضةً لخسائرَ مادِّية، ومن العدل أن يكون للصِّحافة حمايةٌ؛ حتى لا تتحكَّم فيها الأهواء، ولا تكون ألعوبةً في يد من يريدون الثَّناء الزَّائف، ومن لا يطيقون النَّقد الهادف البنَّاء.

وحريٌّ بوزارة الإعلام أن تقفَ إلى جانب الصِّحافة النَّزيهة الصَّريحة ضدَّ من يريدون لها التَّحطيم؛ كرهًا للنَّقد، أو لحاجةٍ في نفس يعقوب، فيتَّخذون لذلك شتَّى المعاذير وألوان الذَّرائع، ولا ريب أنَّ الحكومة ستؤيِّد وزارة الإعلام في هذا.

إنَّ رئيس الحكومة وكثيرًا من المسؤولين لا يكتمون ترحيبهم بحرِّية الصِّحافة النَّزيهة وامتنانهم من صراحتها المعتدلة.

إلَّا أنَّ هناك أناسًا لا يُرضيهم مثلُ ذلك الموقف العادل، فيقفون ضد الصَّحيفة، ويهدِّدون ويُرعِدون ويُبرقون، ويَدعون بالوَيل والثُّبور وعظائم الأمور للصَّحيفة وكتَّابها ومحرِّريها، إذا ما وُجِّه إليهم أيُّ نقد، فهل من المعقول أن يكونَ الصحفيُّ ضحيَّة لهذه المهازل المضحكة؟!

إنَّنا لا نشكُّ في أنَّ الحكومة لا تَرضى بهذه السَّخافات التي يريد البعض فرضَها على الصِّحافة المجاهدة، ونأمُل أن نرى حدًّا لأمثال هذه الأشياء التي لا تتماشى ومنطقَ العصر والعقل والضَّمير.

الصِّحافة النَّزيهة[١]

الصِّحافة لها دورٌ كبير في التَّوجيه والقيادة، وهي بحكم أنَّها مرآة تعكِس الواقع، وتحاول إصلاح المعوجِّ، واستمرارَ المستقيم وصلابتَه.

فهي لهذا تنتَقِد، ومن مهمَّاتها الأساسيَّة النَّقد، ولكن يجب أن يكون بنَّاء هادفًا بأسلوبٍ مرتفع عن التبذُّل والشَّتيمة، والصِّحافة لا تقتصر في تناولها على فئةٍ دون فئة ولا فريق دون فريق، وقد تُغضب أناسًا ويتضجَّر منها آخرون؛ لأنَّها تقول الحقيقة التي ربَّما كانت مُرَّة في حُلوقٍ تُنكِر طعمَ الماء من سَقَم.

والصحفيُّ بحكم عمله تتنازعه عواملُ شتَّى واتجاهاتٌ عدَّة؛ فهو يريد أن يُرضيَ ضميرَه ويؤدِّيَ واجبه العظيم، وهو في هذه الحال لا بدَّ أن يتألَّم من قولة بعض الناس؛ لأنَّه لم يأت بما يلَذُّ لهم من نغمة الإطراء وكاذب المديح، وقَلب المساوئ مَحاسِن، وهو يعلم أنَّه بهذا الصَّنيع سيتعرَّض لمتاعبَ وأذًى كثير، وهو من جهة أخرى يلوح أمامَه عامل الإغراء، والرُّكون إلى الراحة النفسيَّة واللذَّة المادِّية، والسَّلامة من المشاكل.

ولكنَّه يُدرك إن آثَر هذه النَّاحية فقد خان رسالته ولم يؤدِّ الواجب المناط به، ثمَّ إنَّه سيفقد ثقة الشَّعب به، وسينظر المواطنون له على أنَّه بعيد عن أحاسيسهم ومَشاعرهم، وأنَّه لم يفهَم واجبَه في التَّعبير عن آمالهم وآلامهم، ولم يكن همزةَ وصل بينهم وبين المسؤولين عن شؤون بلادهم.

والصحفيُّ أيضًا، إن لم يشعر بأهميَّة رسالته فسوف لا يسير مستقيمًا،

---

(١) "اليمامة" العدد (٤٣٤)، في ١٣٨٣/٦/٢٧.

وقد يطلب منه الكثيرون أن ينحرف عن واجبه، وأن يُشبع نَهمَهم بأقاصيصَ منحطَّةٍ وأخبار بذيئة، وصور خَليعة.

ونرى في بعض الصُّحف في البُلدان العربيَّة هذه المصائب حتَّى لجأَت بعض الصُّحف هناك إلى الشَّعوذة والدَّجل، وقراءة الطَّالع وأحداث النُّجوم من بقايا خُرافات الجاهليَّة ووثنيَّتها.

وكلُّ ذلك لأنَّ هؤلاء لم يؤدُّوا واجبهم العظيم، وآثَروا السَّلامة والكسب المادِّي، وإشباع غريزة المراهقين وأشباهِهم.

وإذا نظَرنا لصِحافة بلادنا وجَدناها نظيفة نسبيًّا، فهي لا تَسقط إلى الحضيض، ولا تُسِفُّ في النَّقد إلَّا نادرًا، ولا تنشر الصُّور الخليعة والحكاياتِ الماجنة، ولا تبتَذِل في أسلوبها، وتعبِّر بقدر الإمكانيات المحدودة عن رأي الأمَّة وآمالها وآلامها، وعلى حدِّ استطاعتها! رغم كلِّ الصِّعاب والمشاكل.

وهذه الصَّحيفة قد ساهمت بقَدر ترى أنَّه بعضُ واجبها، والقائمون عليها لا يدَّعون أنَّها وصلت إلى حدٍّ يُرضيهم، ولكنَّهم يَسيرون في الطَّريق إلى تطويرها والنُّهوض بها.

ولا نريد أن ندَّعيَ لأنفسنا دعاويَ عريضة، ولكن حَسبُنا أنَّ ضمائرنا مرتاحة بما قُمنا به من مجهودٍ متواضع، نعتقد أنَّه واجبُنا دينًا ووطنيَّةً وإخلاصًا، ولا نقول: إنَّنا معصومون عن الأخطاء؛ فكلُّنا بشر، والبشر خطَّاؤون، وإنَّنا نترك لضمير القارئ وحُسن تقديره الحكمَ على ما قدَّمناه لهم، وكلُّ ما نتمنَّاه أن يكون حُكمًا بعيدًا عن الهوى والشَّطط، وما توفيقُنا إلَّا بالله، وهو حَسبنا ونعم الوكيل.

حوار حول الصِّحافة[1]

قال لي: ألَم تلاحظ شيئًا في صِحافتنا؟ قلتُ: ماذا تَعني؟

قال: هذه الصُّحف التي تَحذو حَذو بعضِها حتَّى غدَت تُشبَّه بالممثِّل الذي يُحاكي الأصواتَ والأشخاص؟

قلتُ: ما زلتَ غامضًا، فهل توضِّح كلامك؟

قال: إنَّني لا أعني جميع الصُّحف، ولكنَّ بعضها يريد التَّقليد فلا يُحسِنه، فيصبح كمِشية الغُراب المعلومة!

قلتُ: وحتَّى هذا يحتاج إلى تبيان!

قال: ما إن نَسمع أو نَقرأ في صحيفة حديثًا مع شخص من الناس، حتَّى نرى صُحفًا أخرى تُسارع لِتَحظى بحديثٍ مع ذلك الشَّخص، مع قطع النَّظر عن أهميَّة الحديث وجَدواه للقرَّاء.

تصوَّر أنَّ صحيفة تُجري حديثًا مع كاتب أو موظَّف أو فنَّان أو عُمدة، فلا يكاد يَطلُع بصُوره وحركاته حتَّى تراه في صحف أخرى، وفي وقت قريب جدًّا! كأنَّه لا يسدُّ الفراغَ إلَّا ذلك الشَّخص بذاته، مع أنَّ في الإمكان الاستعاضةَ عنه بحديثٍ مع شخص يُشبِهه في الوظيفة والصَّنعة، وبذلك يصطاد عصفورين بحجر، ويستفيد القارئُ الجديدَ بدلًا من تكرار مُمل.

قلتُ: إنَّها فكرةٌ جديرة بالدِّراسة والتنفيذ، وسأحاول نقلَها بأمانة، وأرجو أن تجدَ العنايةَ الكافية، ولكن قل لي: وماذا بعد؟ فربَّما لديك أفكارٌ

(١) "المنهل" المجلَّد (٢٦) شهر رمضان ١٣٨٥هـ.

واقتراحات لها وزنُها واعتبارها في عالم الصِّحافة.

قال: نعم؛ ما دُمت تريد المزيد فخُذه: نقرأ أحيانًا خبرًا عاديًّا أو طريفًا، وبعد أسبوع أو أقلَّ أو أكثر نراه في صحيفة محليَّة أخرى وكأنَّه ورَدها لساعتِه، وقد أُبرِز بشكل ملفت للنَّظر، ويقابل القارئُ هذا العملَ بالامتعاض؛ إذ لا فائدة من ورائه.

قلتُ: وهل تستطيع إيرادَ أمثلةٍ لذلك؟

قال: إنَّها كثيرة ولكنِّي لا أودُّ؛ تجنُّبًا للإحراج وإثارةِ المتاعب، وعند القرَّاء من المعرفة ما يكفي عن إيراد أمثال وتشخيص لوقائع هذه التصرُّفات.

قلتُ: وهل لدَيك - أيضًا - شيءٌ تَقوله نحو الصِّحافة؟

قال: التَّعليقات السِّياسيَّة قليلة، وأحسب أحيانًا أنَّ صِحافتنا لا تُواكِب الأحدث السَّريعة المتلاحِقة، ممَّا يجعل القارئ يُشيح عنها، ويَعتبرها بعيدةً عن نفسيَّته.

قلتُ: أخشى أنَّك تشتطُّ بهذا الكلام في الحُكم.

قال: هذا رأيٌ لا أُلزم به أحدًا ولا أَنفي عنه الخطأ، ولكنَّني الآن مقتنِع به، فإلى أن يأتيَ ما يُناقضه ويظهر غَلطَه فسوف أتمسَّك به.

قلتُ: وهل هناك شيء آخر؟

قال: أجل؛ إنَّ بعض الكتَّاب انتقد صحفًا محليَّة؛ لأنَّها تنقُل التعليمات والتَّحقيقات من صحف أجنبيَّة، وطلب أن تبذلَ صحافتنا جهودًا كبيرة للحصول على ما تريد؛ لا أن تكون عالةً على صحافة الغير وما بذَله الآخَرون من مجهود كبير، وهو نقدٌ معقول، كما أنَّ اللَّمسات الخفيفة قد

أوشكت على الانقراض من صحافتنا كأن ليس في الإمكان أبدَعُ ممَّا كان.

قلت: هذا موضوعٌ شائك!!

قال: وأُضيف: وهذه الصَّفحات الفنِّية، والاهتمام بالأخبار الرياضيَّة إلى حدٍّ يَظنُّ معه من يُطالع صحُفنا أنَّ شعبنا قد انقلَب بين عشيَّة وضُحاها إلى فئتين: الفنَّانين، والرِّياضيِّين لاعبي الكرة وما في معناها، وكفى.

قلت: ولكنَّك لم تخبرني ما يعجبك في صحافتنا، فهل يعني هذا أنَّه لا شيء يُعجِب فيها في نظرك؟

قال: كلَّا؛ بل إنَّني معجب بترفُّعها وابتعادها عن المُهاتَرات الشخصيَّة، والأحاديث المبتذَلة، والأخبار التي تُبلبل الأفكار.

قلتُ: وماذا غير ذلك؟

قال: ويعجبني ما تَنشره من مقالات دينيَّة وبحوث هادفة، وأتمنَّى أن تقومَ بواجبها من هذه الناحية، فهي صحافة تَصدر من بلاد شعَّ منها نور الإسلام، وفيها وُلد محمَّد رسول الله ﷺ وعاش وتُوفِّي، وفيها قِبلة المسلمين، وهي قَلب بلاد العرب، وإليها يتطلَّع المسلمون في المشارق والمغارب.

قلتُ: حسَنٌ ما قلت، وإنِّي أنقُل كلامك هذا بحذافيره للقرَّاء، فهو كما يبدو بعيدٌ عن الأغراض والتحامل، وهدفُه التَّوجيه وإبداء الرأي في نَزاهة واتِّزان.

قال: أتمنَّى أن نلتقيَ مرَّة أخرى، وأستودعك الله.

خطورة في دنيا الصِّحافة[١]

بعد سنَة من كفاح مَرير في دُنيا الصِّحافة، ومُلاقاة المشقَّات والمصاعب تغلَّبتِ العزيمةُ على الوَهن، والصَّبر على الدَّعة، والإقدامُ على الخمول. وفي مَطلع سنة جديدةٍ من عُمر صحيفة يَبزُغ فَجر جديد في تطوُّر "اليمامة" المكافِحة؛ وذلك بصدورها نصفَ أسبوعيَّة مؤقَّتًا، وعسى ألَّا يَطول الانتظار لتكون يوميَّة، تُسهِم بنصيبٍ وفير في صِحافة بلادنا النَّاهضة، وتكون مِشعلًا ينير الطَّريق.

وإنَّنا لنَذكر المراحل التي مرَّت بهذه الصَّحيفة خلال عام، ولا يتَّسع المجال لِسَردها، وإن كان المرء يشعر بالاعتزاز إذا ما أدَّى عملًا نافعًا نحو دينه وبلاده وأمَّته، أو قام بمجهودٍ أدبي أو مادِّي في هذا السَّبيل. وعندما تحوي هذه الصَّحيفة مادَّة دسمة وثقافةً هادفة، واقتراحاتٍ إصلاحيَّة، فإنَّنا نُحِسُّ براحةِ ضمير، وتفاؤل بالقيام بواجب الصِّحافة على قدر الطَّاقة، أو المحاولة على الأقل.

ونَذكر بالتَّقدير موقف الإخوان الذين أسهَموا بكتاباتهم وآرائهم وثِقَتهم في صَحيفتهم.

ونحن نُدرك أنَّ إرضاء الجميع هو رابع المستحيلات، ومع هذا فنتمنَّى أن تكونَ الصحيفة وسيلةً للصِّلات الطيِّبة، ولن نَيئس أو نَقطع الأمل، من أولئك الذين لا يَرضَون عن صحافة بلادهم، ولا يُقدِّرون الجهود المبذولة، والذين لا يُعجبهم العجَب، ولا الصِّيام في رجَب؛ من هؤلاء مَن هدفُه سامٍ

(١) "اليمامة" العدد (٣٦٦)، في ٢٦/ ١٠/ ١٣٨٢.

ومَرامُه كريم، ويريد النُّهوض والتطوُّر في الصِّحافة ولكنَّه يجهل المصاعب والإمكانيات، ومن هؤلاء مَن هو مندفِع لغايات خاصَّة أو لاتِّجاهات أُخَر، أو مَن فقَد الثِّقة في نفسه وفي وطنه وأمَّته فلا يُعجبه إلَّا ما يأتي من خارج الحدود، ونَذكر بيت الزَّهاوي:

ولا يَعدَمُ الإنسانُ طولَ حياتهِ صَديقًا يُواسي أو عدوًّا يُعاكِسُ

وقول البُوصيري:

قد تُنكِرُ العينُ ضوءَ الشَّمسِ من رَمَدٍ ويُنكِر الفَمُ طعمَ الماءِ من سَقَمِ

وبعدُ؛ فلعلَّ من حسن الحظِّ أن يكونَ موعد صدور "اليمامة" نصفَ أسبوعيَّة في وقت يبشِّر بنهضةٍ عظيمة لهذه البلاد الغالية؛ فمشروع إذاعة الرِّياض - عاصمة البلاد - سيَنتهي قريبًا، وسيُدوِّي صوت البلاد عاليًا مجلجِلًا، وهي فرحة عارمة طالَما تَلهَّف لها المواطنون، وها هي تباشير النَّهضة الصِّناعيَّة تَلوح فتَبسِمُ الآمال.

فها هو رئيس الحكومة يُعلِن في خطابه في الدَّمَّام: «عَزْم حكومة صاحب الجلالة على أن تؤسِّسَ مَصانعَ في البلاد، وأوَّلها مصنعٌ للمشتقَّات الكيميائيَّة من الغاز الطبيعيِّ، يكون في هذه المنطقة، ومعهد للبترول والمعادن يكون كذلك في هذه المنطقة، وستسعى حكومة صاحب الجلالة باستثمار المعادن الموجودة في بقيَّة أنحاء المملكة، وستنشئ مصنعًا للحديد والصُّلب في القريب العاجل إن شاء الله، وبدأت الدِّراسات والتنقيب عن الثَّروة البتروليَّة في المنطقة الغربيَّة، ونحن مجتهدون للوصول إلى استخدام الذرَّة، وإنشاء أفرانٍ ذرِّية بعد أن تتمَّ الدِّراسات التي بُدئ فيها من الآن».

إنَّنا لا نريد أن نزعجَ القارئ العزيز بمشاكل الصِّحافة ومَتاعبها، ولكنَّنا

نقول: إنَّ لنا مبادئَ ومُثلًا نُدافع عنها ونَذود عن حياضها، وإنَّا لنتعشَّم[١] أنَّ القارئ لا ينكر أنَّ هذه الصَّحيفة تسير على هُدًى واضح، وطريق لاحِب[٢]، ومبادئَ ثابتة.

ونَطمع أن يكون التَّعاون وثيقًا بين الصَّحيفة والقارئ؛ بإبداء الرَّأي والتوجيه، والنَّقد والملاحَظة، فتلك وَقود الصَّحيفة وعوامل تقدُّمها ونجاحها.

هذا؛ وإنَّا لنَرجو من الله العليِّ القدير أن يوفِّقنا جميعًا، وأن يقِيَ هذه البلاد الطيِّبة الشُّرورَ والمكائد، وأن يوفِّق أبناءها - شعبًا وحكَّامًا - إلى ما فيه مجدُها وازدهارُها.

(١) نتعشَّم: نتطمَّع ونتأمَّل.
(٢) لاحب: مضيء.

الموظَّفون والصُّحف والقرَّاء[1]

أثارَ القرارُ الذي تبلَّغته الصُّحف منذ أيَّام، والذي يَعني مَنع الموظَّف العموميِّ من نقد الحكومة في الصُّحف والنَّشرات - تساؤلاتٍ كبيرة، وسبَّب ارتباكًا لا في وسط الصحفيِّين ورؤساء التَّحرير وحدَهم، وإنَّما في أوساط الكتَّاب والقرَّاء والجمهور أيضًا؛ فمثَلًا رئيس التَّحرير أو من ينوب عنه كان القرار بالنِّسبة له مفاجئًا لم يحسُب حسابه، سيَّما بعد أن أكَّد رئيس الحكومة غير مرَّة ترحيبَه بالنَّقد النَّزيه والاقتراح الهادف، وتعاون الصِّحافة مع الحكومة في الملاحظة والإرشاد، وما إلغاؤه الرَّقابة على الصِّحافة وزفُّه البشرى بنفسه إلَّا دليلٌ قاطع على أنَّ الصِّحافة قد فُسِح لها المَجال، وفُتح الطَّريق واسعًا أمام الكتَّاب بما فيهم الموظَّفون ليقولوا رأيَهم الموجَّه صريحًا بلا وجَل.

وأصحاب الصُّحف بعد ذلك قد وقَعوا في حَيرة؛ نظرًا لغموض القرار المبلَّغ لهم من قبل المديريَّة العامَّة للإذاعة والصِّحافة والنَّشر، فهو لا يدري التَّحديد لكلمتَي (نقد) و(موظَّف عمومي)، وما هو النَّقد الذي لا يَدخل في مَرامه، ثم هو أمام الكتَّاب والقرَّاء في موقف حرج؛ فالقرَّاء يتلهَّفون للكتابات المتجاوبة معهم، وعلى النَّمط الذي يُعالج مَشاكلهم الواقعيَّة، وللكتَّاب الذين هم همزة الوصل بينهم وبين المسؤولين في الإعراب عن احتياجاتهم، وينطقون بلسانهم ليبلِّغوا ما يَعجِز أولئك عن التعبير عنه.

والكاتب يبعث بعُصارة أفكاره، وما يحسُّ به في مجتمعه ومشاكله

---

(١) "القصيم" العدد (؟)، في ٩/ ٢/ ١٣٨٠.

للصَّحيفة لنَشره، تَدفعه رغبةٌ ملحَّة في المساهمة في إيجاد حلولٍ للمشاكل، وتعاون مع السُّلطة في التخفيف من المتاعب.

ولكنَّ صاحب الصَّحيفة يقف متلكِّئًا - بين نشر المقال - وهو بذلك يُرضي الكاتب والقرَّاء، ويتجاوب مع الشعب في مطالبه وآماله، وبين إهمال المقال وإيداعه سلَّة المهملات، وهُما أمران أحلاهما مرٌّ.

إنَّ النَّقد إذا لم يكن متطرِّفًا، والاقتراح إذا كان في حدودٍ معقولة، وبأسلوبٍ معتدل، وضمنَ دائرة الدِّين الكريم والخلق القويم - فمن الخير أن يُقال ويُنشَر، وكم فكرةٍ غَفل عنها كبير، فانتبه لها صغير! ورأيٍ سديدٍ وجَّه إليه مغمور! وكم مسؤولٍ منشغِلٍ بأعماله الضِّخام، ومسؤوليَّاته الجِسام، هو في حاجةٍ إلى من يَمحَضه النُّصح، ويُبدي له الحقيقة بلا مجاملة تطمِس الواقع وتشوِّه الحقائق، فلا يجدها عند كثيرين من مريدي المنفعة الشخصيَّة، وذوي التزلُّف والملَق، ولكنَّه قد يجدها في كلمة كاتب تدفعه غَيرةٌ كريمة، وإخلاصٌ مَكين، في زاوية الصَّفحة!

ومرَّة أخرى: إنَّ الغموض في القرار يسبِّب القلق!

وإليك أمثلةً لذلك: لو كتب موظَّف يطلب، ويَلفت نظرَ وزارة الزِّراعة إلى حدوث وباء في مزرعةٍ ما، أو: لو كتب موظَّف يطالب الوزارة - المحترمة سالفة الذِّكر - أن تهُبَّ لنجدة بلاد مهدَّدة بالموت من الظَّمأ كما هي الحال في السدير، فهل يعتبر مثل هذا نقدًا أو اقتراحًا محظورًا في رأي المديريَّة العامَّة؟!

ولو أنَّ موظَّفًا حكوميًّا عرض وجهة نظره في تصرُّف مقاول تحمَّل فوق ما تنوء به العُصبة أولو القوَّة من المقاولين ثمَّ تباطأ في عمله، أو لو أنَّه

أقصى أبناءَ البلاد واستبعدَهم من العمل ليقرِّب أجانب غيرهم؛ لحاجة في نفس يعقوب، فهل هذا الكاتب يعدُّ قد تخطَّى حدود القرار، أم إنَّه داخل أسواره؟!

ولو أنَّ موظَّفًا حكوميًّا - في شرقيِّ مدينة الرِّياض، كتب في صحيفة محلِّية يدعو أمير مدينة الرِّياض لزيارة المحلَّة ليرى بنفسه قلَّة الماء، وتوقُّفه أيَّامًا عنهم، بينما المياه في أماكنَ أخرى ولأُناسٍ مخصوصين تُنفَق بإسراف، ولو أنَّه نبَّه إلى مضارِّ الأوساخ، وتراكم القاذورات في الشوارع والأزقَّة، وما يمكن أن ينجُم عنه من أخطار تهدِّد صحَّة المواطنين، هل يكون ذلك خروجًا على ما رُسِم، أم أنَّه لم يقل إلَّا ما يستوجِب الاستفسار، لا السَّخط؟!

وقُل مثل ذلك عن أشياءَ كثيرة.

إنَّنا نكتب هذه الكلمات المتواضعة، وكلُّنا أمل أن يزولَ القلق والارتباك، واللهَ نسأل أن يوفِّق الجميع حكومةً وشعبًا إلى ما فيه الخير والفلاح.

هل جنَتِ الصِّحافة على التأليف؟[1]

عندما يَسمع الإنسان بقصص العلماء الأقدَمين ومؤلَّفاتهم الكثيرةِ في شتَّى الفنون، يأخذ منه العَجبُ مآخِذ، ويكاد لا يصدِّق وهو يقرأ التَّاريخ أنَّ ذلك العالِمَ قد ألَّف هذه المؤلَّفات كلَّها، ومنها ما يعجِز عن تأليفه عددٌ كثير من العلماء.

ونتساءل: هل إنَّ للصِّحافة في العصر الحاضر أثرًا في تضاؤل حركة التأليف؟ وإن شئتَ فقُل: العجز عن التأليف بالطَّريقة التي يمتاز بها كثيرٌ من مؤلَّفات الأقدمين في الإفادة والجَودة؟ ولكنَّنا لا نَعدَم في هذا العصر بعضَ علماء لهم آثارٌ قويَّة، أو إنَّ هناك أسبابًا أُخَر؟

إنَّني أدهَش عندما أعلم بمؤلَّفات الإمام أحمد وفتاواه، وأبي الفرج عبد الرَّحمن بن عليٍّ المعروف بابن الجوزيِّ الذي قيل: إنَّه سُئل مرَّة عن مؤلَّفاته فقال: إنَّها زيادة على ثلاثمئة وأربعين مصنَّفًا، منها ما هو عشرون مجلَّدًا ومنها ما هو كُرَّاس واحد.

ومنهم أبو الوفاء عليُّ بن عَقيل، من مؤلَّفاته كتاب "الفنون" في أكثر من مئة وخمسين مجلَّدًا.

وابن عُروة الحنبليُّ شرح "المسند" بكتابٍ سمَّاه "الكواكب الدَّراري، في ترتيب مسند أحمد على صحيح البخاري" في أكثرَ من مئة وخمسين مجلَّدًا.

---

(١) "اليمامة" العدد (٤٦٣)، في ١٩/ ١٠/ ١٣٨٣.

وشيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة، قال الذهبيُّ: «ولعلَّ فتاواه في الفنون تبلغ ثلاثمئة مجلَّد، بل أكثر».

وقال عنه تلميذه محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بعد أن ذكَر له نحوًا من ثلاثمئة وخمسة وستِّين مؤلَّفًا بين صغير وكبير: وله من الأجوبة والقواعد شيءٌ كثير غيرَ ما تقدَّم ذِكره، يشقُّ ضبطُه وإحصاؤه، ويعسُر حصره واستقصاؤه.

وجلال الدِّين السُّيوطي زادت كتبه عن ثلاثمئة كتاب، وياقوت الحَمَويُّ له "معجم البلدان" و"معجم الأدباء" وغيرهما، وأبو الفرج الأصفهاني في كتابه "الأغاني".

وأبو محمَّد بن حَزم الذي قال عنه ولَدُه أبو رافع إنَّه اجتمع عندَه بخطِّ أبيه من تأليفه نحوُ أربعمئة مجلَّد تشتمل على قريبٍ من ثمانين ألفَ ورقة.

ومحمَّد بن جرير الطَّبري في كتابَيه في "التَّفسير" و"التَّاريخ"، والحافظ ابن كثير.

والحافظ ابن حجر العسقلاني شارح "صحيح البخاري"؛ فقد بلغَت مصنَّفاته أكثرَ من مئة وخمسين مصنَّفًا، والزَّبيديُّ صاحب "تاج العروس، شرح القاموس".

وحسن صدِّيق خان تَزيد مؤلَّفاته على مئتي كتاب، ومن علماء الهند أيضًا الشيخ عبد الحيِّ بن عبد الحليم اللَّكنوي ومؤلَّفاته نحوُ مئة وعشر كتب، ومحمود حسن خان التونكي له مصنَّف سمَّاه "معجم المصنِّفين" كدائرة معارفَ يقع في ستِّين مجلَّدًا، يحتوي على عشرين ألفًا من الصَّفحات المطبوعة، وعلى تراجم أربعين ألفًا من المصنِّفين منهم ألفان باسم أحمد،

والدكتور سليمان النَّدْوي له مكتبة كبيرة من مؤلَّفاته في السِّيرة النبويَّة والتاريخ والشريعة الإسلاميَّة والأدب.

ومن العلماء الذين لهم جهود في التأليف: محمَّد فريد وجدي صاحب "دائرة المعارف"، وعبَّاس محمود العقَّاد الذي تُقارب كتبه الثمانين كتابًا، وغير هؤلاء من الأقدمين والمُحدَثين.

إنَّ هؤلاء العلماء مع كثرة مؤلَّفاتهم فإنَّك تجد فيها غزارةَ العلم والحرصَ على الدِّقَّة والتحقيق.

ولكنَّ كثيرين من الكتَّاب والأدباء في هذا العصر يغلِب عليهم في تأليفهم السَّطحية، وتقرأ الكثير من كتبهم فلا تخرج بنتيجةٍ واضحة، وقد يكون لتنميق الأسلوب، وللسُّرعة التي هي طابع العصر أثرٌ في ضحالة الإنتاج وقلَّة العمق.

ومرَّة أخرى أتساءل: ما السرُّ في ضعف التَّأليف؟ وهل للصِّحافة أثر في ذلك أم أنَّ طابع السُّرعة في العصر وكثرة متطلَّبات الحياة العصريَّة لا تدَع للإنسان مجالًا للتفكير والبحث يستطيع بعدهما أن يزوِّد القارئ بثمار مفيدةٍ ممتعة؟

ومضى عام![1]

منذ أن أُصدِرَت "اليمامة" نصفَ أسبوعيَّة انقضى عام، فبعد أن كانت أسبوعيَّة صارت نصف أسبوعيَّة كخطوة لجعلها يوميَّة، وكانت هناك آمالٌ جِسام؛ فقد كنَّا ننوي مفاجأةَ القرَّاء بصدورها يوميَّة بعد مضيِّ عام من صدورها نصف أسبوعيَّة، وكانت أفكارٌ وتقديرات ومُباحَثات مع بعض أصحاب المطابع لإخراج الفكرة إلى حيِّز الوجود.

بل كان أكثر من ذلك مشروع استيراد آلات طباعة وآلات تَنضيد الحروف من ألمانيا وبريطانيا، وكادت تتمُّ الصَّفقة، وبقي فتحُ اعتماد بواسطة أحد البنوك، وجرَت مفاوضةٌ مع أحد البنوك الكبرى لأخذ سُلفة من البنك، وفي هذه الأثناء طلع بيان وزارة الإعلام بإلغاء امتيازات الصُّحف فتجمَّد المشروع.

لقد كنَّا نعمل في صمت ودأب لإخراج "اليمامة" يوميًّا تلتقي بالقرَّاء مع طلوع الشَّمس من كلِّ يوم، وليكون توزيعها على نطاق واسع في جميع البلاد العربيَّة والإسلاميَّة، مع زيادة عدد المُراسِلين زيادةً كبيرة؛ ليكونوا في عدد من العواصم.

هذه آمالٌ كنَّا نحلُم بها ونسعى حثيثًا لتحقيقها، وقد استقلتُ من عملي كعضو في رئاسة القضاء من أجل تحقيق هذه الأهداف والتفرُّغ للجريدة، واليوم نرى أنَّ من حقِّ القرَّاء أن يعرفوا هذه الأشياء التي كنَّا نُؤثِر العمل لتحقيقها في صمت؛ لتكون مفاجأة سارَّة لكلِّ غَيور على تقدُّم بلاده

(١) "اليمامة" العدد (٤٦٢)، في ١٥/ ١٠/ ١٣٨٣.

ونهوضها في اعتدال ورسوخ.

ومن حقِّ القرَّاء أن يعرفوا أنَّ هذه الجريدة قد أُوقفَت عن الصُّدور قبل ثلاثة أشهر ثمَّ سُمِح لها بالصُّدور، ولا أريد التحدُّث عن العقبات والمشاكل، فإنَّ رسائل القراء ومشاعرهم الكريمة، وما نؤمن به من سلامة الاتِّجاه والشُّعور بخطر المسؤوليَّة، واعتقادنا أنَّ ميدان الصِّحافة ميدان جهاد لمن أخلص النيَّة، كلٌّ أولئك تخفِّف من قساوة العقبات وصعوبة المشاكل التي نُلاقيها.

إنَّنا ندرك أنَّ الصِّحافة كالتَّأليف، ومن ألَّف فقد استَهدَف، والصحفيُّ كالقاضي لا يمكن أن يُرضيَ جميع الأطراف المتنازِعة، ونعلم أنَّ الصِّحافة سلاحٌ ذو حدَّين، قد يُستعمل في أهدافه السَّليمة فيكون خيرًا ورشدًا، وقد يُطعَن به البريء فيكون ضارًّا وخاطئًا.

وإنَّنا نشعُر براحة ضمير على ما ننشره - بحسب الاستطاعة - من دعوةٍ إلى حقٍّ، وترغيب في خير، وإسهامٍ في إصلاح، هذا مع اعترافنا بالنَّقص، وعجزنا عن التَّمام وضعف الإمكانيَّات.

وبعد؛ فماذا نقول؟!

تحيَّة للقارئ الكريم، وتمنِّياتنا للجميع بالسَّعادة.

المجال رَحب[1]

إنَّ المرء الذي يودُّ أن يَخدُم عقيدته وبلاده سوف يجد المجال الرَّحب، والمكان المتَّسع، سواء عن طريق الصِّحافة بنشر الآراء الحرَّة والأفكار البنَّاءة، أم بطريق التأليف، أم بواسطة الإذاعة، أم بتأسيس المشروعات النافعة والعمل المثمر، إنَّ المجال واسع، وإنَّ الصحفيَّ مكانه الطبيعي هو الصِّحافة، ولكنَّه إن تخلَّى عن الصِّحافة فأمامَه أيضًا أكثرُ من سبيل وطريق؛ يستطيع بها الإسهامَ في بناء وطنه وخدمة أمَّته والذَّود عن عقيدته، ونحن اليوم على أبواب تغيير جذريٍّ في نهج الصِّحافة وأسلوبها، ولا ندري ماذا ستكون عليه بعد هذه التغيُّرات؟!

وإن كنَّا متأكِّدين أنَّ هناك من سيتخلَّى عن المشاركة في الصُّحف كمساهم بماله ومسؤوليَّته، ولكنَّا لا نشكُّ أنَّ أولئك الصحفيِّين الذين لهم يدٌ طُولى، وباعٌ مَديد، وجهود تُذكَر فتُشكر سوف لا يدَّخرون وُسعًا في المساهمة الأدبيَّة في الميدان الصحفيِّ والإذاعي، وسوف لا يألون جهدًا في المشاركة الفعَّالة في خدمة بلادهم بشتَّى الطُّرق والوسائل، وأنَّ منهم من يجد التَّقدير البليغَ والإعجابَ الكثير سواء كان صاحبَ صحيفة أم غير ذلك، وإن كنَّا ندعو إلى أن تكرِّمهم الدَّولة، وأن تقدِّر جهودهم وجهادهم، وأن تستبقِيَهم في الصُّحف للاستفادة من توجيهاتهم النَّافعة، وليكون حافزًا لهم على مواصلة الجهاد والصَّبر على المشاق.

إنَّ حكومتنا أولى النَّاس بأن تكرِّم ذوي الفضل والعلم، وأن تضَعهم في

(١) "اليمامة" العدد (٤٦٥)، في ١٦/ ١٠/ ١٣٨٣.

طليعة الموجِّهين.

إنَّها مسؤولة عن هذا الشَّعب وهي متحمِّلة الأمانة، وواجبها أن تجعلَ وسائل التوجيه فيمن يَهدي إلى الخير، أمَّا من يريد نشر المبادئ الهدَّامة، والآراء الفاسدة فجديرٌ بها أن تُقصيَه عن ميدان التَّوجيه.

إنَّ ذلك واجبُها وإنَّها لذِكرى، نقولها في وقتٍ يَكاد يكون فاصلًا بين عهدَين؛ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥].

الصِّحافة السُّعوديَّة ومجلَّة روز اليوسف[(١)]

نُشر في مجلَّة "روز اليوسف" العدد **١٦٩٤** بقلم ممدوح رضا ما يَلي:

«بعض الصُّحف السُّعوديَّة تلجأ إلى أسلوبٍ جديد للتهجُّم على الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة، إنَّها تهاجم الصُّحف في إقليمَي الجمهوريَّة، وتهاجم كتابتها وتهاجم كتَّابها، كلُّ الصُّحف بلا استثناء حَظِيت بهذا الشَّرف، أريد أن أسأل: هل يَفهم السَّادة الكتَّاب السُّعوديُّون ما يَكتبونه؟».

هذا ما نشرَته المجلَّة المذكورة، وكان من المفروض أن يكون الردُّ من أصحاب الصُّحف السُّعوديَّة، وإبداء رأيهم حيال هذا الزَّعم، وسأُبدي رأيي دفاعًا عن الحقيقة، أمَّا أصحاب الصُّحف السُّعوديَّة أو بعضهم، على حدِّ تعبير كاتب "روز اليوسف"، فهم من قوَّة البيان والقدرة على دحض مثل هذه التخرُّصات بحيث لا يحتاجون إلى أن يَنبري للدِّفاع عنهم أحد.

ونحب أن نُطمئِنَ "روز اليوسف" وكتَّابها إلى أنَّ الصُّحف السُّعوديَّة لا تهاجم الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة؛ فليس بين المملكة والجمهوريَّة ثاراتٌ أو عَداوات حتَّى يكون هجومٌ ودفاع، هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية فإنَّ الصُّحف السُّعوديَّة لو كانت تريد مهاجمة الجمهوريَّة العربية المتَّحدة لهاجمَتها صراحة بلا لفٍّ ولا دوران، وما الذي يدعوها لذلك الاعتِساف حتَّى تهاجم الصُّحف كوسيلة لمهاجمة الجمهوريَّة، كما فهم هذا الكاتب المتعمِّق؟!

---

(١) مجلة "راية الإسلام" العدد التاسع، السنة الأولى، في شعبان ١٣٨٠.

أمَّا أنَّ بعض الصُّحف السُّعوديَّة تهاجم بعض الصُّحف في إقليمَي الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة وتنتقد طريقتها، وتحذِّر منها فهذا صحيح، ولكن ليس على ما فَهِمه الكاتب في "روز اليوسف"، بل إنَّ هناك أسبابًا غير ما ذكَره - حسَب اعتقادنا - هي ما تحتويه تلك الصُّحف من خلاعةٍ سافرة ومُجون متهتِّك ونبذ الدِّين والقِيم، وما تموج به صفحاتها من أخبار الخلاعة، والسَّهرات الحمراء.

من أجل هذا وأمثاله يحذِّر بعض الكتَّاب السُّعوديِّين الغَيورين من بعض الصُّحف المصريَّة التي تحمل في طيَّاتها السُّمَّ الفاتك، ومن بينها بكلِّ حال مجلَّة "روز اليوسف"، ووصيفاتها التي تسير على ذلك المنوال الذي وصَفناه، وليس فيما نقوله ما يدعو للاستنتاجات التي زعَمها كاتب "روز اليوسف" وكأنَّه اكتشف مخترَعًا هائلًا!

ولعلَّ الكاتب المبجَّل يتذكَّر ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر عند تأميم الصِّحافة المصريَّة حين قال: «إنَّها انحرفَت عن رسالتها، وإنَّها تسعى لإثارة الغرائز؛ طمعًا في الكسب، دون نظَرٍ للقِيَم والاعتبارات السَّليمة»، قال هذا الكلامَ أو ما يقرب منه وهو عين الحقيقة.

أمَّا إن كان الكاتب يقصد مهاجمة فكرةٍ معيَّنة، وأنَّ بعض الكتَّاب السُّعوديِّين يهاجمونها لأنَّها لا تتماشى مع الشَّريعة الإسلامية الغرَّاء فنعَم، ولكن الذي نعرفه أنَّ أولئك الكتَّاب يهاجمون الفكرة مع قطع النَّظر عن مصدرها.

فهم يهاجمونها سواء جاءت من الجمهوريَّة العربيَّة أم من غيرها، وليس لهم غرضٌ خاصٌّ في الجمهوريَّة العربيَّة.

وقد قرأتُ في صحيفة محليَّة انتقادًا لصحيفة مصريَّة؛ لأنَّها نقلَت منها تحقيقاتٍ صحفيَّةً دون أن تشيرَ إلى أنَّها نقلَتها من الصَّحيفة السُّعوديَّة، بينما الصُّحف الأجنبيَّة قد أشارت للمصدر، فإن كان كاتب "روز اليوسف" يَعني أنَّ هذا مهاجمةٌ للجمهوريَّة فما علينا إلَّا أن نقول: «عاشَت الأفهام العبقريَّة»!

أمَّا معظم الكتابات التي قد تنشُرها بعض الصُّحف السُّعوديَّة فهي لا تخرج عمَّا ذكَرنا.

وبقِيَت كلمةٌ أخيرة، وهي: لماذا اختار الكاتب ذلك التَّزوير، فزعَم أنَّ بعض الصُّحف السُّعوديَّة تهاجم الصُّحف في إقليمَي الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة بلا استثناء؟

ففي هذه الجملة تَجنٍّ على الحقيقة؛ فالذي نعلمه أنَّ الصِّحافة السُّعوديَّة لا تهاجم الصُّحف في الإقليم الشمالي، بل إنَّها لا تهاجم كلَّ الصُّحف في الإقليم الجنوبيِّ من الجمهوريَّة العربيَّة، وإنَّما تنتقد بعض الصُّحف في الإقليم الجنوبيِّ لما تحويه من سموم وشرور، فهي تنتقد مجلَّة "روز اليوسف"، و"آخر ساعة"، و"الجيل"، وأمثالها.

وتنتقد كتابات إحسان [عبد القدوس] صاحب (أدب السَّرير) على حدِّ تسمية الأستاذ الكبير أحمد عبد الغفور العطَّار، ومؤلِّف "الوسادة الخالية"، و"لا أنام"، وغيرهما.

وبعد، فقد كنَّا نودُّ لو أنَّ كاتب "روز اليوسف" فهم ما يريد الكتَّاب السُّعوديُّون أو بعضهم من نقدٍ لهذه الصُّحف، فسعى بما يُطيق لتوجيهها الوِجهةَ الصَّحيحة، وأن يقدِّم نصائحه لتلك الصُّحف علَّها تستقيم، بدلًا من

إشغال ذهنه، وكدِّ مخيِّلته ليصل لذلك الاستنتاج الغريب، على أنَّ ختام كلمته أشدُّ غرابة؛ إذ يقول: «هل يفهم السَّادة الكتَّاب السُّعوديُّون ما يكتبونه؟» ولا ندري ما رأيُه هو؟ فهل يظنُّهم يكتبون وهم في غيبوبة، أو يحسبهم ينقُلون من كتب الإنشاء المدرسي!

والعجيب أنَّ "روز اليوسف" ومثيلاتها لا تَذكر للصِّحافة السُّعوديَّة مواقفها وكتاباتها الكثيرة جدًّا في التأييد والمناصرة، ولكنَّها تكتب بأسلوب يُجافي الحقيقة، وهذا ما يُذكِّرنا ببيتَي شِعر قديم:

إن يَسمَعوا سُبَّة طاروا بها فرَحًا عنِّي وما يَسمعوا من صالِحٍ دفَنوا
صُمٌّ إذا سَمعوا خيرًا ذُكِرتُ به وإن ذُكِرتُ بسوءٍ عِندَهم أَذِنوا

وبعد؛ فإنَّ ممَّا يشرِّف الصِّحافة السُّعودية ألَّا تَرضى عنها مجلَّة "روز اليوسف"، ولنردِّد مع المتنبِّي:

وإذا أتَتكَ مَذمَّتي من ناقصٍ فهيَ الشَّهادةُ لي بأنِّي فاضلُ

حارِبوا هذه الصُّحف[1]

إنَّ من يتصفَّح المجلَّاتِ والجرائدَ التي تَزخر بها المكتباتُ التجاريَّة، يلاحظ أنَّ عددًا كبيرًا منها من مجلَّاتٍ وجرائدَ هي نوعٌ رخيص مبتذَل، لا يصلح أن يُسمَح بدخوله هذه البلادَ التي ما تزال محافِظةً إلى حدٍّ ما، ولا تزال تُعلن أنَّها تُحكَم بالشَّريعة الإسلاميَّة، وتعتزُّ بأنَّها هي الوحيدة في العالم - بما فيه المنتَسِبون للإسلام، المحكِّمون للقوانين الوضعيَّة المنافية للشريعة - تعتزُّ هذه البلاد بأنَّها تقيم حدَّ الزِّنى والخمر والسَّرقة... إلخ، غيرَ عابئة بالحمَلات الكلاميَّة التي يشنُّها الصَّليبيُّون وأذيال المستعمِر.

إنَّ بلادًا هذه حالها لا يَليق أن تَسمح بدخول تلك المجلَّات والصُّحف الماجنة التي تفنَّن أولئك الخُلَعاء في جعلها جذَّابة مغرية ومثيرةً للغريزة الجنسيَّة، وداعيةً للانحلال والرَّذيلة، إنَّها تحمل السُّمَّ الزُّعاف، وتنشر الصُّور العارية وأشباه العارية لمن يَدعونهم نجوم السِّينما، وفاتنات وملكات الجمال، والتَّعليقات الماجنة الإباحيَّة، وغيرها من قصص الغرام والحبِّ والهُيام، وألوان الانحطاط والسَّفالة، كلُّ هذا وغيره تزخر به أمثالُ تلك الصُّحف والمجلَّات التي تَصدُر من بعض البلاد العربيَّة، ثم تجد السُّوقَ الرَّائجة في بلادنا دون أن توقَفَ وأن تُعاد من حيث أتت.

إنَّ الناظر في حال هذه الصِّحافة، يستشعر أنَّ غزوًا منظَّمًا، من أخطر أنواع الغزو وأشدِّها فتكًا، غزوًا ثقافيًّا للأفراد والجماعات، للشَّباب والشابَّات، إنَّه غزو إباحيٌّ وإلحادي.

---

(١) مجلَّة "راية الإسلام" العدد الثاني، السنة الأولى، في محرَّم ١٣٨٠.

إنَّني كلَّما تأمَّلتُ وضع هذه المجلَّات والصُّحف، وانتشارَها في هذه البلاد أزداد عجَبًا واندِهاشًا: كيف يُسمَح بدخولها؟ وكيف لا تُردُّ من حيث أتَت، ويُقال لأهلها: هذه بِضاعتكم تردُّ إليكم، وأنتم أحقُّ بها؟!

لستُ أدري هل هذه الصُّحف تمرُّ على مراقبي الكتب والصُّحف ثمَّ يسمحون بدخولها، ويُسهِمون في نشرها بإذنهم وموافقتهم على انتشارها؟ أم أنَّها تمرُّ من طريق خاصٍّ ليس يَعلم به أولئك المراقبون؟

ثمَّ هل من حقِّ المُراقِب أن يَقتصر في مراقَبته على ما يُعرَض عليه فقط، أم أنَّ وظيفته تتعدَّاه إلى مُراقَبة المكتبات التِّجاريَّة؟ أم أنَّ الأمر موكولٌ لضمير أصحاب المكتبات، وفيهم مَن هَمُّه الرِّبح المادِّي مهما نتج عن تصرُّفه من مفاسدَ وانحلال، ونشرٍ للرَّذيلة ومساعدةٍ على إفساد الأخلاق؟

إن كان ذلك فهو عجيب! أمَّا إن كان السَّماح لها يتعلَّق برأي المراقب ومَوكولًا إلى حُسن نظَره، وقد رأى أن لا ضررَ من السَّماح بأمثال هذه المجلَّات الخليعة والصُّحف الدَّاعرة، فإنَّه ينبغي أن يُعادَ النَّظر في هذه الثِّقة، ومناقشة أصحابه.

أمَّا إن كان هناك أمرٌ بعدم التعرُّض لمثل هذه الصُّحف، وهو ما لا نظنُّه، فليَعلم الجميع أنَّ الواجب الدِّينيَّ والأدبي، وما يُمليه الضَّمير الحرُّ والمصلحة العامَّة، ومقتضى القيام بالأمانة وأدائها على وجهٍ صحيح - إنَّ هذه الأشياء كلَّها تقضي بمنع هذه الصُّحف منعًا باتًّا، وإرجاعها من حيثُ أُرسلت غير مأسوفٍ عليها، ولا ينبغي أن يكون للمُجامَلة والمداراة في ذلك أيُّ تأثير؛ فإنَّ المصلحة العامَّة أهمُّ بكثير، والواجب الدِّيني والأدبي أدعى

إلى التقديم من إرضاء حَفنةٍ لا تحترم مشاعر المسلمين ولا يهمُّها مصلحة عامَّة، وإنَّما هي تسير وراء مصالِحَ شخصيَّة.

وكثير من تلك المجلَّات تُموَّل من مؤسَّسات تبشيريَّة، ومن سفارات دول متعصِّبة على الإسلام والعرب، وتودُّ أن تقضيَ على الإسلام والمسلمين في طَرفة عين؛ ومن ثَمَّ فهي لا تفتَأ تعمل كلَّ وسيلة لتحطيم المسلمين، والقضاء عليهم ماديًّا ومعنويًّا.

إنَّها كلمة مخلصة نقولها صريحةً بدافعٍ من غَيرة، وإن أسخَطَت بعض ذوي الأطماع الذين لا يَعبؤون إلَّا بمصلحتهم الذاتيَّة، غيرَ مُكترثين بما تجرُّه من مفاسد، وما ينتج عنها من أضرار.

لجنة مراقبة[1]

نظرةٌ واحدةٌ إلى أيِّ صحيفة من صحُفنا المحلِّية تعطينا فكرةً عن احتياجاتنا الشَّديدة إلى العمل الجديد السَّريع، العمل الذي لا يَعرف التوانِيَ ولا التسويف، ولا غرابةَ في ذلك؛ فقد كنَّا متخلِّفين قرونًا من الزَّمان، واليوم يشعر المواطنون والمسؤولون على السَّواء بمدى هذا التخلُّف المروِّع!

وكلُّ مخلص يودُّ من صميم فؤاده أن يَرى ما بين غمضة عين وانتباهتها بلادَه وقد شقَّت طريقها صُعدًا، وخطَت خُطواتٍ جبَّارةً في مَيدان الرُّقيِّ والتقدُّم، ولها إمكانياتها الوفيرة؛ ما يؤهِّلها لأن تكون في طليعة البلاد المتطوِّرة إذا ما أحسنَت استغلالَ خيراتها، واستُعمِلت في وجوهها المثمِرة.

وإنَّ الإخلاص هو ما تريده البلاد في الدَّرجة الأولى، والتعاون المشترك بدافع من الغَيرة الوطنيَّة والشُّعور بالمسؤوليَّة، وإنَّ على الصِّحافة مرآةِ الشُّعوب أن تساهمَ بنصيب كبير في تنوير الأذهان، والإشارة إلى مَواطن النَّقص لكي تُتلافى، وإلى ما ينبغي تقديمه من المشاريع ليسبق الأهمُّ المهمَّ، وإنَّ الصِّحافة قد أدَّت كثيرًا من واجبها ويجب أن تقدِّم أكثر، والمهمُّ أيضًا أن يدركَ المعنيُّون بالأمر فائدة التعاون والتجاوب معها.

ومع هذا، فإنَّ هناك حقيقةً ملموسةً لا سبيل إلى تجاهُلها، وهي أنَّ بعض الدَّوائر التي تُوجَّه إليها الملاحظات والاقتراحات لا تجد لها صدًى لديها، وما فَتِئت تسير وَئيدًا وتمشي مشيًا سُلَحفائيًّا، وكأنَّها لا تكترث بما يُنشَر ولا تعبأ بما يُقال، بل ربَّما فسَّرت تلك الملاحظات المخلصة

---

(١) "البلاد" العدد (؟)، في ١٦/ ١٠/ ١٣٧٨.

تفسيراتٍ لا أساس لها من الصِّحة، مع أنَّ الواجب ألَّا يكونَ شيء من ذلك، وأن تنعكسَ القضيَّة، فيَصير التجاوب والتآزر تحقيقًا للمصلحة العامَّة، وسعيًا لما فيه الخير.

ولقد كانت خطوةً موفَّقة تلك التي رأيناها منذ أشهر، عندما كانت المديريَّة العامَّة للإذاعة والصِّحافة والنَّشر ترسل قصاصات من الصُّحف للجهات المعنيَّة، وتقوم تلك الجهات بدورها بجوابها؛ ليُنشر في الصُّحف، ولإطلاع الرأي العامِّ على رأيها في الموضوع، وقد توقَّفت المديريَّة المذكورة عن هذا العمل مع الأسف على ما يظهر.

وإنَّني أقترح أن تشكَّل لجنة تابعة لمجلس الوزراء، تخوَّل سلطاتٍ تمكِّنها من تعقُّب ما يُنشَر في الصُّحف وإرساله إلى جهة الاختصاص للردِّ عليه، ويتعدَّى صلاحيتها إلى مناقشة الجهة المعيَّنة، ورفع تقاريرَ تبيِّن وجهة نظرها، وتُناقَش في مجلس الوزراء؛ ليعلم المقصِّر أنَّه سيحاسَب على تقصيره؛ فيعمل جدِّيًّا حتى لا يُحوَج إلى العمل بعد الأخذ والرَّد.

وإنَّ هذا الاقتراح أعرضه وأرجو أن يجدَ قَبولًا لدى المسؤولين، وهم أدرى بالطريقة التي يرَونها أفضل في تشكيل الهيئة المذكورة ومدى صلاحيَّاتها.

واللهَ أرجو أن يوفِّق الجميع وأن يسدِّد خُطاهم.

الزَّيت في بلادنا

مفاوضات البترول[1]

كان مفروضًا أن تُستأنَف يومَ السبت ١٦/ ٤/ ١٣٨٢ المفاوضاتُ بين الحكومة وشركة الزَّيت العربيَّة الأمريكيَّة، ويَرأَس وفدَ المملكة وزيرُ البترول والثَّروة المعدنيَّة، كما يرأس وفدَ الشركة بروم من مدينة الدَّمَّام، إلَّا أنَّه تأجَّل الاجتماع على أن يُعقَد قريبًا.

والجدير بالذِّكر أنَّ هذه المفاوضات قد تأجَّلت مرَّتين قبل ذلك، ونأمُل أن تُسفِر هذه المُباحَثات عن نتائجَ إيجابيَّة مثمرة تُستردُّ فيها حقوقُ الشَّعب المهضومة من قبل أرامكو، ونودُّ أن تعرفَ هذه الشَّركة أنَّه لا يمكن السُّكوت كثيرًا عن إجحافها وعدم تلبيتها للمطالب الوطنيَّة.

إنَّ الوعي الذي دخل كلَّ بيت وقرية لن يُعفيَ الشَّركة من مسؤوليَّة تجاهُل المَطالب العادلة، ولتعلم الشَّركة أنَّها إن لم تستجِب للحقوق، فإنَّ هناك طرقًا من الممكن سلوكُها إذا دعَت الضَّرورة إلى ذلك، ومن بينها التأميم وإفساح المجال لشركات أخرى ومن جنسيَّات متباينة.

إنَّ هذه البلاد حكومةً وشعبًا تطالب بحقِّها العادل في النَّقل والتَّسويق والمساهمة في رأس المال ونقل إدارة الشَّركة إلى المملكة، واطِّلاع الحكومة على حسابات الشركة، وأخذ موافقتها من المنصرفات، ومساواة السُّعوديِّين بالأمريكيِّين، وبتفضيل العامل السُّعودي على غيره، وعدم فصل عمَّال وموظَّفين بطرقٍ تعسُّفيَّة، ورفع يدها عن المساحات الشَّاسعة التي لم تستغلَّها.

---

(١) "اليمامة" العدد (٣٤٣)، في ٢٤/ ٤/ ١٣٨٢.

وهذه وأمثالها ليست أشياءَ بسيطةً حتى يمكن التَّساهل فيها مع الشركة، وإنَّما هي تتَّصل اتِّصالًا وثيقًا بآمال الشَّعب وثروته، وتصريف اقتصاده وشؤونه البتروليَّة.

إنَّ الشَّركة إذا كانت راغِبةً في التعاون فعليها أن تَفهمَ وجهة النَّظر السُّعوديَّة، وأن تُدركَ أنَّ المماطلة والأساليب الملتوية لن تكون في صالحها إطلاقًا.

ولا نحسب أنَّ الشركة ستستمرُّ في عملها هذا وتُفرِّط في ثقة الحكومة والشَّعب، وبالتالي تُغامر بمستقبلها في استخراج الزَّيت ومَصالحها الكبيرة في هذه البلاد.

إنَّنا نعلم أنَّ الشَّركة ستُبدي أعذارًا، وتعتلُّ بتعليلات عدَّة؛ كدعوى انخفاض سعر الزَّيت والمنافَسة الحاصلة من البُلدان الأخرى، ولكنَّا نعلم أنَّ هذه الأعذار كلَّها للتَّمويه، والاستمرار في الاستغلال.

إنَّنا نقولها صريحةً: إنَّ الشَّركة إذا كانت تريد التعاون فعلَيها أن تَفهم جيِّدًا عدالة المَطالب السُّعوديَّة وإنصافها.

مفاوضات الزَّيت أيضًا[1]

في يوم الاثنين الموافق ٢٥/ ٤/ ١٣٨٢هـ، ٢٤ سبتمبر ١٩٦٢م، كان بَدء المفاوضات بين الحكومة السُّعوديَّة - يمثِّلها عددٌ من الأشخاص في طليعتهم وزير البترول والثَّروة المعدنيَّة - وبين شركة أرامكو، بعد أن تأجَّلت أربع مرَّات، عُقِدت في مدينة الدَّمَّام.

وقد اعتَذر بعضُ موظَّفي الشركة العربيَّة الأمريكيَّة وشركة التابلاين عن الحضور لأسبابٍ ادَّعوها.

وقد جاءت هذه الاجتماعات بعد مُماطَلة وتسويفٍ من الشركة، ومع هذا فإنَّ النتائج غيرُ معروفة، وما إذا كانت الشَّركة ستستجيب للمطالب الوطنيَّة العادلة.

إنَّ من عادة شركات الاستغلال ألَّا تنقادَ بسهولة، وأن تدعمَ مَواقفها غير المنصِفة بمبرِّرات، وأن تحتال بشتَّى الحِيل للتهرُّب من فرض الحلول العمليَّة للمشاكل المعلَّقة؛ حتَّى لا تفقدَ جزءًا من أرباحها الخياليَّة، وحتَّى لا يُنتقَص ببعض نفوذها، ولا يُحدَّ من سلطان تصرُّفاتها المجحِفَة.

إنَّنا نعرف سلفًا أنَّ الشركة ستتنصَّل ممَّا يُقال عن تعسُّفها وعن استغلالها، وستَلبَس مُسوح الرُّهبان، وتَقمَّص رداء الحرص على مصلحة الحكومة والشَّعب؛ حرصًا على مصلحتها هي! وتعتلُّ بانخفاض أسعار الزَّيت وتتبرَّأ من المعاملة السيِّئة للعمَّال المواطنين، وتقول أشياءَ كثيرة

(١) "اليمامة" العدد (٣٤٤)، في ١/ ٥/ ١٣٨٢.

لا نصيبَ لها من الصِّحَّة أو المنطق سوى السَّفسطة والتمويه.

ونحن لا نريد من هذه الشَّركة عطفًا أو إحسانًا، ولا نريد أن نستجديَها في العطاء، وإنَّما نحن أصحاب حقٍّ، والأرض والزَّيت مِلكُنا، ونَودُّ أن تُدركَ الشَّركة أنَّنا لا نطلب مِنحة أو هِبة.

وبالتالي؛ فإنَّ الشَّعب ينتظر من حكومته أن تعملَ عملًا إيجابيًّا، وأن تقومَ بخطوةٍ جريئة تُجبر الشَّركة على الرضوخ للحقِّ، إذا كانت لا ترغب أن تتنازلَ عن استغلالها وجشَعها، ونطلب من ممثِّلينا أن يدركوا قوَّة مركزهم وعدالة مطلبهم فيقفون موقفًا صلبًا.

وأن يدَعوا أساليب المجاملة الفارغة والبيانات المحتمِلة، وأن يُعلنوا مَطالبهم صريحةً ويُظهروا موقفهم جليًّا، وأن يُطلِعوا الرَّأيَ العامَّ على ما حقَّقته المفاوضات من نتيجة، وما توصَّلت إليه من غاية؛ حتَّى يكون الشَّعب على بيِّنة من أمره حيالَ هذه الشَّركة، وحتى يعرفَ موقفها منه؛ إن إيجابًا أو سلبًا.

إنَّ الشَّركة التي لم تُظهر حتَّى الآن ما يدلُّ على رغبتها في التجاوب، وإنَّما يدفعها لذلك جَشعٌ وغرور متأصِّلان.

وإنَّها إذا رضِيَت بالاستمرار في هذا الطَّريق المحفوف بالمخاطر بالنِّسبة لمستقبَلها فإنَّنا يجب ألَّا نرضى بهذا الواقع، إنَّ الشَّركات التي رضَخَت للمَطالب الوطنيَّة في فنزويلَّا وغيرها، قد سلَكَت معها حكوماتُ تلك البُلدان طرقًا علينا أن نسلُكَها لتحقيق مَطالبنا وإنصاف مُواطنينا، وحفظ ثروتنا من العبث والضَّياع و(الضَّحك على الذُّقون).

نتائج المحادَثات مع أرامكو[1]

الشَّعب هنا بكافَّة طبقاته وتفاوتهم مكانةً وعلمًا وسنًّا يتساءلون ويلحُّون عن المفاوضات الجارية بين الحكومة السَّعيدة وأرامكو، وللشَّعب مطالبُ وحقوقٌ كثيرة وله مصالِحُ مهدرة، وهو لذلك يريد أن يطمئنَّ على أنَّ حقوقَه عائدةٌ عليه، وأنَّ الشركة سوف تخضع للوفاء بتلك الحقوق.

والحقوق متعدِّدة؛ فهناك المساهمة برأس المال في استخراج الزَّيت ومشتقَّاته بنسبة عالية، وأنَّ الحكومة والشَّعب يجب أن تكون حصَّتُهما في رأس المال بدلًا من العوائد الضَّئيلة التي يُقال عنها: مُناصَفة الأرباح، هذه لم تُعَدَّ شيئًا عمليًّا؛ نظرًا إلى أنَّ شركاتٍ تَستخرج الزَّيت من هذه البلاد ومن غيرها تَدفع ٧٠٪ وأكثر. ثمَّ هناك الغاز المشتعل ليلًا ونهارًا، والذي يذهب بثروات البلاد فتَذروها الرِّياح، يجب أن يوضعَ حدٌّ لذلك الإتلاف، وأن يُنتفَعَ بالغاز المحروق في الصِّناعات الكثيرة.

والعامل السُّعودي الذي لا ينال مرتَّبًا يتساوى مع الأجانب، ولا يُدانيهم! مع أنَّه في بلاده، والثَّروة من أراضيه، والأساليب التي تتَّبعها أرامكو مع العمَّال عندما يُقاربون المدَّة التقاعديَّة من تنفيرٍ لهم حتى تتخلَّص من إعطائهم الحقوق (الحقوق التقاعديَّة)، وهناك المساحات الشَّاسعة التي تحتَكِرُها أرامكو فلا تستغلُّها ولا ترفع يدَها عنها لتنفع البلاد، إنَّه في هذا الحال يجب أن توضعَ ضرائبُ على الشركة لقاء بقاء تلك المساحات المعطَّلة، أو تَرفع يدَها عنها.

---

(١) "اليمامة" العدد (٣٣٥)، في ٢٧/ ٢/ ١٣٨٢.

وهناك المشاركة الفعليَّة في الإنتاج والتسويق والنقل، كلُّ ذلك يجب أن يكونَ للشَّعب نصيبُه الأكبر فيه، ومجلس الإدارة الذي يوجِّه أعمال الشَّركة من نيويورك لا يتناسَب مع أبسط الحقوق والمنطق، إنَّنا يجب أن نشاركَ مشاركةً عادلةً وأن نأخذَ حقَّنا من زيت أرضنا كاملًا!

والحقوق متعدِّدة والمفاوَضات دائرة، والشَّعب يترقَّب النتائج الصَّحيحة لا تلك العبارات التقليديَّة، والمجاملات المملولة التي تُقال عادةً عند فشل أيِّ اجتماع. إنَّنا يجب أن نعرفَ الحقيقة، وأن تُنشرَ على الشَّعب ويعرفَها الرَّأي العامُّ، بعبارات صريحةٍ وأرقام صحيحة، وإنَّ علينا أن نكون أقوياء، وأن نَعرف مَواطن قوَّتنا، فلا نُجاملُ في حقوقنا الواضحة على حساب المصلحة العامَّة، وإنَّ ممَّا يدعو للأسف عدمَ اطِّلاع الصحفيِّين على ما يدور في هذه المفاوضات!

إنَّ الصُّحف مرآةُ الشُّعوب، وقد كان من المفروض أن يُدعى الصحفيُّون لحضور الاجتماعات والمناقشات؛ حتى ينقُلوا للشَّعب وللعالم حقيقةَ ما يجري في هذه المفاوضات، والمطالب والحقوق هي أشياء معروفة لدى الرأي العامِّ، وإذا كان الأمر هكذا فما الدَّاعي للسرِّية والتكتُّم؟!

وبعد؛ فقد يكون لإحاطة المحادثات بالكتمان أسبابٌ وجيهة، والمهمُّ هو النتائج، إنَّ الشعب يترقَّب نتائجَ مثمِرة، وقراراتٍ صريحة، وإعادة حقوق لأصحابها، فعسى أن يتحقَّقَ الأمل ويعودَ الحقُّ إلى نِصابه.

المفاوضات بين الحكومة وشركة أرامكو[1]

بدأَت أمسِ السَّبت الموافق ١٩/ ٢/ ١٣٨٢هـ، **٢١** يوليو **١٩٦٢** ميلاديَّة في مدينة الطَّائف المفاوضاتُ بين المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، وبين شركة الزيت العربيَّة الأمريكيَّة (أرامكو).

وهي مفاوضاتٌ على جانبٍ كبير من الأهمِّية كما قال وزير البترول والثَّروة المعدنيَّة، ونحن لا ندري ما هي المواضيع التي ستُبحث على وجه التَّحديد، ولكنَّا نعلم أنَّ هناك حقوقًا كثيرةً يُطالب بها الشَّعب هنا، وتمثِّله حكومته تجاه الشَّركة، وهي حقوق عادلة، حيث إنَّ الشَّعب صاحب الزيت ومالك الأرض والأحقُّ بثروتها، وشركة الزَّيت (الأرامكو) تُماطل في هذه الحقوق وتدَّعي دعاوى لا مستنَد لها ولا أساس.

وإنَّ المطالب العادلة التي يريد الشَّعب تحقيقَها: المشاركة في النَّقل والتَّسويق، والإشراف على الحسابات، والاعتراض على ما ليس له وجهٌ شرعيٌّ من المصروفات التي تتحمَّل الدولة والبلاد قسطًا كبيرًا منها، ورفض ما ليس له مبرِّر، والتوسُّع في تكرير البترول في بلادنا المنتجة، ونقل مجلس إدارة أرامكو إلى المملكة بدلًا من بقائه في نيويورك، وكذا رفع الشَّركة يدَها عن المساحات الواسعة من الأرض التي لم تستغلَّها، ودفع أجور عن مناطق الامتياز للدَّولة، ورفع أجور العمَّال السُّعوديِّين، وتدريبهم وَفق الاتِّفاقيَّات التي لم تنفِّذها أرامكو.

وفي الطَّليعة تعديل عقود الامتياز التي عُقدت في ظروفٍ خاصَّة، وهي

(١) "اليمامة" العدد (٣٣٤)، في ٢٠/ ٢/ ١٣٨٢.

الآن غير صالحة للاستمرار ما لم تعدَّل، وتزداد حصَّة المملكة فيها زيادة كبيرة؛ أسوةً بالاتِّفاقيَّات المتعدِّدة مع شركة جيتي وغيرها.

ومواضيع أخرى؛ كموضوع الإعلانات التي تَجود بها الشَّركة على الصُّحف في خارج المملكة، وحرمان الصُّحف في الداخل منها إلَّا النَّزر اليسير.

هذه الحقوق وغيرها يجب أن تقدِّرَها أرامكو، وأن تَستجيبَ لها، وألَّا تتجاهلَ رغبَات الشَّعب ومَطالبَه العادلة.

إنَّ أرامكو عوَّدَتنا على المماطلة والتَّسويف، وهذا طبعًا ليس من مصلحة أرامكو، وإنَّها إذا ما رغِبَت في الاستمرار مطمئنَّة، فعليها ألَّا تُهمل حقوق البلاد وتركَب رأسَها في صَلَف[1] وغُرور، ولتَعرف أنَّ الزيت زيت المملكة السُّعوديَّة، وينتج من أراضي المملكة السُّعودية، وليس زيت الولايات المتَّحدة ولا ينتج من نيويورك!

إنَّ هناك شركاتٍ عقَدَت اتِّفاقيَّات مع حكومات العراق وإيران وفنزويلَّا، وقد عدَّلت حقوق الامتياز بما يتلاءم والتطوُّرَ ومصلحةَ البلاد المنتِجة، وإنَّ مفاوضات العراق مع شركات الزيت قد حقَّقت للعراق فوائدَ عظيمة، وهو أمر رضخَت له الشَّركات الأجنبيَّة؛ حرصًا على مصلحتها واستقرارها.

وعلى شركة أرامكو أن تعِيَ ذلك وأن تتَّخذَ منه درسًا، وأن تَعلمَ أنَّ المماطلة في حقوق هذه البلاد لن تستمرَّ طويلًا، وأنَّ هذه النِّقاط الجوهريَّة وغيرها هي مَطالبُ أساسيَّة للمواطنين، ولتَعِ الشَّركة أنَّه لا بقاء لها إلَّا

(١) صلَف: شدَّة وغِلظة.

بمراعاة مشاعر المواطنين والاستجابة لحقوقهم العادلة المنصِفة.

وبعد؛ فإنَّنا نتطلَّع لهذه المفاوضات بأمل وثقة، وعسى ألَّا تخيبَ ظنون المواطنين فيها.

مؤتمر البترول[1]

أمسِ اجتمَع أعضاء منطقة الدُّول المصدِّرة للبترول في منطقة الرِّياض، وهذا هو ثاني اجتماع يُعقَد في الرِّياض، وكان الاجتماعُ الأوَّل قد عُقد في الرِّياض في شهر جُمادى الثانية من العام الماضي.

والدُّول التي تتكوَّن منها الأوبك هي: المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، والعراق، والكويت، وقَطر، وليبيا، وإندونيسيا، وإيران، وفنزويلَّا.

وهذه الدُّول التي تملك معظمَ احتياطيِّ الزَّيت في العالم، والتي يتفجَّر من أراضيها الزَّيت الذي يحرِّك الآلات والمصانع، والطائرات والسيَّارات، وأنواع الميكانيكا ووسائل التَّدفِئة، وغيرها.

وإذا اجتمعَت هذه المنظَّمة في الرِّياض أو في أيِّ محلٍّ آخَر، فإنَّما لتَبحث وسائل انتفاعها بزيتها ومشتقَّاته بطريقة سليمة، تضمن حقَّ المواطن ولا تضرُّ بالشركة المنتجة.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هناك مشاكِلَ لدى كلِّ دولة مصدِّرة للبترول، وأنَّها قد رأت ضرورةَ تداوُلِ الرأي مع الدُّول المصدِّرة الأخرى؛ ليتَّحد الرَّأي، ولتستطيع فرضَ إرادتها على الشَّركات التي لا تُريد أن تفهمَ تطوُّر الزَّمن، ولا ترغب أن تتنازلَ عن أرباحها الهائلة ليأخذَ مالك الزَّيت بعض حقِّه.

وطبعًا إنَّ الدُّول المصدِّرة للنفط لا تريد هِبةً أو منحةً من الشَّركات التي تستخرج البترول من أراضيها، ولكنَّها تريد حقَّها الطبيعي.

(١) "اليمامة" العدد (٤٤٦)، في ١٠/ ٨/ ١٣٨٣.

وعلى الشَّركات إذا ما أرادَت الاستمرار طويلًا في تحصيل الأرباح وضمان الاستقرار - أن تُدركَ متطلَّبات الدُّول المالكة والشُّعوبِ التي تصرُّ على أخذ حقِّها عاجلًا، وإن أصرَّت الشَّركات على ركوب رأسها، وجرَت على أساليبها العتيقة التي تتذرَّع بها في إيهام الشُّعوب بالتقليل من أهمِّية الزيت، وإمكان الاستغناء عنه بالطاقة الذرِّية، أو الزَّعم أنَّ المنافسة الرُّوسية تشكِّل خطرًا على أسواق الزيت، فإنَّ هذه الأساليبَ لم تَعُد ذات قيمة على الإطلاق.

إنَّ الشُّعوب لا تُطيق صبرًا أن ترى الـمُسيطرين على شركات الزَّيت والخُبراء من الأجانب، ولا يمكن أن تَبقى بعيدة جدًّا عن التسويق والنقل والتكرير، بينما تستأثر الشَّركات والأجانب بهذه الثروة العظيمة. ولا تَقبل الشُّعوب أن تتلاعبَ الشَّركاتُ بحقوق العمَّال، ولا تسمحَ لهم باكتساب الخبرات اللَّازمة لفَهم صناعة الزَّيت؛ لكي تكون السَّيطرة لها، ولتأمين الاستِغناء عنها إذا ما عَلِم أبناءُ البلاد بما تحتاجه هذه الصِّناعة، وهذا فَهم خاطئ قطعًا!

إنَّ من الخير للشَّركات أن تكونَ أكثر فَهمًا واستعدادًا للتَّجاوب؛ فذلك من مصلحتها هي قبل غيرها، وإنَّا لمنتظِرون.

النِّفط واستفادتنا منه[1]

النِّفط في بلادنا ثروةٌ عظيمة، ونعمةٌ جليلةٌ حبَانا الله بها، ومن حقِّ هذه النِّعمة أن نُحسِن الاستفادة منها، ونجيدَ التصرُّف فيها لتكون مصلحتُها للمواطنين والبلاد متلائمةً مع ضخامتها وكثرة إنتاجها، والاستعداد للاحتمالات التي قد تقع نتيجة لنُضوب الزَّيت أو قلَّته أو انخفاض سعره، ومن حقِّ المواطن أن يهتمَّ بهذا الأمر الحيويِّ، وأن يعالج مَشاكله وأن يقولَ رأيَه بصراحة.

وعندما ننظر لواقع زيت بلادنا نجد أشياءَ غريبة لا يحسن السُّكوت عنها، ولا يليق أن يَبقى وضعُ الشَّركات العاملة في شؤون الزَّيت هنا على ما هي حاليًّا، ولا ننتظر من هذه الشَّركات أن تُعطيَنا حقَّنا كاملًا ما لم تُرغَم على ذلك؛ هكذا دلَّت التَّجارِب والأحداث قديمًا وحديثًا، ولنتَّعِظ بما فعلَته إيرانُ والعراق وغيرهما مع شركات الزَّيت، ومن الغريب أنَّ أسلوب هذه الشَّركات في بلادنا يكاد يكون متَّفقًا وعلى نمط واحد (وإن كان بعضُها أخفَّ شرًّا من بعض) إلَّا أنَّ التقارب مع ذلك ملحوظ جدًّا.

فمثلًا عدم مشاركة الشَّعب والحكومة مشاركةً فعَّالة في رأس المال والنقل والتسويق، وإسنادُ المناصب العليا في هذه الشَّركات إلى أجانب، وإحراقُ الغاز الذي يَذهب هباءً دون استفادة الشَّعب منه في الصِّناعات المختلفة والتَّدفئة والوَقود وغيرها، وجعلُ المكاتب الرَّئيسية لهذه الشركات في بلاد أجنبيَّة، وهيمنتُها على شؤون الزَّيت، وعرقلةُ المواطنين عن التوظُّف

(١) "اليمامة" العدد (٣٩٣)، في ٣/ ٢/ ١٣٨٣.

في الوظائف الهامَّة، ومضايقةُ من يكون لديه معرفةٌ بشؤون الزَّيت من المواطنين ليَترك العمل في الشَّركة، أو ليُنقَل إلى عمل آخر؛ حتَّى لا يُتقِن صنعةً ويُبرِّز فيها.

أو قُل بعبارة أخرى: محاولة هذه الشَّركات السَّيطرة على الزيت، وإبعاد المواطن عن المنافسة حتَّى لا تستغنيَ البلادُ بأبنائها في يوم من الأيَّام عن هؤلاء الأجانب المستغلِّين، وحتَّى تظلَّ البلاد في حاجةٍ إليهم.

هذا في الوقت الذي يَنزِفون فيه هذه الثَّروة الهائلة مقابلَ تعويضاتٍ زهيدة يسمُّونها عوائد، وإن زعموها مُناصَفةً للأرباح أو أكثر، فهي في الحقيقة لا تكون شيئًا يُذكَر إذا ما قِيسَت بما يَستفيده أولئك الأجانب بسبب استئثارهم بالنَّقل والتَّسويق، والمصاريف المتنوِّعة التي تعود فائدتها لهم وحدَهم بينما تتحمَّل البلاد قسطا منها.

وكذا سيطرتهم على رأس مال الشركة وإدارتها وحساباتها، وإسناد بيع الزَّيت ونقله إلى شركات متفرِّعة من هذه الشَّركات بأساليبَ وطرقٍ مشبوهة، كلُّ هذه أشياء تكاد تكون طابعًا مميِّزًا لهذه الشركات العاملة في الزَّيت في بلادنا.

وهذه الوقائع والتصرُّفات لم تَعُد ملائمة، ولا يمكن أن يَرضى المواطن أن تَضيعَ ثروات بلاده لحساب شركات أجنبيَّة استغلاليَّة؛ فالمواطنون يريدون أن يُسيطروا على ثروتهم الوطنيَّة، وأن تكون إدارة شؤون الزَّيت في بلادهم بأيديهم، وأن تكونَ المكاتب الرَّئيسية والحسابات هنا في هذه البلاد لا في نيويورك وطوكيو؛ لأنَّ الزَّيت يخرج من هذه البلاد وليس من أمريكا واليابان مثلًا.

ويريدون أن يُشاركوا مشاركةً فعَّالة في رأس المال وفي النقل والتسويق، وألَّا يُسمَح لشركات متفرِّعة من هذه الشركات بأن تقومَ بالنقل أو التسويق، وأن تتلاعبَ الشَّركات الأمُّ وفروعُها في ثروة بلادنا وفي خيرات وطننا، كما يريدون أن يكون تكريرُ الزَّيت المستخرَج من آبار الزيوت المستخرَجة في هذه البلاد، لا في بلاد أجنبيَّة؛ حتَّى يكون أكبرُ مصلحتِها للمواطنين.

أمَّا أن تكون:

كالعِيسِ في البَيداءِ يَقتُلها الظَّما والماءُ فوقَ ظهورِها مَحمولُ

فهذا غير معقول.

كما يريد المواطنون أن يرَوا الاستفادة من زَيتهم كاملة، وأن يَجِدوا الصِّناعات الكثيرة، والزِّراعة الواسعة، والمشاريع الحيويَّة السَّامقة تملأ بلادَهم، وتُغنيهم عن البقاء عالةً على البُلدان الأخرى، فلا يبقَوا متخلِّفين ومستهلِكين، حتَّى لو حصَل انخفاضٌ في أسعار الزَّيت أو الاستغناء عنه بالطَّاقة الذرِّية، أو نضَبت آبارُ الزَّيت لا يُصابون بنكسةٍ أو هِزَّة عنيفةٍ لا يَعلم مداها إلَّا الله.

هذه آمالُ مواطِنين في حفظ حقِّهم، وتنظيم ثروتهم من تلاعُب الشَّركات الاستغلاليَّة وعبَثِها، إنَّنا نريد الحَزم مع هذه الشَّركات حتى لو أدَّى الأمر إلى إرجاعها من حيثُ أتَت، وجلب شركات أخرى تحُلُّ محلَّها في الوقت الذي يُهيَّأ فيه المواطنون لتحمُّل مسؤوليَّة شؤون الزَّيت جميعِها.

كما أنَّ بعض هذه الشركات قد تجاوزَت الحدود في اختصاصها، ومن الواجب توقيفُها عند حدِّها، وعدم إقحامها في أشياءَ خارجةٍ عن استخراج

الزَّيت وما يتعلَّق به.

إنَّنا نقول هذه الكلمة؛ آمِلين أن تجدَ الاستجابةَ المحقِّقة للصالح العامِّ ولخير الوطن والمواطنين، والله الموفِّق.

شركة وطنيَّة للنِّفط[1]

عشرات الملايين من براميل الزَّيت تتدفَّق شهريًّا من آبار الزَّيت في بلادنا، وتتولَّى شركات الزَّيت الأجنبيِّ عمليَّاته من أَلِفِها إلى يائها ما عدا النَّزر اليسير، وننتظر في نهاية السَّنة ما تقدِّمه شركاتُ الزيت مِن عوائد!

أمَّا مكاتب الشَّركات فهي في أمريكا واليابان وغيرهما، والنقل والتسويق من اختصاص الشَّركات التي استحوذَت عليهما بطريقةٍ عَجيبة، والتكرير معظمه في بلاد بعيدة جدًّا، والمضحِك أنَّ الشركات المنتجة تُعطي العمليَّات الأخرى لشركات متفرِّعة منها، أي إنَّ الرِّبح لها على حساب البلاد صاحبة الحقِّ، وهكذا تطيش مناصَفة الأرباح في الهواء.

أضِف إلى ذلك مشاكلَ العمَّال مع الشركات، وإصرار الشَّركات على مَوقفها، في كلِّ شأن.

ومع ذلك فلا أدري هل حسَبنا لهذا حسابَه أم أنَّ شعارنا:

ولَـــكَ الـــسَّـــاعـــةُ الـــتـــي أنـــتَ فـــيـــهـــا!

إنَّ إنشاء مؤسَّسة البترول والمعادن يبعث الأمل والتَّفاؤل، ولكن لماذا لا تُنشَأ شركة وطنيَّة للنِّفط، وتُطرَح أسهمُها للاكتِتاب الشَّعبي، ويكون من مهمَّاتها: إنتاج النِّفط، وتكريره، ونقله، وتسويقه، ولو على نطاق ضيِّق بادئ ذي بدء، ثم تتوسَّع بعد ذلك لتَضطلِع بمسؤوليَّة جميع إنتاج النِّفط وسائر عمليَّاته فيما لو دعَت الضَّرورة لذلك؟

(١) الجزيرة العدد (٨)، في ١٠/ ٤/ ١٣٨٢.

إنَّني أرى هذا الموضوع على درجةٍ من الأهميَّة بحيث يَستدعي المسارعة في إنجازه وإخراجه إلى حيِّز الوجود، وما دام الحديث عن الزَّيت، فإنِّي أتساءل بدهشة: لماذا لم تُنشئ وزارة البترول والثَّروة المعدنيَّة سُفنًا ضخمة لنقل الزَّيت؟

وقد جمَعني مرَّة مجلسٌ فيه أحد المسؤولين الكبار في وزارة البترول والثروة المعدنيَّة، وقلتُ له: «يَجب أن يكون لديه أضخمُ أسطولٍ بحريٍّ تِجاري لنقل الزَّيت، ولا عُذر لنا في التخلُّف عن ذلك»، إنَّ الوقت يمرُّ سريعًا، ومن واجبنا أن نعملَ ما فيه رقيُّ بلادنا وتطوُّرها من كلِّ نافع مفيد.

أين شركة النِّفط؟[1]

المملكة غنيَّة بالنِّفط؛ ما في ذلك شَكٌّ، والشَّركات العاملة فيها تُنتج كميَّات هائلة، وخاصَّة شركة أرامكو، وإن كانت شركتا الزيت اليابانيَّة وجيتي تُنتجان كميَّة ليست قليلة.

وهناك مساحاتٌ واسعة لم تدخل ضمن امتياز هذه الشَّركات، وفيها زيت غير قليل وقد تحدَّثَت الصُّحف عن التنقيب للزَّيت.

وأشارت جريدة "الندوة" في عددها (١٨٢١) وتاريخ **٢٢/ ٩/ ١٣٨٤** نقلًا عن إحدى المجلَّات الأمريكيَّة، أنَّ شركة البترول البريطانيَّة قد تحصل على امتياز للتَّنقيب عن البترول في المملكة السُّعوديَّة، وأنَّ المفاوضات الدَّائرة بين الطَّرفين أصبحَت في مرحلتها النهائيَّة.

كما تحدَّثت النَّدوة في نفس العدد عن حصول المصلحة المستقلَّة للبترول الفرنسيَّة - وهي حكوميَّة - على امتياز في منطقة البحر الأحمر بالمملكة، وذكرَت الجريدة الشُّروط الرئيسيَّة لهذا الامتياز كما أوردَتها المصادر الفرنسيَّة؛ ومنها: إشراك المؤسَّسة العامَّة للبترول والمعادن السُّعودية بنسبة **٤٠** في المئة في الامتياز، ومنها: أنَّه متى تمَّ العثور على الزَّيت تحصل المؤسَّسة العامَّة للبترول والمعادن السُّعودية على **٤٠** في المئة وتدفع حصَّتها من التكاليف.

وعندما خطَب الملك فَيصل في حفل أهل الدمَّام زفَّ إلى المواطنين

(١) "الجزيرة" العدد (٣٨)، في **٢١/ ١١/ ١٣٨٤**.

بُشرى اكتشاف الزَّيت بكميَّات وفيرة، فقال:

«إنه بُدِئ في التنقيب عن البترول في المنطقة الغربيَّة، وقد توصَّلنا إلى نتائجَ مُرضية، واتَّفقنا مع بعض الشَّركات - وأظنُّها الشركة الإيطاليَّة أو الفرنسيَّة - على استثمار البترول في المنطقة الغربيَّة، وهذا الاتِّفاق انتهى التوقيع عليه، وسيُعرَض على مجلس الوزراء للتصديق عليه والمباشرة في تنفيذه، وقد نقَّبنا عن البترول في المنطقة الوسطى فوجَدنا حقولًا، حسَب قول الخُبراء: إنَّها ستكون من أكبر الحقول، وهذه الحقول اتَّفقنا مع شركة إيطاليَّة على استثمار بعضها، وسنَعرض باقي المنطقة للمُزايَدة العالميَّة بين الشَّركات المختصَّة في العالم بالبترول».

وممَّا لا ريبَ فيه أنَّ هذه البشرى التي تأتي من رئيس الدَّولة تبعث على البهجة والسُّرور، ويترقَّب المواطنون لهذه البلاد نهضةً عظيمةً في جميع المجالات العظيمة النافعة.

ونحن في غمرة الآمال نترقَّب قفزةً كبرى من وزارة البترول والثَّروة المعدنيَّة؛ لئلَّا يكون دور البلاد إزاء ثروتها الرئيسيَّة انتظارَ العائدات والضَّرائب، والجدل الذي لا يُجدي مع الشَّركات في تخفيض أسعار الزَّيت والرَّيع، وتوظيف السُّعوديِّين بدلًا من الأجانب، والدَّوران في حَلْقة مُفرغة تَستنزِف الشَّركاتُ الأجنبيَّة خلالها ثروةَ البلاد، وتُرسي الشَّركات دعائمَها!

إنَّ الشُّعوب لم تَعُد تقنع بأخذ العائدات وأشباهها، ولكنَّها تريد أن تستأثرَ بثرواتها، وأن تكونَ جميعُ العمليَّات في يد أبنائها من ألِفها إلى يائها؛ من استخراج الزَّيت وتكريره ونقله وتسويقه، وأن تنتفعَ به كاملًا غير منقوص.

وقد كَتبت كلمةً في "الجزيرة" العدد (٨) وتاريخ ١٠/ ٤/ ١٣٨٤؛ أُطالب وزارة البترول بإنشاء شركة النِّفط، تطرح أسهُمها للاكتِتاب الشَّعبي، وأحسب أنَّ وعيَ الشعب سيُساعد كثيرًا على تحقيق هذه الأهداف.

لقد خبرَت هذه البلادُ الشَّركات الأجنبيَّة وقاسَت منها، وإذا كان لا بدَّ من استمرار الشركات القديمة، فإنَّه ينبغي أن يكونَ الاتِّجاه لإنتاج شركة وطنيَّة للنِّفط بدلًا من الشركات الأجنبيَّة الجديدة التي ستَسير على نهج الشَّركات السَّالفة أو أسوأ! وقد يُعترَض على هذا الاقتراح بأنَّه ليس هناك خبراء وطنيُّون يقومون بهذا العمل، ولكنَّني أردُّ بأنَّ هذا يَحول دون قيام المشروع، ويمكن الاستعانة بخبراء من الدُّول الأخرى مع الوطنيِّين الذين لهم بعض الخبرة التي استَفادوها بالدِّراسة، وعن طريق المِران والمُمارسة.

إنَّ الوقت قد حان لإبراز هذه الشَّركة إلى حيِّز الوجود، ومهما ظنَّ بعض الناس من صعوبة تنفيذ هذه الفكرة، فإنَّ هذه الظُّنون سرعانَ ما تتلاشى عندما يُبدأ بالتَّنفيذ وبعد العزم والتَّصميم، ومن الممكن أن تُساهم الحكومة بنصيب كبير في هذه الشَّركة.

إنَّني أرى أنَّ قيام شركةٍ وطنيَّةٍ للنِّفط أكثرُ من ضرورة، وفي هذا الوقت بالذَّات، وحبَّذا لو أنَّ "الجزيرة" تُفسِح المجال لآراء الكتَّاب والمواطنين في هذا الشأن!

صراع مع شركات الزَّيت[1]

افتُتح في بيروت يوم الثُّلاثاء الماضي مؤتمرُ البترول العربي الرَّابع المنبثِق من الجامعة العربيَّة، وقد حضره عددٌ كبير من الوفود الرسميَّة، ورجال الأعمال والاقتصاد، ومندوبو الشَّركات المستخرِجة للبترول، ومراسلو الصُّحف ووكالات الأنباء.

وكان هذا المؤتمر مجالًا فسيحًا لإبراز الصِّراع العنيف بين البُلدان المالكة للزَّيت وبين شركات الاستغلال التي لا يقِف نَهمُها عند حد، ولا تُريد أن تتنازلَ عن مطامعها الجامحة، إنَّ هذه الشَّركات تربح مئات الملايين من الدُّولارات سنويًّا، وتعطي للدُّول المالكة للزَّيت جزءًا ضئيلًا.

وإذا ما أرادَت هذه الدُّول أن تأخذَ بعض حقِّها أصرَّت شركات الاستغلال على الاستمرار في غَمطها لحقِّ البُلدان المالكة، وتجاهلَت التغيُّر الجذريَّ في الأوضاع، ووعي الشُّعوب الذي لم يَعُد أمرًا ثانويًّا.

بل إنَّ شركات الاستغلال في البُلدان العربيَّة - مثلًا - تستأثر بالتسويق والنقل وتكرير الجزء الأكبر من الزَّيت خارج هذه البُلدان، وتُسنِد أعمال التسويق والتكرير والنقل إلى شركاتٍ فرعيَّة لها، وتتلاعَب في الأسعار؛ فتدَّعي أنَّها تَبيع بأسعارٍ أقلَّ من الأسعار المعلَنة بسبب المنافسة التي تواجهها من الزيت الرُّوسي ومن فنزويلَّا وإندونيسيا وإيران وأحيانًا من المنافسة الوهميَّة! والخشية من حدوث بديلٍ للبترول.

(١) "اليمامة" العدد (٤٣٣)، في ٢٤/ ٦/ ١٣٨٣.

إنَّها لعبة مكشوفة، لم تستطع الانطِلاء كثيرًا على أذهان الشُّعوب التي أصبحَت تُدرك الحقيقة التي طالما حاولَت شركات الزَّيت إخفاءها وتمويهَها.

وما مُحاوَلات هذه الشَّركات إلَّا ضياعٌ للجهد في غير طائل، فهي تريد أن توقعَ بين الدُّول المنتجة للبترول على طريقة «فرِّق تسُد»، ولكن منظَّمة أوبك قد قضَت على هذه المهزلة؛ فقد وحَّدت بينها المصلحةُ المشتركةُ رغم بُعد المنافسة.

وخداع الشَّركات ودول الاستعمار التي تقف وراءَ الشَّركات، وإذا أوهَمت هذه الشَّركات بالمنافسة الرُّوسيَّة فهو كلام غير مقبول؛ ذلك لأنَّ الزَّيت الرُّوسي حتى هذه اللَّحظةِ ليس مُنافسًا ولا يُتوقَّع أن يكون منافسًا مستقبلًا.

أمَّا اكتشاف آبار جديدةٍ للبترول فيُقابله نُضوبُ آبار قديمة، يُضاف لذلك الإقبالُ المتزايد على الصِّناعة والآلات المتحرِّكة وكثرة إنتاجها، والزَّيت عصَب الحياة بالنِّسبة لها.

والغريب أنَّ شركات الاستغلال التي تَبذُر الأموالَ الوفيرة في التَّنقيب عن البترول في أماكنَ لا يُؤمَّل وجود الزَّيت فيها، وتُبعثِر الأموال في وجوه عديدة بلا مبرِّر، تحتسب على الدَّولة المالكة للبترول خسائرَها، ثم تدَّعي أنَّها لا تربح إلا قليلًا، وهي تقع في التَّناقض العجيب.

وفي المحاضرة التي ألقاها المستر سكوت سويت أحدُ المحاسبين في شركة الزَّيت البريطانيَّة (بريتيش بتروليوم) يوم الأربعاء الماضي في مؤتمر البترول العربي يزعم سكوت: أنَّ الشَّركات العاملة في البترول لا تربح إلَّا قليلًا، وأنَّها لا تجد (الرأسمال) الذي توظِّفه في التَّنقيب إلَّا بصعوبة كبيرة،

ويعلِّل لذلك: بأنَّ الرِّبح الصافي لسنة **١٩٦٢**م للسبع شركات العاملة في الحقل البترولي هو: ثلاثة بلايين ومئة وأحد عشر مليون دولار**!** هذا ربح الشَّركات السَّبع في سنة واحدة، ولو فرَضنا أنَّ هذا المحاسب قد قال الحقيقة كاملة ولم يُخفِ بعض الأرقام - مثلًا - فهل هذه الشَّركات تخسَر أم تربَح؟**!** وهل مطالبة الدُّول المنتجة للبترول من شركات الاستغلال ببعض الحقوق يُعدُّ غَمطًا لهذه الشركات وتحطيمًا لها؟**!**

ولو نظَرنا إلى ما ينال الدُّولَ المنتجة من مُناصفةِ الأرباح المزعومة، فما مِقدار حصَّتها من الرِّبح؟ وهل تتناسب مع هذه الأرقام التي ذكرَها سكوت؟

إنَّ الذي يحدث اليومَ في مؤتمر بيروت هو مثَلٌ من الصِّراع بين شعوب تريد الاستفادةَ من خيرات شعوبها، وبين شركاتٍ طامعةٍ تريد الاستيلاء على ثروات الشُّعوب بالتَّضليل والخداع، وإرضاء الآخَرين بالفُتات، ويتمثَّل هذا الصِّراع في شركات الزَّيت في وجوه حقيقيَّة ومستعارة؛ أعني وجوهًا عربيَّة تنطق باسم شركات الاستغلال وتعبِّر عن وجهة نظرها، من أشباه ميرنا البستاني التي قرأَت دفاعَ أبيها إميل البستاني عن هذه الشَّركات بالأباطيل، وبعض من استخدمتهم أرامكو للتعبير عن رأيها.

هذا من جهة؛ ومن الجهة المضادَّة رغبات الشُّعوب المالكة للزَّيت التي تريد أن تنتفعَ بخيرات بلادها، وأن تتعاون مع الشَّركات على أساسٍ عادل لا إجحافَ فيه أو استعلاء.

هذا؛ وإنَّ مؤتمر منظمة الأوبك سيُعقَد قريبًا في الرِّياض، وأغلب الظنِّ أنَّه سيشهد الصِّراع نفسَه.

وإنَّه من الخير لهذه الشركات أن تُدرك وعيَ الجماهير وطموحَها؛ فلا

تستهينَ برغبات الأُمم، وأن تتنازل عن بعض أطماعها، وإلَّا فإنَّ هذه الشُّعوب ستَعرف كيف تنتزع حقوقها، وهي تعلم تمامًا السُّبل الكفيلة بإعادة حقوقها التي أُهدرت، وتستطيع أن تلقِّنَ المستغلِّين درسًا لن ينسَوه، وقد لا يقدرون على الإمساك بقليلٍ ممَّا يُهيمنون عليه حاليًّا؛ فقليلًا من التعقُّل أيَّتها الشركات، وبعضًا من الطَّمع؛ فذلك خيرٌ لكِ وأولى!

أرامكو وتخفيض الزَّيت[1]

عندما أعلنَت الشركات المنتجة للبترول في الشَّرق الأوسط عن تخفيض أسعار الزَّيت المباع لشركاتٍ أخرى هي في الغالب وليدة الشَّركات المنتجة أو شريكة معها، عندما أعلنَت عن التَّخفيض، تكلَّم بعضُ من يَعنيهم الأمر، وقالوا: إنَّه يجب العمل السَّريع لإيقاف الشَّركات المنتجة عن هذا التلاعب.

وقال محمَّد سلمان مدير إدارة البترول في الجامعة العربيَّة: «إنَّه ينبغي ألَّا يجريَ إدخال التَّغييرات على أسعار الزيت بدون أن يُؤخذ أولًا وجهةُ نظر الدُّول المنتجة»، وتكلَّم الشيخ عبد الله الطريقي ودعا إلى أن تقفَ الدُّول المستخرَجُ الزَّيتُ من أراضيها موقفًا حازمًا، وكذا الأستاذ سمير شما.

وفي صَحيفة "اليمامة" العدد **(٢٣٧)** تحدَّث الأستاذ عبد العزيز بن معمر حديثًا وافيًا؛ أوضح فيه كيف أنَّ هذا التصرُّف من جانب الشَّركات المنتجة ولا سيَّما من أرامكو «لا يُقصَد منه إلَّا نقل الأرباح من الإنتاج إلى التَّصفية والتسويق، وحرمانُ البلاد المنتجة منها»، وأنَّ خسارة المملكة العربيَّة السُّعوديَّة وحدَها من هذا التخفيض خلال سنة ونصف تُقارب ٦٠ مليون دولار «ولا ينتظر أن تقفَ الشركات عند هذا الحد؛ فما تزال الصُّحف المعنيَّة بهذه الأمور تتحدَّث عن تخفيضات جديدة مرتقَبة».

وفي الوقت الذي تَقفز فيه أرباح الشَّركات، يهبط فيه دخل البُلدان المستخرَج من أراضيها الزَّيت، والشركات التي تبيع إلى شركائها؛ لتستقلَّ بعد ذلك بالرِّبح معهم، وتحرمَ الحكومات من جزء كبير من ثروتها، هذه

(١) "اليمامة" العدد (٢٣٩)، في ٢٠/ ٣/ ١٣٨٠.

الشركات التي ينطبق عليها قول المتنبِّي:

فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخَصمُ والحَكَمُ

ثم إنَّ هذا التَّخفيض الأخير مقتصِرٌ على زيت الشَّرق الأوسط وحدَه! أمَّا زيت فنزويلّا والولايات المتَّحدة وكندا فلم يشمله التخفيض الأخير! ولنقرأ ما يقوله الشَّيخ عبد العزيز بن معمر:

«وكنَّا ذكرنا أنَّ من أسباب التَّخفيض الأوَّل رغبةَ الشَّركات في استرجاع الأرباح التي فقدَتها بسبب زيادة (فنزويلّا) لضرائبها، ويبدو أنَّ الخسائر التي لحقَت بتلك الشَّركات في كوبا والعراق - بسبب مُصادَرة ممتلكاتها في الأولى، وزيادة عوائدِ ميناء البصرة في الثَّانية - من البواعث على التخفيض».

ثم إنَّ الأعذار التي تبرِّر بها تلك الشَّركاتُ إقدامَها على هذه الخطوات المضرَّة بمصلحة البلاد المنتجة هي أعذارٌ واهية لا تثبت أمام الحقيقة، «والواقع أنَّ تخفيض صادرات بترول الشَّرق الأوسط إلى الولايات المتَّحدة يشكِّل خطرًا أكبر على الإنتاج، وبقدر النَّقص الحاصل من جرَّاء هذا الإجراء الذي اتَّخذَته الولايات المتَّحدة، بملايين البراميل سنويًّا، كانت تذهب إلى الولايات المتَّحدة، وقد مرَّ ذلك القرار دون أن يُقابَل بالمثل من قِبل حكومات بلاد الشَّرق الأوسط».

ثمَّ هل خفَّضت الشركات المنتجة قيمة الدِّيزل والبنزين في البلاد التي يُستخرج الزَّيت من أراضيها كالمملكة العربيَّة السُّعوديَّة؟ سؤال يحتاج إلى جواب! مع أنَّ المقتطَع من دخل البلاد خلال سنة ونصف يقرب من ٦٠ مليون دولار وهو مبلغ لا يُستهان به، والعجب أنَّ فنزويلّا تتقاضى من

صافي الأرباح ٦٨٪.

ولنقرأ مع الشيخ عبد العزيز بن معمر في مقاله القيِّم: «بقيَ أن تُثبت حكومات الشرق الأوسط أنَّها أصلبُ عودًا ممَّا تتوقَّع الشركات، وأصبح ظاهرًا بأنَّ ما يسمَّى بمبدأ مناصفة الأرباح في حاجة إلى تعديل جذريٍّ يحفظ مصالح البلاد المنتجة للزيت في الشَّرق الأوسط».

وبعد؛ فبماذا نسمِّي هذه التصرُّفات المجحِفة، وهذا الافتيات الصارخ؟

إنَّها مهزلة حقًّا! وكم رأينا وسمعنا من مهازل أرامكو ومثيلاتها من شركات لا همَّ لها سوى الغنيمة، والسَّير وَفقَ مخطَّطات يقبَع راسموها هناك بعيدًا، بينما يُحسِن البعض ظنًّا بهذه الشركات التي لم يَعُد عبَثُها واستهتارها خفيًّا.

إنَّه لا ينبغي أن ننتظرَ عدل الشركات وضمائرها من مثل أرامكو، وإنَّما نريد أن يُفرَض عليها الحق، وأن تُؤخذ به على أيِّ حال، وألَّا يُركَن للتَّهاون والضعف بينما نرى مصلحة البلاد مهدَّدة بكارثة، إنَّ البترول وهو يكاد يكون الثروةَ الوحيدةَ في البلاد - وهو الثروة الرئيسيَّة بلا افتراء - يجب أن يُصان حقُّ الشَّعب فيه من هذا العبث المفضوح، وأن يُصارَ إلى الضَّرب بيدٍ من حديد على كلِّ من تسوِّل له نفسه إهدارَ حقِّ الأمَّة وتضييعَه.

ولقد رأينا كيف عملت فنزويلّا بحزم، فنالت حقَّها؛ لأنَّها صمَدت ولم يُصبها الخَوَر، وكيف أنَّ الحكومة العراقيَّة زادت ضرائبها على ميناء البصرة، ومعنى هذا أنَّه ليس ضروريًّا أن يكون العمل موحَّدًا من الدُّول المنتجة للبترول، بل إن وجد فنعم الشيء، وإلَّا فليكن العمل الإيجابيُّ ولو منفردًا من جانب حكومة البلاد.

أما أن يُترَك لشركات الاستغلال الحبلُ على الغارِب؛ لتتلاعب بمقدَّرات الأمَّة، ولتنزِف ثروتَها مقابل عوائد بسيطة تتضاءل تدريجيًّا، بل تهبط بسرعة مخيفة، بينما تتصاعد الأرباح للشَّركات وحدَها، وهي الشركات المتمالئة - بل المالكة - فهذا الخطر الداهم.

وممَّا يزيد في المأساة ازديادُ إنتاج البترول وحرص الشركات على استخراج أكبر قدر ممكن منه، ومع أنَّ الزيادة في مقابل لا شيء - بعد التخفيض في الأسعار - فإنَّنا قد نصبح في وقت قريب فنرى البترول قد نَضَب، وصَوَّحَت منه الأراضي في بلادنا، بينما الشَّركات قد آبَت بالأموال الطائلة التي هي أغربُ من الخيال، ليعود الغرب إلى آباره التي تركها للساعات الحَرِجَة، أمَّا نحن فبماذا أُبنا؟ سؤال يحتاج قبل الإجابة عنه إلى تفكير طويل!

الغاز ثروة ضائعة[1]

كان الحديث الذي نشرَته "الجزيرة" في عددها (٨) عن الثَّروة الضائعة (الغاز)؛ الذي تلتهمه النِّيران فيذهب هباءً وهو ثروة «تُقدَّر بحوالي سبعة ملايين متر مكعَّب سنويًّا أو عشرة ملايين برميل من زيت الوقود، تَصلُح لتوليد قوَّة تبلغ **٣٠٠** ألف حصان تشتغل ليلَ نهار، وتكفي لتصنيع البلاد وتفي بحاجة الزِّراعة أيضًا» - كان له صدًى عظيم، فهذه الثَّروة العظيمة التي أرادَت أمانةُ منطقة الرِّياض الانتفاعَ بجزء منها في مدِّ أنابيب الغاز إلى مدينة الرِّياض والخَرج؛ بغرض توليد الكهرباء والانتفاع بها في الوَقود، وبذلت المساعيَ الحميدةَ في هذا السَّبيل، واتَّضح لها أنَّ المشروع بعد خمس سنوات سوف يوفِّر رأس ماله ويكون دخلُه بعد ذلك أرباحًا، هذا إلى جانب أنَّه يوفِّر على المواطنين كثيرًا؛ حيث ستخفض قيمة الغاز حتى يكون سعر مئة رطل من الغاز **١٢** ريالًا بدلًا من **٣٠** ريالًا، وبعد خمس سنوات تقريبًا ينخفض إلى ستَّة ريالات.

إنَّ هذا المشروع الذي فكَّرَت فيه أمانة مدينة الرِّياض في عام **١٣٧٦هـ**، ثم بعد أن قطعَ مرحلةً من الدِّراسة والبحث وأوشَك على التنفيذ، إذا به يدخل في سراديب الإهمال والنِّسيان، ويصبح في خبر كان؛ لأمرٍ لا يزال يكتَنفُه الغموض، ويستعصي حلُّه على المَدارك، ولو كان هناك منتفِعٌ بالغاز إذا أُحرق لقلنا: ربَّما كان السبب، ولكن أن يُوءَد مشروعٌ حيويٌّ كهذا دون أن يكونَ هناك مستفيدٌ من هذا الوأد فأمرٌ يَصعُب تحليلُه وفَهم مراميه

(١) "الجزيرة" العدد (١٢)، في ٩/ ٥/ ١٣٨٤.

ودوافعه.

إنَّ الكتَّاب الذين تطرَّقوا للموضوع قد برهَنوا عن فوائد المشروع وضرورته لا بالنِّسبة للرِّياض وحدَها وإنَّما لجميع أنحاء المملكة، ومن ثمَّ فإنَّا نتوقَّع أن يوليَ المسؤولون هذا الأمر عنايتهم وأن يُسرعوا بإخراجه إلى حيِّز الوجود، وأن يُقترَح أن يُسنَد إلى أمانة مدينة الرِّياض؛ فهي به أجدر وله أعرف، أمَّا الذين عطَّلوا المشروع فلا نحسَب المسؤولين سيدَعونهم بلا تحقيق، إذا اقتضى الأمر.

وليس ببعيدٍ أن يكون من عطَّل هذا المشروع قد عطَّل مشاريعَ كثيرة مفيدةً ونافعة، وإنَّ المواطنين يترقَّبون من المسؤولين إصدار بيانٍ واضح حول هذا الموضوع الذي هو حديث الناس في الرِّياض وكثير من أجزاء المملكة، حتى يطمئنَّ المواطنون، ويعرفوا إلى أين تسير مشاريعُهم التي يترقَّبونها بفارغ الصبر.

اللُّغة العربيَّة

نريد مَجمعًا لغويًّا[(١)]

التَّعليم في هذه البلاد ينتشر بسرعة والثَّقافة تنمو حثيثًا، وتنوُّع المعلومات والدِّراسات العليا والتخصُّص أشياءُ لا بدَّ منها لأمَّة تريد النُّهوض والتطوُّر، وهو ما تلاقَت فيه الإرادتان الحكوميَّة والشعبيَّة على حدٍّ سواء.

وهذا ما يدعونا للمطالبة بإنشاء مَجْمَع لغويٍّ يَدرس ويبحث ويؤلِّف وينشر، ويُعنَى بلغة القرآن لغة العروبة والإسلام حتى تقفَ صامدةً أمام التيَّارات الغربيَّة، والألفاظ الدَّخيلة، والعُجمة الرَّكيكة؛ مجمع تتضافر فيه الجهود، وتجتمع فيه قوًى مفيدة نشِطة.

وعندما يُطالع المرء اللَّوحات المعلَّقة على أبواب المعارض والمتاجر والمؤسَّسات، ويصطدم بالألفاظ الدَّخيلة على لغتنا العربيَّة، لا شكَّ سيبادر إلى تأييد هذا الرأي، وعندما يسمع الكلمات الأجنبيَّة تُقحَم في المخاطَبات وتَلُوكها الألسُن عن معرفةٍ أو جهل فسيقول: نريد مَجمعًا لغويًّا، نريد حمايةً للغة الإسلام من الضَّياع واللُّكْنَة، وفي الصِّحافة كلمات تتردَّد على أعمدة الصُّحف بكثرة، وهي من الأعجميِّ الطارئ حتَّى أُلِّفت فيها الكتب، وللموظَّفين كلمات ينطِقون بها، وتمرُّ على ألسنتهم وهي ليست من العربيَّة في شيء، وبين التُّجار ألفاظ لا تمتُّ للعربيَّة بصِلة، ولدى العمَّال ورجال الجيش وسائر الطَّبقات من هذه الألفاظ أشياءُ كثيرة.

ولا أحسب هؤلاء يريدون لِلُغة القرآن شرًّا، أو يسيئون بها قصدًا، أو

(١) "اليمامة" العدد (٣٩٢)، في؟/ ١٢/ ١٣٨٣.

يَنوون عنها تحوُّلًا، إنَّما اضطُرُّوا إليها اضطرارًا، أو آثروا الرَّاحة على البحث والتَّدقيق.

ولا شكَّ أنَّه من اللَّوازم العنايةُ بلغة القرآن، والحرصُ عليها من الشَّوائب، وتطهيرُها من الأضرار، ولكن كيف السبيل؟ إنَّه لا بدَّ من شعور قوي، ومن عمل جادٍّ لتكون النتيجةُ سليمةً مفيدة.

إنَّه ينبغي أن يكون هناك مَجمعٌ لغويٌّ يكون في مقدِّمة أعماله تأليف قاموس موسَّع، يحتوي على ما استجدَّ من مبتَكرات العلم والاختراع، ويضع أسماءً عربيَّة بدل الأسماء الأعجميَّة، ويكون فيه مصطلحات تتَّفق والذَّوقَ العربي، والسُّهولةَ في النُّطق، والمفهومَ معناه من الألفاظ بلا تكلُّف أو تحَذلُق.

وقد يقول قائل: ولكن لماذا لا يَبحث كلُّ مثقَّف بنفسه ويجعل بدلَ كلِّ كلمة أعجميَّة كلمةً عربيَّة؟ ويكون الصحفيُّ والكاتب والتاجر والموظَّف والعامل مكلَّفين بالبحث عن الألفاظ العربيَّة؛ ليضعوها بدلَ الألفاظ الأعجميَّة؛ ما داموا متعلِّمين، ولديهم من الثَّقافة ما يمكِّنهم من الرُّجوع إلى كتب اللُّغة ومشتقَّاتها، وقواميسها ومَعاجمها؟!

وهذا القول ضربٌ من المستحيل؛ إذ إنَّ الصحفيَّ والكاتب والموظَّف والعامل والتاجر، ليس لديهم الوقت الكافي للرُّجوع لأمثال هذه الكتب والبحث فيها على نحو مُرض، وإن كلَّفناهم بالاستنتاج ووضع المصطلحات وارتجال الأسماء فهو الشَّطَط والعَسف.

ومع هذا؛ فنطلب منهم أن يحرصوا على لغة القرآن، وأن يُعنَوا بها بقدر ما يُطيقون، وأن يتَعاونوا لدرء الأخطار عنها، ودفع المحاولات

الشِّرِّيرة لإذابتها بين أمواج اللُّغات الأجنبيَّة الدَّخيلة.

وقد يقول قائل: ولكن أين من يستطيعون القيامَ بهذه المهمَّة الشاقَّة؟ وأين المثقَّفون ثقافة لغويَّة واسعة في بلادنا حتَّى يتكوَّن منهم المَجمَع اللُّغوي؟

وأقول: إنَّ في هذه البلاد - بحمد الله - من تتوافَر فيهم هذه الشُّروط، وتلتقي فيهم تلك الصِّفات، وقد يتألَّف المجمع بطريقة مختصرة وبعد ذلك يتَّسع ويكبُر ويرافق المجامع اللُّغويَّة في بعض البلاد العربيَّة.

هذه فكرةٌ تعتمل في نفسي منذ زمن، وقد أثارها من جديد تساؤلُ كاتب في صحيفة "عكاظ": كيف أنَّ كلمة غير عربيَّة وقعَت في جريدة "اليمامة" فلم أجعل بدلَها كلمة عربيَّة؟!

وإنِّي إذ أقدِّر للكاتب شعوره النَّبيل نحوي، أُحيِّيه إذ أتاح لي فرصةَ نشر هذا الاقتراح الذي طالما تمنَّاه الكثيرون، ورأوه ضرورةً لا غُنْيةَ عنها لبلادنا.

"التحقيقات المعدَّة"[(١)]

كتاب لطيفٌ حشَد فيه الأستاذ البحَّاثة عبد القدُّوس الأنصاريُّ مجموعةً طيِّبةً من اللُّغويِّين والجُغرافيِّين؛ لتأييد ما ذهب إليه من ضمِّ جيم (جُدَّة)، كما حوى الكتابُ بحثَين للأستاذَين أبي تراب الظَّاهري وعبد الفتَّاح أبي مدين، والكتاب فيه حصيلة تبيِّن الجهد المبذول، والسَّعي لإقرار الصَّواب ونفي الخطأ الشَّائع في استعمال الكَسر لـ(جدَّة)، وإذا كانت مثل هذه البحوث في نظر الكثيرين منهم، طائفة تهوى التَّخصُّص في اللُّغة والتَّاريخ والجغرافيا[(٢)]، فإنَّ المنصف المتجرِّد عن التعصُّب لا يسَعه إلَّا أن يقدِّر قيمة مثل هذا البحث وفائدته.

ولستُ أعرف ما هي مهمَّة المجامع اللُّغويَّة إذا لم تكن لتحقيق كلمة أو صواب استعمال وما دانَى ذلك وشابَهه، هل مهمَّتها إنتاج الصَّواريخ مثلًا؟!

والأستاذ الأنصاريُّ الذي أصدر "تاريخ جُدَّة" وغيره من المؤلَّفات الجيِّدة، وصاحب "المنهل" المجلَّة الأدبيَّة التي حافظَت على مستواها الرَّفيع - يستحقُّ التقدير والإشادة.

ومزيدًا من التَّحقيقات المفيدة.

---

(١) "المنهل" عدد محرَّم ١٣٨٦.

(٢) كذا! وكأنَّ في الكلام سقطًا. (الألوكة)

التَّجديد في أسلوب الخُطب[1]

الخطيب البارع هو ذلك الذي يختار لكلِّ مقامٍ مقالًا، ولكلِّ قصَّة أسلوبًا، ولكلِّ حادثة ما يُوائمها؛ فيحرِّك شَغافَ القلوبِ وأوتارَ النُّفوس.

ولقد اشتَهر خُطباء مَصاقِعُ من العرَب في جاهليَّتهم وإسلامهم؛ فقُسُّ بن ساعِدةَ الإياديُّ من الجاهليِّين، وسَحْبان بن وائل من المخضرَمين قد اشتَهرا بخُطبِهما البليغة.

ومن الإسلاميِّين: أبو بكر الصِّدِّيق، وعمر بن الخطَّاب، وعليُّ بن أبي طالب، وعبد الله بن الزُّبير، وعبد الله بن عبَّاس ﭫ، والحجَّاج بن يوسف، وزياد... وغيرهم.

وهناك عدد من الخطباء المشاهير في كلِّ عصر، يُثيرون الإعجابَ بفصاحتهم، وكان هؤلاء الخطباء يُلقون خطبهم ارتجالًا في الأغلب، وقد يُنشئون الخطب ويكتبونها وينقِّحونها، ثم يُلقونها بعد ذلك، ولكنَّهم لم يكونوا يعتمدون على خُطب قديمة يحفظونها عن ظهر قلب أو يقرؤونها مكتوبةً كما هي بنصِّها وفصِّها، ويتداولونها مئات السِّنين.

وإنَّما جرى ذلك حين انتشر الجهل وركَد العلم، فألَّف ابنُ نُباتةَ وأمثاله خطبًا لأئمَّة المساجد.

وقد يحدُث عندما يخطُب أحد المقلِّدين أن يثيرَ ضحكات النَّاس وسخريتهم؛ فقد يدعو بالنَّصر للخاقان الأعظم الذي مات منذ مئة سنة، أو

(١) "اليمامة" العدد (٤٣٢)، في ١٣٨٣/٦/٢٠.

يشتِم سلطانًا كان مخلوعًا، ثم عاد سلطانُه، ويتحمَّس لتأييد دولةٍ قد انصرَمت منذ عشرات السِّنين! وهكذا دَواليكَ من المضحكات المبكِيات التي سبَّبها الجهلُ والعجز.

وعندما ننظر إلى تاريخنا المَجيد نجد أنَّ الرسول ﷺ وصحابته وخلفاءه، والخطباءَ في العصور الإسلاميَّة المزدَهِرة كانوا جميعًا يأتون بخُطب جديدة في أُسلوبها، وإن كان مشاهيرُ الخطباء يورِدون اقتباساتٍ من القرآن والحديث والأمثال والشِّعر، إلَّا أنَّ ذلك يُعرَض بأسلوب مشوِّقٍ وطريقةٍ رائعة، تتخالف كليًّا مع أسلوب المقلِّدين المُكرِّرين، ويتناقَض معها تمامًا.

ونحن إذ نُشيد ببعض الخطباء الشَّباب الذين شقُّوا طريقهم في الخَطابة فأثَّروا في النُّفوس، وأحسَنوا التوجيه، ووضَعوا الشيء في موضعه المناسب، وكان لكلامهم وزنٌ ولأسلوبهم أثرٌ جميل.

فإنَّا نعجب من تمسُّك بعض الخطباء بطريقته القديمة في حِفظ خُطبٍ مضى عليها مئات السِّنين، وتغيَّر كثير من المشاكل التي تُعالجها، وجَدَّت أحداثٌ ومذاهبُ ومشاكل تحتاج إلى أسلوبٍ آخر، غير المحفوظات التي يسبق الأطفالُ الخطيبَ في قراءتها؛ لكثرة ما تردَّدَت على مسامعهم.

ومن العجيب أنَّ بعض الخطباء هؤلاء عندما تنِدُّ عنه سَجْعَةٌ من السَّجَعات في الخُطبة المحفوظة يُرتَج عليه ويضطرب، ويكرِّر تلك الجملة حتَّى يعثُر على سَجْعَته المفقودة بعد أن يقعَ في حَيصَ بَيصَ.

إنَّه يوجد بحمد الله جامعيُّون يجيدون الخطابة، ويحسنون الارتجال، ويَعرفون مشاكلَ مجتمعهم وحلولَها، فلماذا لا يُستفاد من هؤلاء ويُسنَد إليهم

أمرُ الخَطابة، ويُفسح لهم المجال لكي يقوموا بهذا الدَّور الخطير؟!

فلمِثله قد تهيَّؤوا، وأمضَوا السنوات الطِّوال في التحصيل والتدريب؛ لكي يوجِّهوا ويؤثِّروا.

هذه كلمة لا أحسبها في حاجةٍ إلى مَزيد من البراهين، وليس الاقتناع بها صعبًا؛ لوضوح الفكرة واستيعابها! ومن ثَمَّ فإنَّ تحقيقها سيكون عاجلًا بمعونة الله، وللمسلمين في رسول الله ﷺ وصحابته أُسوة.

دوحة الأدب

ما قولكم في هذه الألقاب؟[1]

أهل هذه الجزيرة أقربُ النَّاس إلى الفِطرة، وأبعدُهم عن التكلُّف والمظاهر الفارغة، وكان واضحًا وملموسًا إلى وقت قريب جدًّا، ولكنَّهم بعد أن اختَلطوا بأهل هذه الألقاب بحُكم صِلاتهم بالخارج واحتكاكهم بشعوبٍ أخرى، طرأَت تغييراتٌ على طريقتهم في الحياة وعلى عاداتهم وتقاليدهم، وهي وإن لم تصِل إلى درجة (الأزَمان) فإنَّ التغيُّر الملحوظ يبدو واضحًا، ولهذا التعبير حسناتُه في حالات، وسيِّئاتُه في حالات.

ومنذ وقتٍ قريب كان كثيرٌ من هذه الألقاب المتداوَلة لدينا حاليًّا غيرَ معروفة، وفجأةً أصبحَت هذه الألقاب تكاد تكون شعارًا مميزًا لبلادنا خاصَّة، وانعكسَت الآية؛ فقد صار الكثير من هذه الألقاب في بلاد العالم كلِّه تقريبًا في ذمَّة التاريخ وفي خبَر كان، يذكرونه للعبرة أو التندُّر.

وتحوَّلَت رواسبُ هذه الألقاب لدَينا، رغم مُجافاتها لطبائعنا، ونتيجةً لذلك أوشكَت حرارة الصِّدق في نُطقها، والاقتناع بحسن اختيارها تَذوبان في خِضمِّ التقليد الرواسبي، الذي جمع نُفاياتِ هذه الألقاب لدَينا بطريقةٍ غامضة.

دُول تصدِر مَراسيمَ وأوامرَ لإلغاء الألقاب الطنَّانة الرنَّانة، فتَسلَم من نفاق وتُرَّهات هذه الألفاظ، بينما تُصبح بلادُنا مأوًى لها ومآلًا.

شيء عجيب!

وعندما نرجع للتَّاريخ نجد أنَّ هذه الألقاب لا تَسري في مجتمع إلَّا

---

(١) "اليمامة" العدد (٣٩١)، في ١٣٨٣/١/٢٥.

وتُنذر بزواله، وتُشعر بتلاشيه واضمِحلاله.

ونجد شاعرًا عربيًّا يتأفَّف من هذه الألقاب الجوفاء، ويَكاد يشهد مَصرع بلادٍ عزيزةٍ على النُّفوس، نَذكرها فلا نملك إلَّا ذرفَ الدُّموع الساخنة عليها؛ الأندلس الغالية، فيُرسل هذا الشَّاعر نداءً هو الرِّثاء العاجل:

مِـمَّـا يُـزهِّـدُنـي فـي أرضِ أنـدَلُـسٍ أسـمـاءُ مُـعـتـمِـدٍ فـيـهـا ومُـعـتَـضِـدِ
ألـقـابُ مَـملـكَـةٍ فـي غيـرِ مـوضـعِـهـا كـالـهِرِّ يَحكي انتِفاخًا صَولةَ الأسَدِ

وهذه الألقاب المتداوَلة الآن هنا؛ كصاحب المعالي والسَّعادة والسَّماحة والجَلالة والفضيلة والسُّمو[1]، كلُّها ألقابٌ دَخيلة على هذه البلاد، غريبةٌ عليها، وكأنِّي بمن تُقال لهم هذه الكلمات ويُلقَّبون بهذه الألقاب يتمنَّون مَحوَها من الوجود؛ إذ إنَّها ليست أكثرَ من عباراتٍ تُقال آليًّا كالأسماء الجامدة كما يسمُّونها في النحو واللُّغة، ويمكن الاستغناء عنها بلقب الأمير والشَّيخ والأستاذ مثلًا.

وبلادُنا بحمد الله لا تزال قريبةً من الفطرة، قابلةً للتخلُّص من الأشياء الدَّخيلة التي لا نفعَ فيها، والتي قد تُثير من السُّخرية أكثرَ ممَّا تُثير من الإعجاب والوفاء، وأذكر أنَّ ملك ليبيا إدريس السُّنوسي قد أصدَر أمرًا بألَّا يُلقَّب بصاحب الجَلالة، وفي بلاد عربيَّة أخرى أُلغِيَت ألقابُ الباشا والبِك وأشباهها.

ونحن أحقُّ بإلغاء الألقاب التي هي دخيلةٌ على بلادنا وضدُّ طبائع أهل البلاد بما فيهم من يُلقَّبون بها.

---

(١) ألقى الملك فَيصل خطابًا في حفل عام، وقال ما معناه: إنَّه لا يَرضى أن يُلقَّب بصاحب الجلالة أو الجالس على العَرش.

إنَّ الحبَّ والولاء والتقدير ليست في حاجةٍ للتَّعبير عنها إلى ألفاظ جوفاءَ صمَّاء، ومظاهرَ كاذبة.

إنَّني أدعو المسؤولين والصحفيِّين والجمهور أن يتعاوَنوا في التخلُّص من أمثال هذه الألقاب الفارغة، فهل يفعلون؟!

هَواجس الواقع

كان مَنظرُه غريبًا مفزعًا؛ فقد عَهِدتُّه هادئًا متَّزنًا قبل أن ألتقيَ به هذه المرَّة، وقبل أن يستقرَّ به المكان، وجَّه سؤالًا لم يكن من نمَط الأسئلة التي اعتدتُّ أن أسمعَها منه، ممَّا دعاني لتصويب النَّظر إليه فاحصًا، وسرعانَ ما حَدَجَني بنظرة غاضبة، وتزاحمَتِ الخواطرُ في ذهني، وعُدتُّ بالذاكرة أتحسَّس هذا الإنسان الغريب، وهل أجد فيها حالاتٍ كالتي أجدها الآن؟ وكان الجواب سلبيًّا.

وقلتُ: لا شكَّ أنَّ شيئًا قد طرأ، غيَّر صاحبنا وأثَّر في نفسيَّته، وكان سؤاله غريبًا: من نكون؟ ولم تكن حماسته ولهجته القويَّة الثائرة لِتَدع لي مُناقشتَه والاستيضاحَ منه عمَّا يَعني. وبطريقةٍ هادئة حاولتُ استِمهاله، وأن يغيِّر الحديث إلى ما كنتُ أعهده منه من أحاديثَ مفهومة، بعيدةٍ عن الغضب والإثارة.

وهنا بدَت منه سَورة غضبٍ مفعَمة، وأردفَ: أحسبك لا تهزأ بي ولا تنتقص الفكرةَ العميقة التي هُرِعتُ إليك لمناقشتها، وكانت حركاته البهلوانيَّة في ارتعاشها توحي بكثير من الضَّحك والرِّثاء في آنٍ واحد، إنَّه جادٌّ وهذا ما جعَلني في حَيرةٍ من أمره، فماذا تراه يطلب وماذا عساه يأمُل؟!

إنَّ سؤاله بسيط جدًّا، ولكنَّ الصرامة والحدَّة اللَّتين بدَتا عليه لا تُلائمان وضوح السُّؤال وبساطته، وأفهمتُه أنِّي أقدِّر أفكارَه وآراءه ولكنِّي مع ذلك أرغب في أن يسودَ الهدوءُ جوَّ المناقشة والحديث أوَّلًا؛ حتى يمكن فهمُ الحقيقة، وكأنَّما استصوب رأيي بدليلِ أنَّه وافق.

وبعد فترة من الصَّمت قلتُ: لا مؤاخذة؛ اسمح لي أن أقول: إنَّ أمرًا قد حدث لك فهل لك أن تخبرني لكي أستطيعَ الوصول إلى ما يرمي إليه سؤالُك العجيب؟ ورفع كفَّه اليسرى ليضعها فوق صدغه؛ لعلَّه يريد أن تمسكَ برأسه الذي أثقلَته الأفكار، أو على الأصحِّ الذي ناء بحمل هذا السُّؤال الذي ما زال يصرُّ على أنَّه (وجيه)!

التُّراث الحافل[1]

في المؤلَّفات التي خلَّفها الأقدمون ثروةٌ هائلة، وكنوزٌ ثمينة، وثقافةٌ رَصينة، وفيها من العلوم والآداب والثقافات المتنوِّعة ما لا يمكن حصرُه، ولا يُطاق استيعابُه، وما على المرء إلَّا أن يستفيدَ من وقته في مُطالعة تلك الكتب، والاستزادة من مَناهلها الثرَّة؛ ليكون لديه حصيلةٌ طيِّبة من العلم والمعرفة.

وقد توافرَت الوسائل الكثيرة في العصر الحديث، وسَهُل اقتناء الكتب، والبحثُ والمراجعة وتنمية الثَّقافة؛ فآلات الطِّباعة، وجَودة الورق، وتزيين الكتب بالتَّرقيم والعلامات والفواصل، والتأنُّق في الغلاف والكتابة، وسائلُ جذَّابة لتشويق القارئ وحثِّه على الاستزادة من المعرفة.

هذا بالإضافة إلى ما وفَّرته الدَّولة من مدارسَ ومكتبات، وما بذلَته في سبيل إعداد التلاميذ وحَشدِ المدرِّسين وتهيئة الأجواء المريحة، والتَّسهيلات الكثيرة للوصول إلى العلم من أقرب طريق، وأحسن سبيل...

كلُّ ذلك ينبغي أن يكون حافزًا للمرء على الجدِّ في البحث والقراءة بلا كَلَل ولا مَلَل، وممَّا يُؤسَف له أنَّ بعض الوسائل العصريَّة قد استُغلَّت استغلالًا سيِّئًا؛ فبعض الكتَّاب والصحفيِّين قد انصَرفوا إلى نَواحٍ تُشتِّت الوقت وتهدِّد الجهدَ في غير طائل، أو فيما فيه ضررٌ على عقليَّة الإنسان وعواطفه.

---

(١) جريدة "الرياض" العدد (٣٤٣)، في ٢٧/ ٢/ ١٣٨٦.

وذلك ككُتب الإلحاد والمُجون والآراء المخزية، وكالصُّحف والمجلَّات التي يطمع مُنشِئُها في الرَّواج واستثارة الغرائز؛ للوصول إلى المال عن طريق إفساد الشَّباب وتفكُّك المجتمع، وإرضاء النَّزَوات الطائشة.

والمطابع التي تشجِّع هذا اللَّون المنحطَّ، وتسهِّل انتشاره قد أصبحَت بلاءً على المجتمع، وخطرًا يهدِّد كِيانه، وإذًا فإنَّ الانتقاء واختيار الجيِّد أمران لا بدَّ منهما لمن يريد أن يتثقَّف ثقافةً رصينة، ويوسِّع مَداركه وينمِّي معلوماتِه.

وإنَّ في الكتب القديمة التي يسمِّيها بعض المكابرين أو الأغبياء (الكتب الصَّفراء) من عظيم الثَّقافة وواسعِ المعرفة - ما لا يَجحده إلَّا منكِرٌ للحقيقة ومنقادٌ للأوهام ومشبَعٌ بالهوى.

ومن المُحزن صُدوفُ كثيرٍ من الشباب عن هذه الكتب، وركونهم إلى مُطالَعات الصُّحف ذات اللَّون التافه والمواضيع السَّطحية، والتي تقتل الوقت وتُضيع العمر في غير فائدة، والتي أقلُّ شأنها أنَّها تُعنَى بقيل وقال، وأخبار الحفَلات وأنباء السَّهَرات، وعن الرَّقيع فلان، والمتهتِّكة علَّانة، وتَخاصُم هذا مع ذاك، وسخرية ذلك من أولئك، وهكذا الكتب التي تَحوي الخلاعة الغثَّة، والتي تدُسُّ السُّمَّ في الدَّسم إن لم تكن سمًّا خالصًا، وهكذا دَواليكَ يذهب الكثير من الشَّباب ضحيَّة أوهام وتشكُّكات، وضياع بين المذاهب والنِّحَل، وميل إلى الكسل والتبلُّد، بعيدين عن الجِدِّ والعزيمة، والبناء القويِّ المتماسك.

وإذا كان هناك مربُّون وأساتذة وغَيورون ينادون بالاتِّجاه نحو الثَّقافة الصَّحيحة، والابتعاد عن الصُّحف والمجلَّات والكتب الضارَّة، فإنَّ

أصواتهم غالبًا تختنق وَسْطَ الضَّجيج والعجيج من المخدوعين والماكرين، وتمرُّ قوافلُ من المعتذرين بالتفاهات مُمعِنين في غوغائيَّتهم رغم النتائج الوخيمة لهذه المسيرة التَّائهة، ولكنَّها مسيرةٌ يجب أن تتَّجه إلى الطريق الصَّحيح.

ومِن لازم المربِّين ورجال العلم أن يبيِّنوا ما يَعنيه التخبُّط من وَبالٍ وخَسارةٍ على الأمَّة، وأن يُرشدوا إلى الكنوز القريبة، والثَّقافة الجاهزة في الكتب التي لا تكلِّف عناءً في طلَبها، ولكنَّها تَحوي الغذاء الفكريَّ القويم، والتي هي امتداد لمجدٍ عظيم يريد المغرضون أن يُبعدوا النَّشء عنه؛ حتى لا يَعرف أين يتَّجه، ولا كيف يسير، ومع ما أصاب المجتمَعات الإسلاميَّة من أضرار بعد أن ضلَّت بها السُّبل، فإنَّ الأمل ما يزال قويًّا بأن تتضاعفَ الجهود للسَّير في الطريق السَّوي، فعسى أن تفعل.

سرقة أدبيّة شنيعة[1]

السَّرقات الأدبيَّة ليست جديدة، وكثيرًا ما كتب عنها الكاتبون، وانتقَدها الأدباء والباحثون قديمًا وحديثًا، وما أكثرَ ما نشَرت الصُّحف عن السَّرقات الأدبيَّة مستهجِنةً لها، مندِّدةً بأصحابها! ومع ذلك فصُوَرها البشعة ما فتِئَت تَطلع بين وقت وآخر.

وهي - على أيِّ حال - متفاوتةٌ في درجاتها ودركاتها؛ فمن يَقتطف أسطُرًا قليلة ليس كمن يسطو على الصَّفَحات بكاملها، ومن يكتب في جريدة سيَّارة، قد يكون أسهَل ممَّن يحوزها في كتاب أنيق يتصدَّر فيه اسمه الذي يريد الشُّهرة من أيِّ طريق، غيرَ عابئ بالأمانة العلميَّة وأذواق القرَّاء، وإمكان اطِّلاعهم على المواضع الأصليَّة لإعادة الحقِّ إلى نصابه.

وأمامي اليوم قصَّة فيها مرارةٌ وأسف، وفيها لونٌ من ألوان السَّرقة الأدبيَّة في أبشَع صُورها، وبينَ المؤلِّف الجديد صاحب السَّرقات الأدبيَّة وبين المسروق منه ستَّة قرون من الزَّمن.

أمَّا هذه القصَّة المثيرة فبطَلها هو الأستاذ محمد كامل علوي، من مصر، واسم كتابه "الرِّياضة البدنيَّة عند العرب"، ويقع هذا الكتاب في (١٩٠) صفحةً من القَطع المتوسِّط بدون الفهرس والمَراجع، والناشر له: مكتبة النَّهضة المصريَّة، وفيه مقدِّمة للشيخ عبد الله البراهيم الفضل وزير المملكة المفوَّض بمصر سابقًا بتاريخ **١٠** صفر سنة **١٣٦٧**هـ/ **٢٣** ديسمبر سنة **١٩٤٧**م، وقد كتب على الغلاف تحت اسم المؤلِّف المذكور أنَّه (مفتِّش

---

(١) "الجزيرة" العدد (٤٦)، في ٢٥/ ١/ ١٣٨٥.

عام التَّربية البدنيَّة بوزارة المعارف بمصر)، كما ذكر شهاداتِه العلميَّة، وعددها خمس شهادات من جامعات أوروبَّا.

وأمَّا الأصل الذي سرق منه هذا المؤلِّف صفحاتٍ عديدةً دون إشارة إليها، وحتى إنَّه لم يذكر ذلك الكتاب من جملة المراجع التي دوَّنها في آخر كتابه على أنَّها مصادرُ استعان بها في تأليف كتابه - أمَّا ذلك المؤلِّف القديم فهو العلَّامة شمس الدِّين محمَّد بن أبي بكر بن قيِّم الجوزيَّة (المتوفَّى سنة ٧٥١ هجريَّة) وكتابه "الفروسيَّة".

ففي (ص١٢٢) حتَّى (صفحة١٢٧) من كتاب "الرِّياضة البدنيَّة" بحث مطوَّل بعنوان (المفاضلة بين ركوب الخيل والرَّمي)، وهو موجود في كتاب "الفروسيَّة" لابن القيِّم (ص١١) حتى (صفحة١٧) ما عدا العنوانَ وبعض ألفاظ قليلة، وتغيير طفيف.

وكتاب "الفروسيَّة" لابن القيِّم مطبوعٌ بمطبعة الأنوار بمصر، طبعته الثانية بمصر ١٣٦١هـ، ومعه مقدِّمة بقلم الأستاذ عزَّت العطَّار الحسيني، وصفحاته (١٣٠) صفحة.

وفي (ص١١٧) من "الرِّياضة البدنيَّة" بحثٌ بعنوان (أسرار الرمي)، وهو في "الفروسيَّة" لابن القيِّم (ص١١٣).

وفي (ص١١٨) من "الرِّياضة البدنيَّة عند العرب" بحث وهو في "الفروسيَّة" (ص١٠٩).

وفي (صفحة١٠٨) من كتاب "الرِّياضة البدنيَّة عند العرب" بحث عن أركان الرمي... إلخ، وهو في "الفروسيَّة" لابن القيِّم (ص١٠٨).

وفي (ص٥٥-٦٠) من كتاب "الرِّياضة البدنيَّة" بحث عن الفروسيَّة، وهو موجود في المقدِّمة التي كتبها الأستاذ عزَّت العطَّار الحسيني لكتاب "الفروسيَّة" لابن القيِّم.

وفي (ص١٤٧-١٥١) من كتاب "الرِّياضة البدنيَّة عند العرب" بحث عن أنواع المسابقة، والاقتباس فيه واضح، وإن كان هنا قد تصرَّف بعض الشيء في التقديم والتأخير والتبديل.

وانظر البحث (ص٢) حتى (صفحة٩) من "الفروسيَّة" لابن القيِّم.

بقي أن نتساءل: من أين أتى مؤلِّف "الرِّياضة البدنيَّة عند العرب" ببقيَّة موادِّ كتابه؟!

أغلب الظَّن أنَّها من كتبٍ جرى لها ما جرى لابن القيِّم و"فروسيَّته"!

وبعد؛ فما رأي الأدباء والباحثين في هذا الكتاب وصاحبه؟! وإن كان ذلك معروفًا سلفًا، وللحقيقة أحببتُ إيضاحَ ذلك بلا رموز ولا غموض.

ولا يفوتني أن أنقُل شيئًا من كتاب "الرِّياضة البدنيَّة عند العرب" بنصِّه، وأُتبِعه بعد ذلك بكلام ابن القيِّم من كتابه "الفروسيَّة"؛ كمَثل يُظهِر مدى عمل مؤلِّف "الرِّياضة البدنيَّة":

يقول مؤلِّف هذا الكتاب - إن صحَّ هذا التعبير - (ص١٢٢) في معرض المفاضلة بين الرَّمي وركوب الخيل:

«واحتجَّ أصحاب الرأي القائل بأفضليَّة ركوب الخيل بوجوهٍ عدَّة:

أحدها: أنَّه أصل الفروسيَّة وقاعدتها.

الثاني: أنَّه يعلِّم الكرَّ والفرَّ والظَّفر بالخَصم.

الثالث: أنَّ الحاجة إلى الرَّمي في ساعة، وأمَّا الرُّكوب فالحاجة إليه من أوَّل ما يخرج العربيُّ إلى القتال إلى أن يرجع.

الرابع: أنَّ الرُّكوب يعلِّم الفارس والفرس معًا، فهو يورث القوَّة في المركوب والرَّاكب.

الخامس: أنَّ النبيَّ ﷺ راهنَ على فرس يُقال له سَبْحَة، فسبَق النَّاس؛ ذكره الإمام أحمدُ، ولم يُروَ عنه أنَّه راهن في الرمي.

السادس: أنَّ ركوبه ﷺ فاق أضعافَ رميه.

السَّابع: أنَّ الله ﷻ عقَد الخيرَ بنَواصي الخيل إلى يوم القيامة»... إلخ.

ويقول ابن القيِّم في "الفروسيَّة" (ص١١-١٢):

«واحتجَّ أصحاب هذا القول بوجوه:

أحدها: أنَّه أصل الفروسيَّة وقاعدتها.

الثاني: أنَّه يعلِّم الكرَّ والفرَّ والظفر بالخَصم.

الثالث: أنَّ الحاجة إلى الرمي في ساعة، وأمَّا الرُّكوب فالحاجة إليه من أوَّل ما يخرج إلى القتال إلى أن يرجع.

الرابع: أنَّ الرُّكوب يعلِّم الفارس والفرس معًا فهو يُؤثِر القوة في المركوب وراكبه.

الخامس: أنَّ النبيَّ ﷺ راهن على فرس يقال له سَبْحَة فسبق الناس؛ ذكره الإمام أحمد، ولم يُحفَظ عنه أنَّه راهن في النِّضال.

السادس: أنَّ ركوبه ﷺ أضعافُ رميه بما لا يُحصى.

السَّابع: أنَّه سبحانه عقَد الخيرَ بنواصي الخيل إلى يوم القيامة». . . إلخ.

ولا شكَّ أنَّ القارئ يستطيع أن يُدرك مِن هذا المثال مدى تجنِّي هذا (المؤلِّف)، وسلوكه طريقةً غير أمينة ولا دقيقة، بل إنَّها تتنافى والبحثَ العلميَّ ومناهجَ العلماء وأهلِ التَّحقيق، والله المستعان.

النقد الهادف

النقد الهادف دِعامةٌ للتقويم والارتكاز، ووسيلةٌ لإصلاح الأخطاء، والوصول إلى الغاية المرغوبة، فالأعمال الأدبيَّة والعلميَّة والفنِّية مثلًا لا تستقيم ولا يُرجى لها الازدهار والتطوُّر لتَنضَج في أسلوبها ومعناها، وحتَّى تكتمل، أو تُقارب الاكتمال - شكلًا وموضوعًا - لا يتصوَّر لذلك الإنتاجِ النُّضج والازدهار ما لم تُواكِبه إصلاحاتٌ نقديَّةٌ تسلِّط الأضواء وترسم الطَّريق، وتحدِّد الهدف.

لكن أيُّ لون من ألوان النَّقد ذلك الذي يتطلَّع إليه الباحث، والقارئ والمستمع؟!

أهو النَّقد الذي يَحمل صاحبُه معاولَ الهدم ليُطيحَ بالبناء من القواعد، وينقُضَ ما نسجَته أيدٍ في أزمان، ويريد أن ينسِفَ بكلمةٍ واحدة أعمالًا جبَّارة، كلمة واحدة يرسلها كقاصف الرَّعد في غير هوادة ولا رحمةٍ بالمنقود والقارئ والإنتاج؟!

لقد قيل: إنَّ الهدم أسهلُ من البناء، وهو حق.

وهل النَّقد الذي يرتجيه المتلهِّفون لمعرفة الحقيقة لذاتها مجرَّدةً من الأهواء الشخصيَّة والأغراض الكامنة الظاهرة، هل ما يريده الباحثون عن العلم للعلم، والفنِّ للفنِّ هو ذلك النَّوع من النَّقد؟

كلَّا!

إنَّ القارئ يتقزَّز ويتضجَّر من بعض ما يُحشر في زُمرة النَّقد ظلمًا، وما

كان من النَّقد في شيء، يأتي بعضُهم بما يسمِّيه نقدًا، والمفهوم بدهيًّا أن ينقُدَ الإنتاج ليستكشفَ مواطنَ القوَّة والضعف، وليوجِّه ويوضح، وإذا هو مع الأسف المرير ينقُد الشَّخص، ويتَّضح من ثنايا كلامه أنَّه يقصد في الدَّرجة الأولى الانتقامَ لا الوصول إلى الحقيقة.

ومن ثَم ترى كشكولًا غريبًا من تَشامُخ وإطراء، وممَّن؟ من النَّاقد لنفسه أو من بعض (مَحاسيبه)، في زَهو وتَفاخر، وهذا ما يمُجُّه الذَّوق السَّليم، ويَستشعر القارئُ لتلك المهاترات - المسمَّاة زورًا : نقدًا - مرارةً وضجرًا، ولا يلبث أن يَدعوَ بدعوات حارَّة صادقة أن يوفِّق الله أولئك النَّاقدين لسلوكِ منهج قديم قويم، مُرتكزٍ على أساس متين يتوخَّى الصِّدق والنَّزاهة، هدفه الوصولُ إلى الحقيقة في غير هياج ولا إزعاج، ولا تطاوُل أو غرور.

وكم هو جميلٌ أن نقرأ النَّقد دائمًا ولكن بلا تشويه أو تخبُّط، كما نتمنَّى أن يكونَ لدى المنقود الصَّدر الرَّحب لتقبُّل ما يوجَّه إليه من إيضاح وتبيان للصَّواب، وأحسب أنِّي قد عبَّرت بهذه الخاطرة - التي أقصد منها الحقَّ وحدَه - أحسب أنِّي عبَّرت عمَّا يَعتمل في نفس القارئ الذي يؤلِمه أن يرى بين آونةٍ وأخرى في صحُفنا المحليَّة نقدًا لا يمتُّ للنَّقد بصِلة.

إنَّه أملٌ نقدِّمه للأساتذة الأجلَّاء وللشباب المتنوِّر! عسى أن يتحقَّق فترتاح الأعصاب وتهدأ الخواطر، وألف شكر لهم إن فعلوا.

الكتاب نِعمَ الجليس(١)

الكتاب أنيسٌ لا يُمَل، وجليسٌ لا يُسأم، إن أردتَّه يحدِّثك رأيتَ العجب، وإن طلبتَه يقصُّ عليك أتى بالغرائب، وإن تُرِد عِبرًا وجدتَّها، أو عِلمًا نِلتَه، أو أدبًا حُزته، أو فقهًا فهو دانٍ، أو تفسيرًا فهو قريب، أو تاريخًا فأمامَك عرض الأجيال ومشهدٌ للأُمم، فيه الوئام والخِصام، والصَّداقة والعداوة، والفرحة والأحزان، والإقبال والإدبار، أمامَ حشد حاشد من الطَّبائع المتباينة، والعادات المختلفة، والألوان والأجناس المتضادَّة، واللُّغات واللَّهجات المتناقضة، فيه السارُّ المفرح، والمؤلم المحزِن، ولن تلقى من الكتاب إلَّا جليسًا تأمن مغبَّته، وتطمئنُّ إلى سريرته، وتركَن إلى صُحبته:

وخَيرُ جَليسٍ في الزَّمانِ كِتابُ

فهو لن يُفشيَ لك سرًّا، ولن يكتُمَك ما في نفسه، ولن يتَجاهل طلبَك أو يُغفِل رغبتَك، أو ينُمَّ عليك أو يَعصي لك أمرًا، تنتقل بين رُبوعه وتقطِف شتَّى ثماره، وتمتصُّ رحيقَ أزهاره، فلا يغضب ولا يعتِب ولا يصدُّ ولا يهجُر، ولا يُقابلك بعُبوس واستياء، ولا يُبادِلك نأيًا بنأي وصدودًا بصدود.

فما أجملَ السَّاعات بين الكتب! وما أحلى اللَّحظات بين السُّطور! يستمتع بها القلب والنَّفس، ويتسلَّى بها السَّمع والبصر، فإن رُمتَ تغريد البلبل، وصدحَ العندليب، وهَديلَ الحمام، وزقزقةَ العصافير، وخَريرَ المياه، وحديثَ العشَّاق، وسمَر السُّمَّار - وجدتَّه. وإن رُمتَ المرح والأنس

(١) أذيعت من الإذاعة السُّعودية بجُدَّة.

والفكاهة ومستعذَب الحديث، فهو بين يدَيك بلا نصَب ولا ضجر. وإن تُقتَ للاطِّلاع على سِيَر الناس وعاداتهم وآرائهم وأنماط حياتهم لقيتَها.

وإن تطلَّعَت نفسُك لمشاهدة الأبطال، ورجال الحروب، وصليل السُّيوف، وقعقعة السِّلاح، وصهيل الخيل، وأزيز الطائرات، وطلَقات المدافع، ومعمَعة المعارك، وأشلاء الضَّحايا، وتطايُر الرُّؤوس، وتبادل الطَّعَنات، ومبارزة الفرسان - شهِدتَّ ملحمةً دامية رهيبة طويلةَ الآماد. وإن وَدِدتَّ معرفة الأنساب والقبائل والأجداد والأحفاد، فما أقربَها رغم تطاول السِّنين والدُّهور!

وإن تُرِد فقهًا أو نحوًا أو حديثًا، أو علوم الحَيَوان والنبات والفلَك، وطبقات الأرض والحساب، وتقويم البُلدان - فما أسرعَ وِجدانَك لها.

وبعد؛ فما أروعَ الكتابَ! ما أجدرَه بالصُّحبة!

عَيش الأديب[1]

كلمة تُؤثَر عن جمال الدِّين الأفغاني، على ما أظن:

«الأديب في الشَّرق يموت حيًّا، ويَحيا ميّتًا»!

وهذه الجملة تمثِّل واقعًا مرًّا في الشَّرق؛ إذ يَنسى أُدباءَه ومفكِّريه، فيلقَون الإهمالَ والجحودَ وعدم التقدير، ولا تسأل عن البواعث والأسباب؛ فقد يكون الجهلُ أحدَها، وقد يكون الحسدُ أكثرَها.

ومع ذلك فهل الذين يَلقَون الإهمالَ هم الأدباءُ وحدَهم؟ صحيحٌ أنَّ كثيرين من الأدباء يُطربون بتغريدهم، ويُشجون ببيانهم، ويحرِّكون المشاعر الصَّلدة، والقلوب الجامدةَ بجميل كلامهم، وبديع أقوالهم، ولكنَّهم يُقاسون شظفَ العيش، ويشهَدون من هم أقلُّ منهم علمًا وأدبًا وذكاء، يرتقونَ خطير المناصب، وينالونَ الكثير من المال حالَما أنَّ هؤلاء الزُّمرة من الأُدباء والمفكِّرين في عِراكٍ مع لُقمة العيش، ونَيل الكَفاف من الكِساء والسَّكن وضرورات الحياة البسيطة.

كلُّ هذا من واقع الحياة ومَفارقاتها مع كثير من النَّابهين:

ولو كانتِ الأرزاقُ تَجري على الحِجَى   هلَكنَ إذًا مِن جَهلِهنَّ البَهائمُ

وكما يقول المتنبِّي:

ذو العَقل يَشقى في النَّعيم بعَقلِه   وأخو الجَهالةِ في الشَّقاوةِ ينعَمُ

إنَّ الأدباء ليسوا وحدَهم الذين يُعانون من هذه الغرائب، ولكنَّ

(١) "المنهل" الجزء السادس، المجلَّد (٢٦)، جُمادى الثانية ١٣٨٥.

المصلِحين في كلِّ عَصر ومِصر!

أليسوا دائمًا - ويكاد يكون قاعدةً مطَّرِدة - قد نالهم من الأذى والحسَد والبلاء الشَّيء الكثير، من قَتلٍ وسَجنٍ وتشريدٍ وتعذيب، وإيذاءٍ بالقول والعمل؟! ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦].

الأنبياء صفوةُ خَلقِ الله أصابَهم من شرِّ الناس وأذاهم ما لا يُتصوَّر؛ يقول الله تعالى عن اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، ويقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذّاريات: ٥٢-٥٣].

وإنَّ فيما لاقاه خيارُ الأمَّة وفضلاؤها ما يَبعث العَزاءَ في نفس كلِّ مُصلح؛ فعُمر بن الخطَّاب الخليفة الرَّاشد، وعثمان بن عفَّان أحد من شَهِد لهم رسولُ الله ﷺ بالجنَّة، وعليُّ بن أبي طالب الذي يحبُّ الله ورسولَه ويحبُّه الله ورسوله - هؤلاء الخلفاء الرَّاشدون قُتلوا ظلمًا وعدوانًا.

وسعيد بن جُبير قُتل ظلمًا، وأحمد بن حنبل، ومالكُ ابن أنس، وأبو حنيفة، وابن تيميَّة، والبخاريُّ صاحب "الصحيح"، وابن القيِّم، ومحمَّد بن عبد الوهَّاب - أُوذوا؛ فمِنهم من ضُرب، ومنهم من سُجن، ومنهم من شُرِّد.

وموسى بن نُصير، وقُتيبةُ بن مُسلم، ومحمَّد بن القاسم، وهم قادةُ فُتوح إسلاميَّة عُظماء قد لَقُوا من الإهانة والأذى وقُتل بعضهم، هذا مع ما لَهم مِن قَدم صِدق في الإسلام، وهدى الله على أيديهم ملايينَ البشر فدخَلوا في

دين الله أفواجًا.

هذه الأمثلة وليست حصرًا؛ فذلك ممَّا لا سبيل إلى الإحاطة به، بل هي سُنَّة الكون.

والرَّسول ﷺ يقول: «يُبتَلى الرَّجل على حسَب دينه»، ويقول: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثمَّ الأمثلُ فالأمثل».

وهذا الطُّغْرائي - صاحب لاميَّة العَجَم - يُنشد:

فإنْ عَلانِيَ مَن دوني فلا عَجَبٌ ... لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشَّمس عن زُحَلِ
تقدَّمَتني أُناسٌ كان خَطوُهمُ ... وراءَ خَطويَ لو أمشي على مَهَلِ

رأى الطُّغرائيُّ من هم أقلُّ منه ذكاءً وعلمًا وفضلًا يَنالون رفيعَ المراتب وكبيرَ المناصب، مع أنَّه لم يحظَ بذلك؛ فينفِّس عن نفسه بهذه الأبيات.

وأبو العلاء المعرِّي الذَّكيُّ المتفنِّن في علوم كثيرة، المتبحِّر في الأدب، لولا آراءٌ له في العقيدة جانبَتِ الرَّشاد - يَنعى حالةَ الأديب وانعكاس المقاييس؛ إذ يقول:

ولمَّا رأيتُ الجهلَ في النَّاس فاشِيًا ... تَجاهَلتُ حتَّى ظُنَّ أنِّيَ جاهلُ
فواعَجبًا كم يدَّعي الفضلَ ناقصٌ ... ووا أسَفًا كم يُظهِرُ النَّقصَ فاضلُ
إذا وَصفَ الطائيَّ بالبُخلِ مادرٌ ... وعَيَّر قُسًّا بالفَهاهَةِ[1] باقلُ
وقال السُّهى للشَّمسِ: أنتِ ضئيلةٌ ... وقال الدُّجى للصُّبح: لونُكَ حائلُ
وطاولَتِ الأرضُ السَّماءَ سفاهةً ... وعيَّرَتِ الشُّهبَ الحَصا والجَنادِلُ
فيا مَوتُ زُر؛ إنَّ الحياةَ ذميمةٌ ... ويا نفسُ جِدِّي إنَّ دَهرَكِ هازلُ

ولا عجَب أن يكون الغِنَى مُجانبًا للأديب وذي الفضل، اللَّهم إلَّا

(١) الفَهاهة: العِيُّ والجهل.

ما نَدَر:

لا تُنكِري عطَلَ الكريم من الغِنَى   فالسَّيلُ حربٌ للمكانِ العالي

وضربوا المثلَ بعيش الأديب في ضِيقه وبُؤسه.

إنَّها إحدى صور الحياة المملوءة بالغرائب، ولله في خلقه شؤون!

فإذا لاقى المُصلِحون والمفكِّرون وذَوو العقل والنُّبوغ الإهمالَ والنِّسيانَ والجحود، وقُدِّم الجهَلةُ والبُلهاء عليهم فليس ذلك غريبًا؛ فالفقاقيع تَطفو على الماء ولكنَّها ليست أفضلَ من الماء ولا أنفع، والزَّبَد يرتفع ولكنَّه يَذهب جُفاء، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧].

وقد يُلاقي الأديبُ والمفكِّر التقدير بعد وفاته حيث تخمُد نار الحسد والمنافَسة، أو يقلُّ ضِرامُها، وتقلُّ روح العَداء في حدَّتها، والحقد في شراسته.

وما أحسنَ كلمةَ عبد الله بن عُمر حينما قال لبعض أهل العراق: «قبَّحكم الله يا أهل العراق! تُسلِمون الحُسين حيًّا، ثم تنوحون عليه بعد مقتله؟!».

إنَّ في هذا سَلوةً وعزاءً لكلِّ مُصلح؛ فلا ينقاد لليأس ولا يركن للقُنوط، بل ينبغي أن يكون ذلك حافزًا له على الجِدِّ، ومُواصلة السَّير، من غير التِفات إلى المعوِّقات والعقَبات، وله من سيرة أبطال الإسلام، بل من طريقة الرُّسل ﵈ أفضلُ قدوةٍ وأجلُّ عبرة؛ ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، صدق الله العظيم.

القلَم العجيب[1]

القلم هو ذلكم الأداة الصَّغيرة الذي يُبهر العقول، ويخلُب الألباب، ويبعث على التعجُّب والدَّهشة، بما يثيره من لطيف الأفكار، ودقيق الإحساس وشذيِّ الخواطر؛ فهو همزة الوصل بين الماضي والحاضر، ورابطةُ ثقافةٍ بين القديم والجديد، وهو مُنشئ للسُّرور والمرح آوِنة، ومهيِّج للغضب والاستفزاز أحيانًا، ومرَّة يتنقَّل بالمرء في حدائقَ غنَّاء ذات أشجار باسقة، وورودٍ فوَّاحة، وأزاهيرَ باسمة، وساعةً في الجدِّ موغِل، وللصَّرامة مُظهِر، ووقتًا في الضَّحك مستغرق وبالمرح مُفعَم، ويملؤك استغرابًا إذ تراه فارسًا مغوارًا يخوض غمار الحروب، ويُنشد القصائد الناريَّة المشتعلة، والكلماتِ المثيرة، وما أسرعَ ما تشهده حَمَلًا وديعًا يُنادي بالرِّفق والحنوِّ، ويدعو إلى السَّكينة والوقار! فهو أعجوبةُ الأعاجيب، وأُحجيَّة تَحار العقولُ في أسرارها، وترتدُّ الأبصار حسيرةً عن إدراك رمزها.

وهو نعمة جُلَّى، وفضيلةٌ عُظمى، أقسمَ الله به في مُحكَم كتابه، وأكرم به عباده؛ فقال جلَّ مِن قائل: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العَلق: ٣-٥].

وقديمًا نَعت الأوائلُ القلَم، وراموا فَهمَ أغواره، وهُرع المتأخِّرون إلى معرفة أحواله وأطواره، وحُقَّ لهم أن يَستوضحوا، ويتعمَّقوا، ويسعَوا للوصول إلى حقيقته العجيبة.

(١) "المنهل" العدد الصادر في ٢٦/ ٥/ ١٣٨٥هـ - أيلول (سبتمبر) ١٩٦٥م.

وصَف أحدُهم القلمَ بقوله:

«القلَم أصمُّ يَسمع النَّجوى، أعيا مِن باقل، وأبلَغُ من سَحبانِ وائل! يَجهَل الشَّاهد ويُخبِر الغائب، ويجعل الكتبَ بين الإخوان ألسُنًا ناطقة، وأعينًا لاحظة، وربَّما ضمَّنها من ودائع القلوب ما لا تبوحُ به الألسُن عند المُشاهدة».

ونعَتَه آخَرُ بقوله:

«ما أعجبَ شأنَ القلم! يَشرب ظُلمة ويَلفِظ نورًا! قد يكون قلم الكاتب أمضى من شَباة المُحارب، القلم سهمٌ يَنفُذ إلى المُقاتل، وشَفرةٌ يطيح بها المناضل».

وقال قائلٌ يصِفُه:

يَرنو إلى الأفكار غيرَ مُلاحِظٍ ويُخاطِبُ القِرطاسَ غيرَ مُحابي
ويُعلِّم الآدابَ إفهامَ الورى وفؤادُه خِلوٌ من الآدابِ

وقال أبو الفَتح البُسْتي:

إذا أقسَمَ الأبطالُ يومًا بسَيفهم وعَدُّوهُ مِمَّا يُكسِبُ المجدَ والكرَمْ
كَفى قلَمَ الكُتَّابِ عِزًّا ورِفعةً مدى الدَّهر أنَّ اللهَ أقسَمَ بالقلَمْ

وقال أبو تمَّام في قلم محمَّد بن عبد الملك الزيَّات:

لكَ القلَمُ الأعلى الذي بِشَباتهِ يُصابُ من الأمرِ الكُلى والمَفاصِلُ
لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابُه ورأيُ الجَنى اشتارَتْه أيدٍ عَواسِلُ
له رِيقَةٌ طَلٌّ ولكنَّ وَقعَها بآثارِه في الشَّرقِ والغربِ وابلُ
فَصيحٌ إذا استَنطقتَه وهْوَ راكبٌ وأخرَسُ إن خاطَبتَه وهْوَ راجلُ
إذا ما امتَطى الخَمسَ اللِّطافَ وأُفرِغَت عليهِ شُعابُ الفِكرِ وَهْيَ حَوافِلُ

أطاعَته أطرافُ القَنا وتقوَّضَت لِنَجواهُ تَقويضَ الخِيام الجَحافلُ
إذا استَغزرَ الذِّهنَ الجليَّ وأقبلَت أعاليهِ في القِرطاسِ وَهْيَ أسَافلُ
رأيتَ جليلًا شأنُه وَهْوَ مُرهَفٌ ضَنًى، وسَمينًا خَطبُه وَهْوَ ناحلُ

فما أعظمَ القلمَ وأجلَّ شأنَه! فكم قرَّب من بعيد، وأبعَد من قريب، وأذاع من أسرار، ونشَر من مَعارف، وسجَّل من حِكَم وعِبَر! وكم أثار من حروب، وسبَّب من قلاقل! وكم هدَّأ من خواطر، وأدنى من مودَّة، وقرَّب من أحبَّة! وكم علَّم شجاعة، وحذَّر من خوَر، ورغَّب في مجد، ودعا إلى فضل، وكان وسيلةً إلى خير، وطريقًا إلى النُّور!

ولكن هل كلُّ حاملٍ للقلم يعي خُطورتَه، ويقدِّر نفعَه، ويحسن استعمالَه كسلاح ذي حدَّين، وقوَّة ذات شطرَين، فلا يضعُه إلَّا في موضعه، ولا يسيء استخدامَه فيقصِّر عن شكر النِّعمة فيه؟!

وبعدُ؛ فما أعجبَ القلم، وأجلَّ شأنَه!

أدب الجزيرة وفلاسفة النَّقد[1]

هل تُوجد شخصيَّةٌ لأدبِ الجزيرة العربيَّة مستقلَّة؟ وهل هناك إنتاج أدبيٌّ يُضاهي آداب البُلدان العربيَّة والبلاد الأخرى؟ وهل للمملكة بالذَّات مميِّزات في أدبها حتَّى يكون مؤهَّلًا للتصدير إلى الخارج؟

كثيرًا ما رأينا وسمعنا مثل هذه المناقشات الدَّائرة بين نفي وإثبات، وبين غالٍ في السَّلبيَّة ومعتدلٍ في الرَّفض، وبين متحمِّس في تعصُّب لإثبات الوجود الأدبيِّ في هذه البلاد ومترفِّق في الإيجاب. وتدور المناقشاتُ حاميةً حينًا وخفيفةً طَورًا، وقد لا تنتهي مثلُ هذه المحاولات إلى نتيجةٍ حاسمة؛ بسبب إصرار كلٍّ على رأيه، ووقوفه عند نقطة البدء من فكرته.

ومن حقِّ المرء أن يتساءل: ما الذي يريده أولئك النَّافون المُفرطون؟ إن كانوا يريدون أنَّ الأدب هنا ينبغي أن يعبِّر عن أحاسيس المواطنين، ويكون مقياسًا لأمانيِّهم ورغائبهم، وناطقًا بآلامهم ومشاكلهم، ولكنَّه قصَّر - فهو رأيٌ له وجاهته من حيث المبدأ، وإن كان غيرَ سليم في تعميمه.

وإذا كان لأجل أنَّ الأدب لم يتكيَّف بالجوِّ الذي نشأ فيه، بل كان تقليدًا للآداب الأخرى وذائبًا في شخصيَّتها، ومن ثَمَّ فليس لهذه البلاد أدبٌ مستقلٌّ له شخصيَّة مميَّزة، فهذا تطرُّف وزعم لا يؤيِّده الواقع.

نعم؛ فهناك بعضُ قصص، وشيءٌ من الشِّعر، وحتى أسماء دَواوينَ هي غريبة على مُحيط هذه البلاد، ولكنَّها نوادر أو شواذٌّ لا يمكن إصدارُ حكم

(١) "المنهل" الجزء السابع، المجلد (٢٦)، رجب ١٣٨٥.

عامٍّ لا يَعرف الاستثناءَ من أجل ذلك النادر أو الشاذ. أمَّا الذين يرومون وضعَ حدود جغرافيَّة للأدب لا يتخطَّاها فهم الواهمون؛ فالأدب لا يعترف بالحواجز الإقليميَّة والحدود السِّياسيَّة.

وإن أراد ناعو الأدب أنَّ ما أنتجه أدباءُ الجزيرة العربيَّة أو أدباء المملكة بصفة خاصَّة هو من الضَّعف والسطحيَّة والسُّقم بدرجةٍ لا يمكن أن يصبحَ معها أدبًا له وزنه واعتباره - فهذا رأيٌ فيه من التجنِّي وإنكار الحقائق الشَّيء الكثير؛ فقد أصدر أدباء المملكة وكتَّابها شعرًا ونثرًا لا يجحده إلَّا مُكابر:

وَلَيس يَصِحُّ في الأذهانِ شيءٌ إذا احتاجَ النَّهارُ إلى دليلِ

ولا داعي لذِكر الأشخاص وضرب الأمثال؛ لأنَّ هذا من الوضوح بحيث لا يَحتاج إلى مثال، ولبعض الأدباء هنا نشاطٌ يبُزُّ به كثيرين في البلاد العربيَّة، وإنتاجُ الأدباء في هذه البلاد كغيره في البلاد الأخرى؛ فيه الجيِّد المتفوِّق، وفيه المتوسِّط الذي يُقال: إنَّه بينَ بينَ على حدِّ تعبير الدكتور طه حسين، ومنه الرَّديء الهزيل، وفي كلِّ بلاد توجد الأصناف الثَّلاثة في الشِّعر والنثر.

ولستُ أدري ما الهدف من تلك الحمَلات التي يوجِّهها بعض النَّاس بين حينٍ وآخَر ضدَّ الأدب في المملكة، والزَّعم بأنَّه لا يوجد فيها أدبٌ مقروء أو مؤلَّفات لها أهميَّة؟!

ربَّما يكون هدف هؤلاء الظُّهور بمظهر الفلاسفة الذين لا يهتمُّون بالرأي العامِّ، والعباقرة الذين يتقاضَون ما تعارَف عليه الناس وألِفُوه.

ولا نريد أن نقول: إنَّ إثارة الضجَّة وحبَّ الظُّهور هما الدَّافع لمثل هذه الأقوال، التي يُلقيها أصحابها دون تمعُّن لما تنطوي عليه من إنكار الحقائق

المعلومة.

وشيء آخر أحسب أنَّه من أقوى العوامل التي جعلَت أولئك النَّفر يصرُّون على نفيهم، ويتشبَّثون بآرائهم المتطرِّفة؛ وهو: ضعف ثقتهم ببلادهم ومُواطنيهم، والنَّظر إلى كلِّ ما يأتي من خارج الحدود على أنَّه رائع ولا أجمل منه وأبهى، وإن كان بالعكس تمامًا!

أفي بلادنا أدب؟[1]

قد يختلف الرَّأي حول الإجابة عن هذا التَّساؤل؛ فهناك من يرى أنَّ المملكة بلدٌ متأخِّر في المجال الأدبي، وأنَّ الدواوين الشِّعريَّة والكتب الأدبيَّة التي صدرَت فيها في هذه السَّنوات، لا تصل إلى مستوى الأدب في البلاد العربيَّة وغير العربيَّة!

وقد يحاول البعض ممَّن يرى هذا الرَّأي أن يزعمَ أنَّ البلاد الثانية لا تكاد تعرف عن تلك الدَّواوين الشِّعرية والكتب النثريَّة الأدبيَّة شيئًا، وأنَّها غيرُ ذات صدًى يتجاوز حدود المملكة، وإن تعدَّاها فليس له من الأهميَّة والجدوى ما يجعله يحظى بتقدير الأدباء والنُّقاد خارج هذه البلاد التي طلع منها. ويدَّعي هؤلاء أنَّ أدباء المملكة - لو فُرض وجودهم - فلا شهرةَ لهم بين أبناء البُلدان العربيَّة الأخرى - دَع غيرَهم - وما ذلك إلَّا لأنَّ نِتاجهم لم يَفرض وجودَه، ولم يبرهِن عن جَودته وصلاحيته كأدبٍ له اعتبارُه ومكانتُه.

ويقول هؤلاء: إنَّ تلك المحاولات الأدبيَّة تقليدٌ للأدب القديم أو للأدب الجديد إلَّا أنَّه غير موفَّق! ولم يرتفع إلى درجة الجَودة والرَّصانة، ولم يكُ في مصافِّ الأدب القديم الجيِّد، كما لم يرقَ إلى مستوى الأدب الجديد ذي الحيويَّة والتَّطرية والتزيُّن! فأصبح أدبًا مهزوزًا لا شخصيَّة له، ولا اهتمامَ به!

بل ربَّما غلا بعض هؤلاء المتشائمين، فزعم أنَّه من الأفضل عدمُ

---

(١) مجلَّة "كلمة الحق" العدد الأوَّل، السنة الأولى شهر محرَّم سنة ١٣٨٧.

الإقدام على طبع تلك الكتب من شعر ونثر، وأنَّها لو وُئدت في مَهدها لكان أجدرَ بها وأولى، ولكنَّ نشرَها جاء فلتةً كأيِّ غلطٍ آخَر يُقدِم عليه شخصٌ في حال غفلةٍ أو جهل. وانبرى لهؤلاء فريقٌ يرى أنَّ الأدب في المملكة لا يقلُّ عن أيِّ أدب في البُلدان العربيَّة وخاصَّة في مجالَي الشِّعر والمقالة، وأنَّ في المملكة أدباءً يقلُّون عن غيرهم، وإن تفاوتَت درجاتُهم في المعرفة وقوَّة التعبير وسلاسة الأسلوب وجَودة الأداء، فهم كغيرهم في هذا الشَّأن في أيِّ بلد عربي أو غربي أو شرقي.

فهناك شعرٌ فيه الجيِّد الذي يباري أو يفوق الشِّعرَ في البُلدان العربيَّة الأخرى، وإن يكن فيه الرَّديء الذي يُسفُّ أو يضعُف إلى درجة من التأخُّر والهُزال، وفيه بين الذي يصعَد عن هذا ويَقصُر عن ذاك.

وهناك الدِّراسات الأدبيَّة التي تَسلُك النَّواحي المتعدِّدة والأغراض المتنوِّعة، وهي متفاوتة أداءً وعمقًا، ورصانةً ومواءمة، وأدب المقالة له كتَّاب هنا ليسوا دون أدباء البُلدان الأخرى.

وإذا كان أدب القصَّة والمسرحيَّة لم يصل إلى ما وصل إليه أدبُ ذَينِك النَّوعين في بعض البُلدان، فليس معنى ذلك إنكارَ الأدب في المملكة من أساسه، أو نفيَه بِحُجج واهيةٍ وذرائعَ باطلة؛ فذلك شططٌ في الرأي وبُعد عن الحقيقة، وإنكارٌ للواقع الملموس؛ فإنَّ البلاد ذات الشُّهرة الأدبيَّة لا تزال تشكو نقصًا في أدب القصَّة والمسرحيَّة. ولا نريد أن نشطحَ في الخيال فندَّعي أنَّ الأدب في المملكة قد بلغ الذِّروة، ووصل إلى نهاية المطاف حتَّى لا يبقى مزيدٌ لمستزيد، فذلك - لو قيل - معناه التوقُّف والجمود، ولكنَّه سائر في الطَّريق بخطًى ثابتة، وهو موجود فعلًا كالشَّمس في رابعة النهار.

ولن يَضيره تهويشُ المهوِّشين، وتثبيطُ المثبِّطين الذين دَيدَنُهم أن يُثيروا الغبار في وجوه الآخرين:

وإذا ما خَلا الجَبانُ بأرضٍ طلَب الطَّعنَ وحدَه والنِّزالا

هؤلاء الذين يُصدِرون أحكامَهم اعتِباطًا ومُجازفة لكي يُقال: إنَّهم نقَّاد كبار، مستواهم فوق مستوى المتأدِّبين الذين يسمُّون محاولاتِهم - غرورًا - أدبًا!

هكذا يريد هؤلاء أن يُظهِروا للنَّاس مَقدرتَهم العَتيدة، وآراءهم الحَصيفة المثبِّطة؛ لحاجةٍ في نفس يعقوب! مع أنَّهم يشطَحون في الخيال! ويُجانبون الصَّواب! ولا يَعبؤون بالحقائق التي طالما تبجَّحوا بأنَّهم روَّادها والحريصون على حمايتها وصونها!

واللَّيالي من الزَّمان حُبالَى مُثقَلاتٌ يَلِدنَ كلَّ عَجيبِ!

وأحسب أنَّك - أيُّها القارئ - ستحبِّذ هذا الرَّأي الأخير، وتعتبره أحقَّ بالتقديم والتأييد من النَّافين والمثبِّطين، أليس كذلك؟!

وسائل تطوير الأدب[1]

في البلاد نهضةٌ أدبيَّة تبشِّر بمستقبل زاهر للأدب في ميدانَي النَّثر والشِّعر، ولكنَّ المتتبِّع لما يُنتِجه الأدباءُ هنا لا بدَّ أن يَلحَظ شيئًا ذا أهميَّة في بعض هذا الإنتاج.

إنَّ بعض الأدباء قد استغرقَت مُطالعتُه الكتبَ الجديدة، وشُغل بها عن مطالعة التُّراث القديم، والاستِقاء من مَعينه الثَّر، وتقوية الأسلوب بجزالة ذلك الشِّعر المَتين ذي السَّبك الجيِّد والألفاظ المنتقاة، وتهذيب الملَكة الشِّعريَّة والنَّثريَّة برقيق الشِّعر وسَلِس البيان وأنيق العبارة، ثمَّ دراسة الآثار القيِّمة، والنفائس الرَّائعة، ممَّا يعطي المرءَ مَجالًا رحبًا لأن يجوِّد إنتاجَه ويوسِّع مَعارفه ويُحسِن المقارنةَ والاستشهاد، ويَقدر على اختيار المثَل المناسب والاقتباس الملائم، والاستفادة من علوم الماضين وتَجاربِهم، وما صقلَته بَراعتُهم في كلِّ فنٍّ وضَربٍ من فنون الأدب وأنحائه.

لقد انصرفَ بعضُ الأدباء في البُلدان العربيَّة، وفي هذه البلاد كذلك إلى دراسة كتب المعاصرين، وشُغفوا بما تَغمر به المطابعُ أسواقَ الأدب ومكتباتِ العرض في أساليبَ جذَّابة، وجُمل خلَّابة، وأناقة الطِّباعة، وتطرية في الغلافات، وعزَفوا عن النَّهَل من نَمير الثَّقافة الرَّفيعة ومراجعة الكتب العميقة؛ استِصعابًا لها، أو عدمَ إدراكٍ لما تَحويه من غزير العلم وجليل الثَّقافة، وساعدَ على الصدِّ عنها ما يروِّجه بعض المتحذلِقين ممَّن بهَرتهم الأضواء، وأعشَتهم الأنوار؛ فلم يَرتفع بصَرُهم إلى مدًى فسيح، ولم يرتقِ

(١) "المنهل" المجلَّد (٢٦)، شعبان ١٣٨٥هـ - ديسمبر ١٩٦٥م.

طموحُهم لأكثرَ ممَّا هو دانٍ عندهم، لا يكلِّفهم كثيرَ بحث، ولا يشِطُّ عليهم في تفكير، ولا يستعصي عليهم في فَهم؛ فآثَروا السَّريع السَّهل على الجيِّد الصَّعب المنال، ولم يكن من بعض المقصِّرين إلَّا أن يَنعَت الكتبَ الرَّصينة بالأوراق الصَّفراء، والكتب الميِّتة! ونسيَ أنَّه قد ضرَّ نفسه من حيث يحسبُه طوَّرَها، وأخَّرها وهو يظنُّ أنَّه نهضَ بها.

فجاء أدبه ضَحلًا هزيلًا، وأسلوبه مفكَّكًا ضعيفًا، وأفكاره متدنِّية تُغرق في الحَيرة، ويطمِسها الإشعاع، وتتلاشى ساعةَ ولادتها، وهناك فئةٌ من الأدباء تأثَّرت بالآداب الأجنبيَّة أو أدب معيَّن يحمل من أدب العرب الشَّكل - أحيانًا - وهو في أفكاره ومعانيه دَخيل على العرب وتُراثهم وأمجادهم، وقد صار هذا اللَّون مِعولَ تخريبٍ وأداةَ إفسادٍ للسَّليقة والذَّوق والفكر، وأصبح سمًّا في الدَّسم الثَّقافي.

وتصوَّرَ بعضُ المخدوعين بالتقليد الأعمى والأصمِّ أنَّ الثَّقافة الأجنبيَّة هي كلُّ شيء، وأنَّ من اطَّلع على عددٍ من المؤلَّفات الغربيَّة أو المستغرِبة - كأدَب المَهجَر مثلًا - فهو الأديب النِّحرير، وسواء قرَأها بلُغاتها التي كتَبها مؤلِّفوها بها، أو باللُّغة العربيَّة التي تُرجِمت إليها، إذا كانت مترجَمة.

وتجد الواحدَ من هؤلاء يُباهي بألفاظٍ أعجميَّة؛ ليَعرف من يَسمعه يردِّد تلك الكلمات أنَّه ذو ثقافة أجنبيَّة؛ كدليلٍ ناصع على أنَّه أديبٌ أو ناقد، هذا مع العلم بأنَّ في إمكانه جدًّا أن يعبِّر بلغة عربيَّة فصيحة عن تلك الكلمات الدَّخيلة، ويُفهم كلامُه دون حاجةٍ إلى طلب إيضاح، وتحيُّر بعض السَّامعين في معرفة ما يَعنيه.

ومن المؤسف أن يَستشريَ هذا الدَّاء ويَزحَف في بُطء آونة، ويَركُضَ في

سرعةٍ آنًا إلى بعض النَّاس ذَوي النُّفوس المعجبة بالغربيِّين، وما يزجُّونه للبلاد العربيَّة الإسلاميَّة، مع أنَّه يحتوي الطَّعن في تراث الأمَّة الإسلاميَّة ورجالها وأمجادها، وترسيخَ عُقدة التخلُّف والهَوان في نفوس خلَف الأمَّة ذات التاريخ الحافل.

ومن ثَمَّ فإنَّ بعض الأدباء قد ابتعَد عن تُراثه استهانةً به أو جهلًا بفائدته؛ ولذا صار غريبًا على بلاده، بعيدًا عن مَشاعرها وأحاسيسها، عاجزًا عن التعبير عن رغائبها ومَطامحها، بل وأحيانًا تحسُّ الأمَّة بخيبة أمل في هذا الصِّنف من الناس حيث صار بلاءً ونحسًا عليها.

وإذا ما أُريدَ لهذه البلاد ولبلاد العرب والمسلمين بصفة عامَّة نهضةٌ سَليمة ذاتُ أثر نافع، وتوجيهٍ سليم وأدبٍ حيٍّ يَقود إلى مَدارج الصُّعود، وسامق العلا - فلا مَناص من الدِّراسة والاطِّلاع الكثير على التُّراث الإسلاميِّ والعربي.

وفي طليعة ذلك: القرآنُ الكريم، والسُّنة المطهَّرة، والمستجاد من الشِّعر والنثر؛ كشِعر النَّابغة الذُّبياني والأعشى وحسَّان وجَرير والمتنبِّي، وكتاب "البيان والتَّبيين" و"العِقد الفريد" وأشباهها، وكتب التَّاريخ؛ كـ"تاريخ ابن جَرير" و"سيرة ابن هِشام" و"الكامل" لابن الأَثير.

وهكذا في كلِّ حَقل وفنٍّ لا بدَّ للمرء من العودة إليها والاستِقاء من موردها.

وليس معنى هذا إغفالَ الثَّقافة المعاصرة، والكتب الأدبيَّة الحديثة، بل إنَّ الأسس التي ترتكز عليها الثَّقافة الجديدة يجب أن تكون مستنِدة إلى التُّراث القديم الحافل.

فلا نتنكَّر لمَحاسن القديم، ولا نُشغَف بمساوئ الجديد، وإنَّما خطَّةٌ

وسَط، وطريقةٌ تفضِّل الاعتدالَ على التهوُّر والجهل، وإنكارِ ما لم يُحِط به الإنسان علمًا.

وهناك مِن وسائل التقدُّم الأدبيِّ والرُّقي الثقافي: الأنديةُ الثقافيَّة، والمُساجَلات الشِّعريَّة، والمحاورات العلميَّة، ولا تقلُّ المكتبة المنزليَّة شأنًا عن أيِّ وسيلة لسَعة الاطِّلاع والتزوُّد من المعرفة عن أيِّ سبيل آخر، والنَّقد النَّزيه هو الآخر شيءٌ ضروري في حياة الناس؛ لتنقية الأدب من الشَّوائب المُضعِفة له، والملوِّثة لصفائه.

وإذا كان مِن مُحاولي النَّقد من يتجاوز حدود اللِّياقة، ويشطَح في المتاهات، فإنَّ من الخير أن يعرفَ هذا وغيرُه أن النَّقد الهادف الذي يدفع إلى الأمام، ولا يثبِّط الهمم ويرخي العزائم، هو النَّقد الذي تحتاجه الأمَّة في سبيل نهضتها الأدبيَّة، حاضرًا ومستقبلًا.

على أنَّ ممَّا ينبغي البحثُ فيه بجديَّة وعناية إنشاءَ دار أو دور للنَّشر تهتمُّ بالإنتاج الأدبي المفيد، والثقافة النافعة، والعلم العميق.

ومثل هذه الدَّار - التي يكون من أهدافها نشرُ الكتب وتوزيعها وتشجيع الجيِّد من الإنتاج - هي أكثر من ضرورة، وأقوى من دافع؛ فكثيرًا ما وقف فِقدانُ دور النَّشر في هذه البلاد عائقًا عن أن يَرى عددٌ وفير من المؤلَّفات النُّور، وتتلقَّفَها أيدي القرَّاء، ويتلذَّذوا بما فيها من أطايب العلم وعذب الأدب ورفيع الإنتاج؛ فعسى أن توجد مثلُ هذه الدَّار سريعًا.

هذا في رأيي أهمُّ شيء يمكن به تطوير الأدب والنُّهوض به في هذه البلاد المتوثِّبة نحو المجد والرُّقي، الطَّامحة إلى أن تحتلَّ مركزًا مرموقًا في عالم الأدب.

التنقُّل أجمل؟![1]

مهداة إلى الأستاذ: لقمان يونس

جرَت مناقشاتٌ حول التزام الكاتبِ الكتابةَ في صحيفةٍ واحدة، مقتصِرًا عليها دون ما عداها من الصُّحف؛ فأيَّد بعض الكاتبين الفكرة وعارضَها آخرون، وحبَّذ الأوَّلون رأيهم بأنَّ لكلِّ كاتبٍ قُرَّاء ومُعجَبين يودُّون أن يَقرؤوا كلَّ ما يكتُب، فإذا اقتصر على صحيفةٍ واحدة أمكَن لقرَّائه ملاحقةُ ما يَكتبه واستيعابُه، أمَّا إذا كان نشاطه موزَّعًا بين الصُّحف فمن الصَّعب على القرَّاء الاطِّلاعُ على ما كتَب، فليسوا جميعًا قادرين على الاشتراك في كلِّ الصُّحف ومطالعة كلِّ ما يُكتب فيها، وقد تتحمَّل الصُّحف نتيجةَ تفرُّغ كتَّاب معيَّنين لها أعباءً ماليَّة ومكافآتٍ سخيَّة، ولكنَّ رواج الصَّحيفة وقوَّتها سيعود عليها بالرِّبح الكثير.

أمَّا الرَّأي المعارض فيرى أصحابُه أنَّ تنقُّل الكاتب يعطيه مجالًا أوسع وتعبيرًا أقوى، فلا يَحسُن بالكاتب أن يكون محتكَرًا أو حبيسًا لجريدةٍ أو مجلَّة لقاء إغراءٍ مادِّي، وقديمًا قال الشَّاعر:

تَنقَّلْ فلَذَّاتُ الهوى في التنقُّلِ ... ورِدْ كلَّ صافٍ لا تَقِفْ عندَ مَنهَلِ

والكاتب يريد أن يعبِّر عمَّا يختَلِج في نفسه ممَّا يظنُّ في نفسه فائدةً اجتماعيَّة أو مصلحة عامَّة، وقد لا تكون خاطرتُه تلك تُعجِب رئيسَ تحرير صحيفةٍ بينما يُسَرُّ بها آخر؛ إمَّا لأنَّها مخالِفة لنَهج الصَّحيفة أو لأسبابٍ

---

(١) "البلاد" العدد (١٩٠٨)، في ١٨/ ١/ ١٣٨٥.

أخرى؛ كأن تكون ردًّا على كلمةٍ يُناصِرها المحرِّر، أو يُجامل صاحبَها، بينما هناك صحف أخرى مستعدَّة لنشرها أيَّما استعداد.

فمن أجل ذلك يحبِّذ المؤيِّدون للتنقُّل بين الصُّحف تركَ الحرِّية للكاتب؛ ليوزِّع نشاطه على الصُّحف حسَب ذوقه وخبرته، ولا يكون محصورًا لا يستطيع أن يتصرَّف في إنتاجه؛ لأنَّه قد أبرم عقدًا احتَكره فلا يُطيق منه فَكاكًا.

الكاتب يريد أن يكون كالنَّحلة تطير بين الأزهار وتمتصُّ من رَحيقها، وكالحمامة تغرِّد فوق الغصون، وتقفز من فنَن إلى فَنن، وكالبُلبل يُشجي بصوته من كلِّ ناحية، لا يريد أن يرضَخ طائعًا لقيدٍ قاس، ولا أن يصبحَ كالبَبْغاء المسجون في قفَصه من أجل إرضاء المتفرجين، أو حتى القارئين.

ولعلَّك تقول: وأنت من تؤيِّد بعد أن سُقتَ حُججًا للطَّرفين وبراهينَ للمختلفَين؟!

فأقول ومِن الله أستمدُّ العون والتوفيق، وأسأله الرَّشاد والتسديد:

إنِّي مع من يدعو لترك الكاتب يكتب على سجيَّته، ويوزِّع نشاطه حسبَ رغبته؛ فلا يكون آلةً مسخَّرة يقسِر نفسه على الكتابة قَسرًا، فلا يملك من أمر أفكاره شيئًا، ولا يَقدر أن يعطيَ صحيفةً من إنتاج عقله، وثمرة قريحته قليلًا أو كثيرًا، ولا فَتيلًا ولا قِطميرًا؛ العين بَصيرة واليدُ قَصيرة، قد أعيَته الحيلة وضُيِّق عليه الخناق، وحمِّل ما لا يُطاق، يرى ما سَطره يَراعُه من بنات أفكاره يؤخَذ منه بالإكراه، فليس له فيه رأيٌ ولا مَشورةٌ ولا علم ولا استئذان، كأنَّما عنَاه الشَّاعر بقوله:

ويُـقـضـى الأمـرُ حـيـن تَـغـيـبُ تَـيـمٌ   ولا يُـسـتَـشـهَـدونَ وهـم حُـضـورُ

فحالُه تَبعث على الإشفاق والرِّثاء، وتدعو إلى الأسف والأسى، فلا هو مع المقيمين مقيم، ولا مع الظَّاعنين راحل، أو كأنَّه لا في العِير ولا في النَّفير، يندُب حظَّه العاثر، وجَدَّه الدَّاثر، وأيَّامه البائسة ولياليَه السُّود، قد غلَّ يده بنفسه، وأوثقَ رباطَه بكفِّه؛ «يداه أوكَتا، وفُوه نفَخ»! فهو حفَر لحَتفِه بظِلفِه، فأورَد حياتَه العطَب، ورَضيَ لذاتِه الهوان؛ اغتِرارًا بدُرَيهِمات معدودةٍ أو ورقات حُمر، ما أسرعَ ذوبانَها وأعجلَ هروبَها؛ كأنَّما هي تروم السِّباق أو تحاول الفرار من صائدٍ نابل، فهي تريد النَّجاء بنفسها والسَّلامة برِيشها، قبل فوات الأوان، وقبل ألَّا يَنفعَ التريُّث.

ولم يَدرِ الكاتب المسكينُ أنَّه مُرتهَن لجريدةٍ أو مسخَّر لصحيفة، يُمِدُّها طائعًا أو كارهًا، ويصلها غاضبًا أو راضيًا، وهي تَضحك منه مِلءَ شِدقَيها، وتسخَر منه في فعله الطَّائش وتصرُّفه الذي جانبَ الصَّواب، وخالف النُّصَّاحَ والأحباب، وتورَّط حتَّى لا يقدر على الخلاص، واستوثَق فلا يَقوى على الفَكاك:

كعُصفورةٍ في كفِّ طفلٍ يَسومُها   حِياضَ الرَّدى والطِّفلُ يَلهو ويَلعبُ

فهذا جزاؤه على ما جنَى، وحَسبُه فيما ابتنَى، وتلك موعظةٌ لمن غرَّه الوهَم، وخدَعه السَّراب، فلم يميِّز التِّبر من التُّراب، ولا السَّراب من الشَّراب، فلا يَحتذي حذوَه ولا يَسير على نهجِه، وكفى بها عظةً واعتِبارًا، واختِبارًا وازدِجارًا!

ظاهرة غريبة في الصَّحيفة

هذه الظاهرة هي استعارةُ بعض الصُّحف المحلِّيَّة من البعض الآخر دون إشارةٍ إلى المصدر؛ فقد تَقرأ خبَرًا طريفًا أو نكتة أو حتى أخبارًا أو تعليقاتٍ سياسيَّة، وبعد يوم أو أيَّام طويلة أحيانًا تَقرؤها بحذافيرها في صحيفةٍ أخرى، ولم يَعُد هذا شيئًا نادرًا، بل إنَّه كثير جدًّا، وقد يعمِد محرِّرو الصَّحيفة الناقلة، إلى إبراز الخبَر بشكل مثير رغم مضيِّ أيَّام على استِمتاع القرَّاء بقراءته، وكأنَّه ورد لتوِّه للصَّحيفة الثانية رأسًا.

لستُ أدري السِّرَّ في هذا العمل؛ هل هي المنافَسة وحبُّ الاستئثار بكلِّ شيء، أم قلَّة في المواد، أم ماذا؟

سؤال يحتاج إلى إجابة مقنِعة!

صمت ليس من ذهب

إذا كان المثَل يقول: «إذا كان الكلام من فِضَّة فالسُّكوت من ذهب»، فليس ذلك في كلِّ حال، بل إنَّ هناك حالاتٍ يَحسُن فيها الكلام، وحالات يَحسُن فيها الصَّمت، وإلَّا فأين موضع الذِّكر والقراءة والوعظ والدِّفاع عن الحق، لو كان الصَّمت دائمًا أفضلَ؟!

بل لو كان السُّكوت أحسنَ في كلِّ الأحوال، لما بُعِث الرُّسل لهداية الخليقة، ولستُ أعرف للسُّكوت المطبِق في بعض الأحداث الخطيرة، وإحجام الصِّحافة هنا عن معالجتها بموضوعيَّة وصراحة تهدف إلى إبراز الحقائق النَّاصعة - لستُ أعرف لذلك معنًى يُمكِن أن يكون مقنِعًا!

أزمة النَّقد الأدبي[١]

كتَب كاتبٌ فنقَد بعُنف وشطَّ عن الموضوع، وجرَّح تجريحًا شخصيًّا انتقاميًّا، وردَّ المنقود مُدافعًا، وربَّما ردَّ الصَّاع صاعَين:

ومَــن دعــا الــنَّــاسَ إلــى ذمِّــه   ذمُّــوه بــالــحــقِّ وبــالــبــاطــلِ

وليس ذلك بجديدٍ ولا غريب على عالَم النَّقد، وإن كان واقعًا مرًّا وشيئًا مؤسِفًا، ولكنَّ الغريب أن يكتب آخَرون نادبين واقعَ النَّقد وما آلَ إليه، وهذا النَّدب والنُّواح كان منصبًّا على المنقود المدافِع لا النَّاقد البادئ، وكان بعض من هؤلاء المتأسِّفين لِما أصبحَت عليه حالةُ النَّقد في بلادنا من وقيعةٍ وتجريح وتعريض - قد جرَّحوا وشتموا وزادوا الطِّين بِلَّة، وتطاول أناسٌ منهم على مَن ليسوا لهم أندادًا ولا يَلحَقون بغُبارهم!

وحُقَّ للمنقود المدافع أن يصمَّ أُذنَيه عن هذَيان محموم، وكلام تافه، ولسانُ حاله يردِّد مع المتنبِّي:

ومِـن الـبَـلـيَّـةِ عَـذلُ مَـن لا يَـرعَـوي   عـن غَـيِّـهِ وخِـطـابُ مَـن لا يَـفـهَـمُ

وحقًّا، إنَّ النقد يعاني متاعبَ وأزمات، وهو في أغلب الأحيان على حدِّ قول الشاعر:

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ   كما أنَّ عينَ السُّخْطِ تُبدي المَساوِيا

ما دام هذا هو المقياسَ لدى بعض هؤلاء المتصدِّين للنقد، والنائحين لأنَّ فلانًا لم يلتزم الجانبَ الأدبي، ولم يَقُم بما عليه واجبُ النقد النزيه،

---

(١) مجلَّة "المنهل" الجزء الثَّالث، المجلَّد (٢٧)، شهر ربيع أوَّل.

وفي نفس الوقت يهاجمون ويَشتُمون ويتجاوَزون الحدود المعقولة، أمر عجَب!

منطق العاجزين[1]

كاتب حرٌّ يُدافع عن عقيدة الإسلام، ويذبُّ عن حِمى الشَّريعة السَّمحاء، ويدعو إلى التَّعاون والتعاطف بين المسلمين، لم يَثنِه التهديدُ والإرهاب، ولم يُغرِه الطَّمع عن إعلان الحقيقة وجَلائها، ولم يكن للجُبناء الغادرين إلَّا أن يُردوه قتيلًا مضرَّجًا بدمائه، حين أعيَتهم الحجَّة، وتخلَّى عنهم المنطق، وسلَكوا نهج أساتذتهم الحُمر، ليفجِّروا براكين الدَّم في غَدر وانحطاط.

كانت جريدة "الحياة" باتِّزانها وهدوئها ومُعالَجتِها للقضايا العربيَّة والإسلاميَّة والدوليَّة معالجةً حَكيمة، ولقِيَت من النَّجاح والتقدير واعتبار كلماتها ومناقشاتها، ما جعَلها تَغِيظ أولئك الذين يريدونها تسير في ركب أعداء الإسلام، وتُهادن الشُّيوعيَّة، وتمجِّد الاشتراكيَّة، وتخلع الألقاب الفخمة على من يجرُّون أمَّة الإسلام إلى الهاوية؛ ولكنَّها رفضَت بإباء، ودوَّت كلماتُها صريحةً جليَّة لا تبالي ولا تخنَع، وإذا بالوسيلة الحقيرة الاغتيال، أداة التنفيذ؛ لإسكات الحقِّ الذي جهَر به مناضلٌ أراد لأمَّته أن تسلك طريقًا صحيحًا بعيدًا عن الإلحاد والشُّيوعيَّة.

وهذه المرَّة أصيبَ القتَلة بالخرَس، فلم يَندُبوا حرِّية الصِّحافة كما فعَلوا عندما قُتل نسيب المتني، وإذا أسكت أولئك الغادرون واحدًا أو عددًا فإنَّ الحقَّ يَعلو وينتصر، وسيُسحَقون بالأقدام وتَنبِذهم البلاد والأمَّة، ويصبحون خائبين مدحورين؛ كما جرى لأسلافهم الطَّائشين الذين أعماهم الكبر،

(١) "المنهل" الجزء الثَّالث، المجلَّد (٢٧)، شهر ربيع أوَّل.

وأبطرَهم الإمهال وأغواهم الشَّيطان، وإنَّ الله ليُملي للظَّالم حتى إذا أخذَه لم يُفلته.

الأثرياء والمكتبات[1]

خبَران عن المكتبات، أحدهما من هذه البلاد والثَّاني من ألمانيا:

كنتُ قد تحدَّثت مع الأمير تركي بن ماضي أمير مقاطعة أبها رَحِمَهُ اللَّهُ عن إنشاء مكتبة في روضة سدير، واقترحت أن يُهديَ كتبَه إليها، ورحَّب بالفكرة ووافق عليها، وتُوفِّي قبل أن يتمكَّن من تنفيذ الفكرة، ونَمى الخبَرُ إلى ورثته واستحسَنوا الفكرة وبدؤوا ينفِّذون، وستُبنى مكتبةٌ على الطِّراز الحديث، وتُجهَّز بالكتب التي كانت في حَوزة الأمير تركي، وهي كثيرة، ثم تُضمُّ إلى وزارة المعارف.

وبذلك تُفتح نافذة واسعةٌ من نوافذ العلم والمعرفة في هذا البلد؛ لينهلَ أبناؤه من رحيق الثَّقافة، وليستفيدوا من وقتهم فيما يعود عليهم بالمنفعة والإمتاع الهادف.

ونذكر هذا الخبر لنَستثيرَ القادرين على مثل هذا العمل ليُسهِموا في بناء بلدهم وإنهاض شعبهم، متعاونين مع وزارة المعارف ومع الجهات الأُخَر التي تسعى لرِفعة البلاد وتقدُّمها.

أمَّا الخبر الثاني فهو من ألمانيا؛ فقد أهدى ألفريد كروب صاحب شركات كروب الألمانيَّة العالميَّة مكتبةً ثمينة نادرة إلى جامعة بوخوم بمنطقة الرور، وتحتوي المكتبة على **٢٠٠٠** مجلَّد في تاريخ الفنون، وقد قام بتسليمها إلى مدير الجامعة البروفسور دكتور غريفن.

---

(١) "المنهل" الجزء الثالث، المجلد (٢٧)، شهر ربيع أوَّل.

هذا الخبَر من الغرب المسيحيِّ وذلك من الشَّرق المسلم، لعلَّ الصُّدفة هي التي جعلَتني أنشرُهما معًا، وإذا كان لا بدَّ من المقارنة؛ فإنَّ ذلك بداهةً يعني أنَّ بلاد الإسلام لا تقلُّ في الإسهام فيما فيه فائدةٌ عن البلاد الأخرى، ولا تتخلَّف عن النُّهوض بواجباتها في حدود إمكانيَّاتها وحسَب اقتدارها.

ومن ثَمَّ فإنَّا نتطلَّع إلى من يقدرون على الإسهام ومن يستطيعون العمل، أن يؤدُّوا واجبَهم، وأن يُثبِتوا بالواقع التطبيقيِّ أنَّ بلاد الإسلام لا تقلُّ شأنًا عن غيرها في إدراك الواجب، وأنَّ الأثرياء يفهمون مسؤوليَّاتهم ويَضطلِعون بها في غير كسَل ولا تخاذُل.

ونترقَّب أن نسمعَ الكثير من أمثال هذه الأعمال المفيدة في هذه البلاد، وفي كلِّ بلاد إسلاميَّة، وإنَّا لذلك مُنتظِرون.

مواقفُ سلبيَّة[(١)]

السلبيَّة هي أساس الدَّمار في المجتمعات الإسلاميَّة، والمجاملة المصطنَعة كثيرًا ما أضاعَت من قضايا إسلاميَّة عظيمة؛ فعندما قام الشُّيوعيُّون والصليبيُّون بحملتهم النَّكراء ومَجازرهم الوحشيَّة في زنجبار، كانت السلبيَّة من كثير من الدُّول العربيَّة؛ وكان لذلك نتائجُ سيِّئة لا تزال آثارها وجروحها باديةً للعِيان.

وفي بلادٍ كثيرة يلقى المسلمون العنَت والاضطهاد والتحيُّز فلا يحرِّك المسلمون زعماءَ وعلماءَ وقادةً ساكنًا، ولو أنَّهم احتجُّوا على الأقلِّ، أو هدَّدوا بعملٍ حازم ينفِّذونه إذا لزم الأمر - لكان لرأيِهم اعتبارُه، ولهم مكانتهم وتقديرهم، ولكنَّهم تهاونوا وتواكلوا وكأنَّ الأمر لا يَعنيهم؛ وبذلك تمادى الحاقدون في غَيِّهم واستهانوا بالمسلمين، وقلُّوا في أعيُنِهم.

وإنَّ هذه البوادر الطيِّبة التي بزَغَت شمسُها أخيرًا على دنيا العروبة والإسلام في جمع الشَّمل والتِئام الصُّفوف، وتوحيد الكلمة تحت علَم الإسلام وراية التوحيد لتبشِّر بمستقبل زاهر، ونبذ الكسل والمجاملة الزائفة.

وعسى أن يكونَ فيما يتحقَّق من هذه الآمال العملُ الإيجابيُّ تجاه القضيَّة الإسلاميَّة بشتَّى صورها وألوانها، وألَّا يقف المسلمون موقف المتفرِّج من إخوانهم المعذَّبين الذين يُلاقون صنوف التعذيب والإيذاء؛ لأنَّهم مسلمون يَعبدون الله وحدَه.

وذلك ما نرجوه، وإنَّا لمتفائلون.

---

(١) "المنهل" الجزء الثالث، المجلد (٢٧)، شهر ربيع أوَّل.

الكتَّاب والنُّقود[1]

مقالٌ نشَره الأستاذ ضياء الدِّين رجب في جريدة "المدينة" العدد (٤٦٩) بتاريخ ٢٣/ ٥/ ١٣٨٥هـ وختَمه بهذه الكلمات:

«وبعدُ؛ فقد أثار هذا الموضوعُ في نفسي كلمةً قرأتُها عن الكاتب الإيرلندي المعروف برنارد شو، إنَّه عندما لمَع نجمُه أصبح لا ينطق حتَّى بالكلمة العاديَّة إلَّا بثمَنِها المادِّي، ليس حرصًا على المادَّة، ولكن حرصًا على جوهر ثروته العلميَّة والفنِّية، من جنس حرص الماديِّين على ثرواتهم وتقييمًا لها بمثل تقييمهم بثرواتهم، والبادي أظلم!».

ولم أكَد أفرُغ من قراءة هذه الجُمل الطَّريفة حتى أحسَستُ بالخوف، وإن كنتُ ضحكتُ للصُّورة أو الصُّور التي تبدَّت في مخيِّلتي، فكأنِّي أشاهد الكاتبَ الفيلسوف يَشمَخ في إباءٍ فلا يردُّ تحيَّة إلَّا بعد دفع قيمة التَّذكرة، والرِّوائيَّ لا يقابله أحدٌ إلَّا بعد مفاوضات، وكم من الثَّواني يستغرق اللِّقاء، وتسليم كامل الأجرة مقدَّمًا، والأديب في بُرجه العاجيِّ عليه الحجُب والحرَّاس، وأين من يَحظى برؤياه؟! أو يجتلي طلعته المهيبة؟!

ومرَّ شريط غريب أمام ذهني لنفَرٍ عديد يعيشون بيننا عيشة البَساطة، فلا صعوبةَ في لقائهم، ولا مشقَّة في التَّفاهم معهم فيُدركون رغَباتِ المجتمع ويعبِّرون عنها، وبين عشيَّة وضُحاها عندما علموا بفلسفة برنارد شو (الاجتماعيَّة المادِّية)، أو قُل: ردُّ الفعل لمادِّية الأغنياء في بلده - راقَت لهم الفكرة وأسرَعوا إلى تطبيقها؛ أسوةً بما يتلقَّفه أبناء الشَّرق من سخافات

(١) "البلاد" العدد (٢٠١٧)، في ٢٦/ ٥/ ١٣٨٥.

الغرب؛ على طريقة تقليد الضَّعيفِ القويَّ.

فها هي خنفسة الإنكليز تجد عشَّاقًا وأنصارًا من أشباه الرِّجال! ومحلَّات الأزياء الفرنسيَّة تجتذب جمهرة نساء الشَّرق؛ لأنَّ كلَّ ما ورد من الغرب في نظَر هؤلاء جميل وتقدُّمي، وتصوَّرتُ كتَّابنا وأدباءَ بلادنا وقد انقلبوا فجأةً إلى نماذجَ غريبة وأناسٍ فظيعة، ولو قُدِّر لك أن تقول: لماذا وكيف؟ إن كنتَ محظوظًا برؤياهم لردُّوا بعزم لا يعرف التردُّد، وتصميم لا يتطرَّق إليه التَّواني: أتريد العبقريَّة رخيصة، والعلم هنا، والعظماء في الحضيض؟! العبقريَّة لن تكون ميسَّرة لمن هبَّ ودبَّ، والدُّرر لا تُلقى في الزُّبالات!

وأين لك أن تُصادم أو تخاصِم، أو تُعارض أو تُناهض؟! إنَّك لو أقدَمت على حماقةٍ من هذا النوع فسوف يُقذَف بك من عَل، حتَّى تتحطَّم أضلاعُك وتتكسَّر عظامك فأنت غافل عن حقيقتك، لاهٍ عن عظَمة من تُخاطب، لا تقدِّر العبقريَّةَ قدرَها، ولا تزنُ الفكر بميزان العدل، ولا تدرك الأمور على حقيقتها، فهذا جزاؤك بما اقترَفت، وعقابُك على ما اجترَمت!

تصوَّرتُ هذا فأصابني الرُّعب وأنا أتخيَّل أولئك الذين يمتزجون بالنَّاس، ويختلطون مع الصَّغير والكبير، والوجيه ومن لا جاه لهم ولا سلطان، ولا منصبَ ولا صَولجان! وقد صعُب أمرُهم واشتدَّ خطبُهم، وحِيلَ بينهم وبين مُعجَبيهم ومريديهم، فإذا هم قد أُحيطوا بسياجٍ من الحَصانة، وفولاذ من الأسوار لا يجتازه إلَّا من (قنطرَ) من الأصفر الرنَّان، وتعبَّأ من الأبيض اللَّامع، وتمَنطَق بأكوامٍ من الأوراق ذات الأشكال والنُّقوش، ما بين حمراءَ وخضراءَ وزرقاء، يَفتِن النَّظرَ مَرآها، ويخلُب الفؤادَ محيَّاها،

وتُنزل العبقريَّ من عليائه، والمفكِّرَ من صومعته بقدر ما يَنال من وَصلِها، ويَرشُف من مَبسِمها، ويَقطِف من وردِها؛ فهي داؤه ودَواؤه، وهي مِفتاحُ سرِّه ومِقوَد شخصيَّته.

وذهَلتُ من هذا التصوُّر المروِّع، والخَطب الجلَل.

فلن تجد العبقريَّ حينئذٍ إلَّا بين البُلهاء، ولن تراه إلَّا في وسط الجهلاء، فالأدباء - بحمد الله - بالعَوَز معروفون، وفي الفقر مُعرِقون، ولهم من ماضيهم ما يُغني عن البحث في حاضرهم، ولكنَّ خاطرةً مرَّت بذِهني:

وهل هؤلاء الأغنياء في حاجةٍ إلى أن يكلِّفوا أنفسهم رهَق البحث وعناءَ التفكير؛ لكي يتنازل لهم العبقريُّ المتطاول، والأديب العظيم الشَّامخ؟

سؤال لا بدَّ من طرحه قبل أن يُقدِم أديبٌ ضليع، أو عالِمٌ متبحِّر، أو مفكِّرٌ عبقريٌّ على خُطوة كالتي ألزم نفسه بها برنارد شو؛ حتَّى لا يصبحوا كبئرٍ معطَّلة أو درَّة في صحراء!

ومزيدًا من خواطر أستاذ جمَع بين الطَّريف والتَّليد، والجِدِّ والهَزل.

لحظات للتَّفكير[1]

صراعٌ بين البشَر، وتسابُق في الاختراعات والصِّناعات، وإغراقٌ في وسائل الترفيهِ واللَّهو، ومجهوداتٌ هائلةٌ من أجل إنتاج القنابل الذرِّية والهدروجينيَّة، ووسائل التَّدمير والإفناء! هذه حال أقوام من الناس يستغلُّون ثَرواتِ بُلدانٍ وكنوزَها، ويتَّخذون منها مواردَ لحضارتهم وقوَّتهم، ولا يهمُّهم أن يجعلوها أيضًا وَقودًا لحُروبهم وتجارِبَ لقنابلهم المُهلِكة؟! ومع هذا يسمُّونها الدُّول المتخلِّفة، وإذا تلطَّفوا وذرَفوا دموع التَّماسيح قالوا تطييبًا للخاطر: الدُّول النَّامية، التي تستحقُّ المعونة.

بينما هناك في أنحاء المَعمورة من يتمنَّى الرَّغيف؛ ليسُدَّ غائلةَ الجوع، والماء ليَدفع حرَّ الظَّمأ، ومَن يبحث عن الكساء؛ يغطِّي جسمَه العاريَ من لَفْح الهَجير وقارس الشِّتاء، فلا يظفَر به، ومن يريد بجهدٍ السَّكن أيَّ سكن، فلا يقوى عليه، ولا يحصُل على ثمَن الدَّواء والعلاج.

(١) "البلاد" العدد (٢٠١٧)، في ٢٦/ ٥/ ١٣٨٥.

أبو حياة[١]

أبو حياة بأسلوبه المَرح، وحكاياته الخفيفة الظِّل ذات الهدف الموجَّه بدون إزعاج أو إغضاب، يَحظى بإعجاب الكثيرين، وكان ممَّا ينغِّص هذا الإعجابَ عند الحريصين على اللُّغة الفصيحة أنَّ مُلَح أبي حياة وطُرفَه تُكتب باللُّغة العامِّية، ولكنَّه أخيرًا عاد فكتبَها بالعربيَّة السَّليمة، وقد أحسَن صُنعًا وأجادَ نُطقًا، وأجمَل توجيهًا لطيفًا معتدِلًا.

وكلُّ غَيور على لغة القرآن العظيم من قرَّاء أمين سالم رويحي يُسرُّون لهذا الاتِّجاه من أبي حياة.

(١) "البلاد" العدد (٢٠١٧)، في ٢٦/ ٥/ ١٣٨٥.

قصَّة بين راويَين[1]

هي قصَّة واحدة اختلفَت روايتها بين الأستاذَين فهد المارك في "شيم العرب" (١/ ١٣٣-١٣٦)، ومحمد حسين زيدان في جريدة "عكاظ" العدد (٢٣١) في ٢٨/ ٣/ ١٣٨٥.

والقصَّة تدور حول بدويٍّ وضَع فرنكات فرنسيَّة أمانةً عند صاحب دكَّان، ثم عاد ليأخذها، وغلِط في صاحب دكَّان مجاور فظنَّه صاحِبَه، وطالبَه بالأمانة، وحاول الرَّجل إفهامه بِوهَمه، إلَّا أنَّ البدويَّ أصرَّ على أنَّه أودعَها عندَه، وحينئذ اضطرَّ الرجل حفظًا لكرامته أن يدفعَ المبلغ للبدوي.

ثم بعد وقتٍ التقى البدويُّ بصاحبه المؤتمَن - بفتح الميم - الذي طلَب من البدويِّ تسلُّم أمانتِه؛ فأدرك البدويُّ عند ذلك خطأه، وأخبر الأمينَ بما حدث، وطلب منه أن يسلِّم المبلغ لجاره، واعتذر البدويُّ من فعلته، ورجا المُسامحة من ذلك الجار الطيِّب.

هذه خلاصة القصَّة، ولكن فيها اختلافات عديدة:

فالأستاذ محمَّد حسين زَيدان روى قصَّته عن صديقه عبد العزيز الشقيحي، وقد سمَّى المودَع - بفتح الدال - عبد الرحمن البصري. بينما سمَّاه الأستاذ فهد المارك: إبراهيم البصري، والأستاذ زيدان يسمِّي جار البصري: عبد الرحمن البحيح، ويصفه بأنَّه شيخ جليل وإمامُ مسجدٍ معروفٌ لدى الحلَّة التي هو فيها.

(١) "عكاظ" العدد (٢٥٣)، في ٢٤/ ٤/ ١٣٨٥.

أمَّا صاحب "من شيم العرب" فيسمِّيه عبد الرحمن ابن محمَّد آل الشيخ، ويقول عنه: إنَّه من أحفاد الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، مجدِّد الدعوة الإسلاميَّة في نجد. والأستاذ الزيدان يقول عن المبلغ المودَع: إنَّه ثلاثمئة فرنك فرنسي، ورطلان من القهوة، وماعونُها الجِراب، أمَّا الأستاذ المارك فيَذكر أنَّ المبلغ خمسمئة فرنك فرنسي.

ثم رواية الزَّيدان أنَّ البدويَّ بعد أن وضَع أمانته ذهب لغرَض، ثمَّ عاد بعد أيَّام ليأخذَها، أمَّا رواية المارك فهي مضيُّ مدَّة من الزَّمن كان خلالَها لدى أهله في البادية.

ورواية الزيدان تُفهِم أنَّ البدويَّ التقى بالبصريِّ في السُّوق فورَ أخذِه الفرنكات خطأً من عبد الرحمن البحيح.

أمَّا رواية المارك فهي: «ذهَب البدويُّ إلى عشيرته، وبقي في صحرائه سنةً كاملة لم يأتِ فيها الرِّياض، وبعد مُضيِّ هذه المدَّة عاد إلى الرياض، وبينما هو مارٌّ في قلب الشَّارع الذي يقع فيه دكَّان صاحبه ناداه صاحبه الأوَّل، وقال: ألَستَ فلانًا الذي وضَع عندي الأمانةَ في سنة كذا؟».

ويَذكر الزَّيدان أنَّ البدويَّ خرَّ مغشيًّا عليه، بينما لم يَذكر ذلك المارك.

وفي رواية الزيدان: «وفاق البدويُّ من غشيته يقول للبصريِّ: دعني أذهب إلى الشيخ البحيح أستميحُه، أعتذر منه، ولتدفَع أنت ما عندَك له. وذهبوا إلى شيخَين من عِلية القوم في الرِّياض يَذهبون معَهما وُجهاء القوم؛ يرجون الشيخ البحيح السَّماح عن خطأ البدوي، وذهب الشَّيخان عبد العزيز بن حسن، وعبد الله بن عيسى رحمهما الله ومعهما البصري والبدوي المؤمن إلى الشيخ البحيح يعتذرون، فأعذرَهم الشَّيخُ ودعا للبدويِّ بخير».

أمَّا رواية المارك فتفيد أنَّ البدويَّ أسرع إلى دكَّان الشخص الذي دفع الفرنكات للبدويِّ؛ ليتحقَّق من حصول الخطأ، ثم أخذ بيد صاحبه الأوَّل وهو إبراهيم البصري، وقال: «أرجوك أن تسلِّمَ أمانتي هذه لجارك؛ لأنِّي اقترضتُ منه ما يقابلها».

أخذ البصريُّ الأمانة وسلَّمها لابن الشيخ وقال: «إنَّ هذا المبلغ أمرَني البدويُّ فلانٌ أن أسلِّمَك إيَّاه مقابل سُلفة اقترَضها منك»، لم يذكر ابنُ الشيخ أنَّه أقرض بدويًّا هذا المبلغ، فردَّ على جاره وقال: «إنَّك مخطئ أنت والبدويُّ؛ لأنِّي لا أذكر شيئًا من هذا القبيل»، وبينما ابن الشيخ وجاره يتداوَلان الحديث في تلك اللَّحظة دخل البدويُّ عليهما، وانحنى على رأس ابن الشيخ يقبِّله ويعتذر منه، هذا والبصريُّ لا يعلم ما هو الأمر، ولكنَّه قد اتَّضح له فيما بعد.

هذا؛ ولم يَذكر الأستاذ فهد المارك مَن روى عنه هذه القصَّة، إلا أنَّه وصفَها بأنَّها مشهورة عند ساكني الرِّياض القُدامى، ويحدِّد وقوعها بأنَّها بين عامَي **١٣٤٠** و**١٣٤٥**هـ.

قرأتُ هذه القصَّة في الكتاب والمجلَّة، فوجدتُّ تفاوتًا في الرِّواية، وأحببتُ أن أعرفَ القصَّة على حقيقتها؛ حتَّى أستوضِحَ ما كان خفيًّا منها، وذهبتُ إلى الشَّيخ عبد الله بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب، شقيق مفتي الدِّيار السُّعوديَّة ورئيس قضاتها، فحدَّثني أنَّ بدويًّا باع غنمًا له في الرياض بمبلغ مئة وخمسين فرنكًا فرنسيًّا وودَعها عند إبراهيم البصري، وكان له دكَّان (دخَل الآن في توسِعة الصَّفاة)، وقد تُوفِّي إبراهيم البصري في حدود **١٣٥٩**هـ وهو

من أهل القُويعيَّة، ويسكن في الرياض، أودع الأعرابيُّ هذه الفرنكات عندَه.

وبعد أيَّام جاء إلى عبد الملك بن عبد الرحمن بن محمَّد بن علي بن الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب، في دكَّانه الذي يقرب من دكَّان البصري، يفصِله عنه حوالي خمسة دكاكين، وكان بين الرجلين مشابهة؛ فكلٌّ منهما كثُّ اللِّحية، ويشبه الواحدُ منهما الآخَر، وكان عبد الله إمام مسجد الحلَّة الداخليَّة الذي إمامه حاليًّا فضيلة الشيخ عمر ابن حسن، ويُنيب عنه إمامًا فيه، جاء الأعرابيُّ إلى عبد الله فطلب منه الأمانة، وسأله عن عددها، فأخبره أنَّها مئة وخمسون فرنكًا، فعدَّها له وذهب الأعرابيُّ، وبعد حوالي أسبوع مرَّ الأعرابي من عند دكَّان البصري فناداه، وقال له: «ما جِيت تأخذ أمانتَك!»، وأنكر الأعرابيُّ أن يكون أودَع عنده شيئًا.

ولكنَّ البصريَّ أخرج له الفرنكات في وعائها، وصاح الأعرابيُّ قائلًا: يا وَيلي! ظلمت لحيةً غانمة! وأخبر البصريَّ الخبَر، وأسرع الأعرابيُّ إلى عبد الله بن الشيخ يعتذر منه، وقال عبد الله: أنا دفعتُ لك الفرنكات حفاظًا على كرامتي.

ودفع البصريُّ الفرنكات لعبد الله حسَب طلب الأعرابيِّ، وسمح عبدُ الله عن الأعرابي، وعبد الله هذا توفِّي إمَّا في سنة **١٣٤٨**هـ أو **١٣٤٩**.

و(البحيح) الكلمة التي وردَت في كلام الأستاذ محمَّد حسين زيدان هي لقب لعبد الرحمن والد عبد الله؛ لُقِّب بذلك لبُحَّة في صوته، وهذا اللَّقب لا يرتضيه عبد الله ولا أُسرته؛ فهو مُشعِر بذمٍّ إذًا.

هذه القصَّة أرجو أن أكون أوضحتُ بعضًا من جوانبها، وهي قد وقعَت في سنة **١٣٣٧**هـ تقريبًا، كما حدَّثني بذلك الشيخ عبد الله بن إبراهيم.

هذا؛ ولا يفوتني أن أشكرَ الأستاذ الزيدان؛ الذي أتاح لي هذه الفرصة الطيِّبة، والله الموفِّق.

ذلك المغرور[1]

هو واحدٌ من الذين قذفَت بهم بلادُهم إلى أرض الخير والبركات، ومنبَع العروبة وموئل الإسلام، ولكنَّه كان من نمَط لا يرعى نعمةً ولا يَحفَظ ذمَّة.

كان نصيبُه من التَّعليم ضئيلًا، وصادفَ أنَّه طالعَ بعضَ كتبٍ لكتَّاب اشتَهروا بإلحادهم، ومُناهضَتهم للدِّين، وللمثُل العالميَّة؛ تشدُّقًا بحرِّية الكلمة، وانطلاق التفكير، والنُّزوع عن مألوف العادات، هذا في الظَّاهر، أمَّا في الباطن فأكثرُهم يَخدُم أغراضًا استعماريَّة وشيوعيَّة، وقد حَسِب تلميذُهم هذا أنَّه بلغ في العلم غايته وفي المعرفة أقصاها، وأنَّه لا يُدانى ولا يُجارى!

وزاده غرورًا وخبَلًا أن كتَب في بعض الجرائد بضعَ كلماتٍ متهافتة، فيها عُنجُهيَّة وجهلٌ وكذب على التَّاريخ، وافتئاتٌ على العلماء، حتَّى إنَّ أحد الذين ردُّوا عليه في إحدى الصُّحف عن كلمةٍ من كلماته البائرة قال ذلك صراحةً، ولم يستطع هذا الدعيُّ أن يجد مخرجًا رغم أنَّه حارَ ودارَ وتخبَّط كما هي سجيَّته.

ومن أبرز ما عُرف به ذلك الشَّخص خُنوعُه واعتبارُه نفسَه بوقًا لأحد الأشخاص الذي يحشره بمناسبةٍ وغير مناسبة، كأنَّما يريد التأكيد على تبعيَّته له، واتِّصافه بأوصافٍ تجعل قول أبي الطيِّب يتبادر إلى ذهنك عَجلًا، فتبحث عن العصا دونَ إبطاء:

(١) أُرسلت للمَنهل في ٥/ ١٠/ ١٣٨٦هـ.

لا تَشتَرِ العَبدَ إلَّا والعَصا معَهُ   إنَّ العَبيدَ لأَنجاسٌ مَناكيدُ

كما كتب كلماتٍ تافهةً يمجِّد فيها أعداء الإسلام من الوجوديِّين ودعاة الإلحاد والإباحيَّة، ومهاجمة علماء المسلمين ومفكِّريهم.

وقد تصوَّر هذا الأحمقُ أنَّ تَطاوُلَه ومحاولته الصُّعود على أكتاف المُبرِّزين حين يَهذي في حقِّهم ويروم تَنقُّصهم - بأنَّ ذلك سيهيِّئ له جوًّا من الشُّهرة والذُّيوع يَصِل به إلى مكانةٍ مرموقة في العلم والأدب، وقد أخطأه الصَّواب، وجانبَه التوفيق؛ «فما هكذا يا سَعدُ تُورَدُ الإبل»؛ كما جاء في المثَل العربي المعلوم، وما هذا بطريقٍ صحيح، ولو أنَّ سبيل العلم والأدب بهذه السُّهولة لكان كلُّ من هبَّ ودبَّ أديبًا يُشار إليه بالبنان، ولكن دونَ ذلك خَرط القَتاد، وبِيدٌ دونَها بِيد.

وحالة ذلك المغرور تُشبه قصَّةً تُروى بين العامَّة، وخلاصتها أنَّ شخصًا أُميًّا نَكرةً ساءَه تَجاهُل الناس له، وغاظَه كثيرًا ألَّا يكون له ذِكر في المنتديات والمجالس، وباح بسِرِّه الذي يُقلِقه لأمِّه الحَنون، ولم تكن الأمُّ بحاجةٍ إلى تفكير عميق؛ إذ يبدو أنَّها على جانبٍ من الذَّكاء، استطاعَت بواسطته إنقاذَ ابنها المستميتِ في طلب الشُّهرة الصَّدود، فقالت لفِلذة كبدها: الأمر يسير؛ فما عليك إلَّا أن تَضرَطَ في المسجد ضَرطةً لها صوت مُجلجِل، وستجد أنَّ أمنيَّتَك تحقَّقت فورًا. ونفَّذ الولد الغبيُّ ما تفتَّقت عنه ذهنيَّة والدته، وسرعان ما وجَد بُغيتَه؛ إذ أصبحَ ما بين لَمحة عينٍ وانتباهتها حديثَ جميع سكَّان القرية، ولم تكن شهرتُه التي وقعت فجأةً إلَّا من أجل حدَثِه في المسجد!

لقد ذكَّرَتني هذه الحادثةُ على بساطتِها وتَداوُلها بين عامَّة الناس، بذاك

الذي حاول الشُّهرة بمهاجمة ذوي المَكانة العالية، الذين نالوا الشُّهرة الأدبيَّة بالقراءة والاطِّلاع، والبحث والكتابة، والدِّراسة والتَّدريس، والنَّهَل من مَعين الثَّقافة السَّليمة، وليس من كتيِّبات مدسوسة وأفكار هدَّامة، ولا من فلسفات مشوَّشة قد اتُّخِذَت ستارًا للوصول إلى الأهداف الشرِّيرة، كما فعل مُتطاولٌ أحمق. إنَّ هذا الدعيَّ قد جهل قدرَه، وأساء إلى بلادٍ احتوَته بعد أن شُرِّد من بلاده، وقد حدَث أنَّه كان في إحدى البلاد العربيَّة، وتحدَّث شخصٌ له فضلٌ وأدب ومركز، فاستنكر الشُّيوعيَّةَ ومبادئها المدمِّرة، فقام هذا الجاهل المشوَّشُ الفِكر، وقال: يا أستاذ، لا تُهاجم الشيوعيَّة، فهي عقيدةٌ فاضلة!

وإذا خَيَّل إليه وهمُه أنَّ تحامُله على أهل العلم والأدب وذَوي المكانة المحترمة سيرفع من قدره، أو يُنزل من رفعتهم فقد تاه في صحراءَ مُظلِمة، وانعكَس قصدُه، وقد وصَف أمثالَه أبو الطيِّب المتنبِّي في قوله:

وإذا أتَتكَ مَذَمَّتي من ناقصٍ فهِيَ الشَّهادةُ لي بأنِّي فاضِلُ

وكما يقول آخر:

وقد زادَني حبًّا لنفسيَ أنَّني بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ
وأنِّي شقيٌّ باللِّئام ولا ترى شَقيًّا بهم إلَّا كريمَ الشَّمائلِ

وأعود لأوضِح: إنَّ مَن احتضنَتهم هذه البلادُ ممَّن ضاقت بهم بلادُهم، أو ضاقوا هم بها لأيِّ سبب من الأسباب، من بينهم نخبةٌ كريمةٌ أسهَموا في كلِّ مجال نافع، وكان لبعضِهم دورٌ هامٌّ في الثَّقافة والأدب، ولكنَّ الذي تحدَّثتُ عنه سلفًا هو من فئة شاذَّة، ومع ذلك فلا يَحسُن أن نتَجاهلَها دائمًا، بل يَجدُر إشعارها بأنَّ الناس ليسوا من الغباء والغفلة بحيث ينطلي عليهم ما تَرومُه أولئك الفئات، وما تسعى إليه من بثِّ سمومها، وأهدافها

المخرِّبة.

وآمُل أن تُدرِكَ واجبَها، وأن تَعيَ واقعها، وألَّا يُعميَها الغرورُ فتتخبَّط في هذَيانها وسخافاتها، أو أفكارها ومبادئها، ولَعلِّي بهذه الكلمة الصَّريحة التي تُغضب مَن يُعشِيه الضِّياء، ويُضايقه النُّور، قد قُلتُ الحقيقة جليَّةً بلا مُوارَبة.

بين اليأس والأمل[1]

لعلَّ من فضول القول: إنَّ الإنسان - أيَّ إنسان - لا بدَّ أن تَعترضَه أنواعٌ من المتاعب، ونماذجُ غير قليلة من المصاعب الشَّائكة؛ سُنَّة الحياة الصَّاخبة في تَموُّجها وضَجيجها. وعندما تتكاثَف السُّحب الدَّاكنة، ويتلبَّد الجوُّ بالغيوم، يتشعَّب الطريقُ إلى طريقِ تشاؤم وطريقِ تفاؤل، وشتَّان ما بينهما من بَون شاسع، ومسافةٍ بعيدة الأطراف!

فالمتشائم ينظر الحياةَ والناس بمنظر أسود، ويجعل من الحبَّة قبَّة، وتراه لأتفهِ الأسباب وأدناها تَثور ثائرته، وتعلوه الكآبة، وتستبدُّ به الهموم؛ كأنْ قد أَطبَق على رأسه جبلٌ شاهق، أو كأنَّ الدُّنيا قد «انقلبت رأسًا على عَقِب»، والتضجُّر والتبَرُّم، والآلام المُضنية والحزن الدَّائم، كلُّ هذه صفاتٌ مُلازِمة له، لا تريد عنه فَكاكًا، ولا يروم عنها حِوَلًا، لا يحسُّ من الطُّعوم إلَّا المُرَّ، ولا يتذوَّق من الأشياء إلَّا الحنظَل، ولا يجني من الأشجار - ولو كانت ورودًا - إلَّا الشَّوك، الحياة في رأيه ظُلمة أزليَّة أبديَّة، لا وميضَ من نورٍ فيها، والخلقُ أشرارٌ أبالِسَة، قويُّهم يفتك بضعيفهم، وجَلدهم يلتهِمُ رَقيقهم، وكأنْ لا عطفَ لديهم ولا رحمة فيهم!

وما الدُّنيا في ناظره سوى سلسلةٍ من المتاعب وحلقةٍ مُفرَغة من الشَّقاء، خِلوٌ من الهناء والسَّعادة، وخرابٌ يَبابٌ من ينابيع الخير وآثار الفضل والحنان، يَطرَب لرأيِ متشائم سابق:

تعَبٌ كلُّها الحياةُ فما أَعْـ ـجَبُ إلَّا مِن راغبٍ في ازدِيادِ

(١) "اليمامة" العدد (٩١)، في ١٥/ ١/ ١٣٧٧هـ.

ويهتِف مع القائل:

وكـأنَّ الـزَّمـان أصـبـحَ مَـحْـمـو   لًا هَـواهُ مـع الأخَـسِّ الأخَـسِّ

والأناسيُّ في ميزانه مجموعةٌ من ذئابٍ كاسرة، وأحمِرَة نافرة، وثعالبَ ماكرة.

فتراه أبدًا مُستَكينًا خوَّارًا لا حرَكة فيه ولا حسَّ ولا شعور، من أحياء الأموات أو أموات الأحياء، قد فقَد الوعي، واستسلمَ للمذلَّة، وخيَّمت على نفسه التَّعاسة والبَوار، وأصبح اليأس والفشل حَليفَين له في كلِّ حركة يتحرَّكها أو خطوة يسيرها؛ هكذا كان يتخيَّل في نفسه حتَّى غدا أمرًا مقطوعًا به في نظَرِه، مسلَّمًا لا يقبل الجدَل؛ قد رضيَ بالخُمول وقنَع بأن يظلَّ في سلَّة المهمَلات وزوايا النِّسيان، غيرَ آبهٍ لشيءٍ ولا مُشتاقٍ لحاجةٍ ما، لا يَحفِل بأمر، ولا يُعنَى بما يدور حوله أو بعيدًا منه.

الألماسُ والخزَفُ، والذَّهب والنُّحاس، والعظماء الأشاوس وأرذال السُّوقة... لا يَفصِلهم في عُرفه فاصلٌ ولا يميِّزهم مميِّز.

وبالجملة فهو إنسانٌ متشائم مرتبِك قد أغمَض جَفنَيه وفقَد الوعيَ والإحساس!

هذه بعض خطوط التَّشاؤم العريضة، وقد تأتي منه ألوانٌ مُغايرة ونزَعاتٌ أُخَر، وقد تجتمع وقد تفترق، ولكنَّها بكلِّ حال أدلَّة جليَّة على النَّزعة التشاؤميَّة، وبرهانٌ ساطع على مرَض اليأس الخَطِر.

وفي الجانب المقابل تَشهَد شخصًا مُناقضًا تمامًا للشَّخص الآنِفِ الذِّكر؛ فهنا شخصٌ مرِح طَروب يَنظر الأشياء في جَمالها وبهائها، ويُبصِر الإنسانيَّة في عَطفها ووفائها، ويُدرك ما في الأشياء من رَوعةٍ وحُسنٍ وصفاء.

إنَّه لا يشِطُّ عن محيطه، ولا يتلهَّى بالأحلام الجميلة، والأمانيِّ العَذبة، ولا يُغرق في الخيال فيَنسى واقعَه الذي يعِجُّ بالأشياء الغريبة المتناقضة.

ولكنَّه يَهتبل فُرصَ السَّعادة في إقبالها فلا يدَعُها تُفلِت من بين يدَيه، وينتزِع الكأسَ بمهارة إذ يُقدَّمُ له عَذبًا، أو عندما يستطيع تَناولَه، ويَطبع أعمالَه بالخير ما استطاع.

وإذ يَصطدِم مع الحياة في مشكلاتٍ عويصة تراه باديَ التفكير الهادئ، رابطَ الجأش ثابتَ الجَنان حصيفَ الرأي، يحاول التخلُّص بحلٍّ معقول، بلا طَيش ولا توتُّر ولا هياج، وسرعان ما يُسيطر على الموقف؛ ويجد مناسبةَ الخلاص واضحةً للعِيان.

وهو يحبُّ الحياة؛ إذ هي مزرعةٌ خِصبة للخير والعمل الدَّائب المثمر، وحقلٌ طيِّب للإنتاج الصَّالح المفيد، وهو يدرك من خلال الأجيال والعصور مواقعَ الشَّهامة ومَغارس البطولة، ورصيد السِّيَر المَجيدة في صفحات التاريخ الناصعة.

ومِن سنَّة الحياة الصَّدَمات العنيفة التي تعترض كلَّ إنسان حي، وتجعل الرأس في دُوار عاصف، وتُثير في النَّفس موجاتٍ من الفزَع، وتفكِّك الأوصال، فيقف كالطَّود الشَّامخ حتى تذوبَ الثُّلوج وتهدأ الأمواج الصَّاخبة، ويعودَ كلُّ شيء وادعًا رقيقًا، ومن ثَمَّ يتطلَّع بسهولة ودون إعياء أو قلق إلى الجمال والصَّفاء والوَداعة.

يَعلم سَلفًا أنَّه قد يُظلِم اللَّيل وتطولُ دُكنَته، ويشتدُّ الحرُّ وتَعلو حرارته، ويتلبَّد الجوُّ بغيوم سودٍ تُنذِر بالطُّوفان والغرق، وقد تَعصف العواصفُ الهائجة، وتَثور البراكينُ بنيرانها الجبَّارة، وقد يَقسو الواقع، وتُؤلم الحقيقة،

ويَبدو المستقبلُ غامضًا معمًّى، ولكنَّ المتفائل لا ينقاد لليأس، ولا يستسلم للمَخاوف، ولا يفقد الأمَل الباسم، ولا يَنزع من نفسه الإيمان، وإنَّما يهتِف في قَرارة نفسه: إنَّ الغدَ جميل، والمستقبَل زاهر، والضِّياء ينير الطريق.

ومن خلال السُّحب الكثيفة الحُمر أو الدُّكن يبصر الضَّباب الأبيض الرَّقيق، ومن شفافيَته يترقَّب المطر الهادئ والجوَّ الجميل، وبعدَه تُزهِر الأشجار، وتُثمِر ثَمرًا حلوًا شهيًّا، وتتفتَّح الرَّياحين الشذِيَّة، والورود الرَّخْصَة الحبيبة، وسيُشرق الغد، وسيُنير الطريق، وينتشر النُّور في كلِّ مكان، ويضيف لهذه السَّجايا: النظرَ في العواقب، والتبصُّر في الأمور، وأخذَ الحِيطة والحذر، والتفكير العميق؛ ليتجنَّب مخاطر التهوُّر، ومَزالق الارتجال الأرعَن، ويوقن أنَّ الخَطب مهما اشتدَّ فإنَّه «سحابةُ صيفٍ عن قريبٍ تَقشَّع».

وبمثل هذه الخِلال بإمكاننا نَعتُ هذا النَّوع من البشر بالمتفائل المتَّزن، الذي يسير بِخُطًى ثابتةٍ وعزم أكيد إلى أهداف واضحة وغاياتٍ نبيلة، وحريٌّ به أن يَنال مُبتغاه، ويَظفَر بتحقيق مَقاصده وأمانيِّه.

أثرياؤنا والثقافة[١]

الأثرياء في كلِّ أنحاء العالم تقريبًا، لهم صَولات وجَولات في ميادين العِلم والثَّقافة؛ فمِنهم من يؤسِّس المعاهدَ والمدارسَ والنَّوادي، ويَعمل أعمالًا مَجيدةً في الإسهام بنصيبٍ وافرٍ في نَشر العلم والمعرفة، ومنهم من يَرصُد الأموال الطَّائلة لِتُنفَق على البحوث المختلِفة، أو تُدفَع على صفةِ جوائز لمن يُبرِّز في مَيدانٍ علميٍّ نافع، وما زالَت المؤسَّسات العظيمة التي أقامها هؤلاء الأفرادُ تَشهد بما صنَعوا وتخلِّد اسمهم.

ولكنَّا نعود لنتحسَّس صنيعَ تجَّارنا في هذا المجال وذَوي الملايين، ومَن دونَ أصحاب الملايين، فنصطَدِم بالحقيقة المرَّة، ولا نرى شيئًا يُذكَر، بل قد لا نجد شيئًا إطلاقًا!

إنَّ للوطن ضريبةً على هؤلاء الذين اغتنَوا بعد فقر، وأثرَوا بعد إملاق، يجب أن يؤدُّوها بدافعٍ من ضَمائرهم، وما يُمليه عليهم دينُهم من مؤازَرةٍ على الخير، وتعاونٍ على البِرِّ، وليدركوا أنَّ أعمالًا كهذه ستخلِّد ذِكراهم، وتَغرس لهم سُمعةً نبيلةً ثم انتظار الثَّواب الجزيل، ولقد صدَق الشَّاعر إذ يقول:

ذِكرُ الفتى عمرُه الثاني وحاجَتهُ ما فاتَه وفُضولُ العَيشِ إشغالُ

وكما قال ابن دُريدٍ في "مقصورته":

وإنَّما المرءُ حَديثٌ بعدَهُ فكُن حديثًا حسَنًا لِمَن وَعى

---

(١) "الخليج العربي" العدد (٥٠)، في ٨/ ٢/ ١٣٧٩هـ.

إنَّ الأثرياء في هذه البلاد يتمتَّعون بحمايةٍ طيِّبة من هذه الدَّولة، وقد أُفسِح لهم المجالُ لِيَحصُدوا الأرباح الطَّائلة التي نالوها بسهولة، وبقليلٍ من التضحيات التي يَبذُلها زميلُهم الثريُّ في البلاد الأخرى، ولكن مع الأسف لا مجالَ للمقارنة بين أثريائنا وأولئك الأثرياء؛ لأنَّ أثرياءنا كأنَّه لا يَعنيهم إلَّا الرِّبح وما يُدخلونه في (جيوبهم)، أمَّا أن يُساهموا في دفع عجلة التطوُّر، ويقدِّموا لوطنهم الضَّريبة، ويؤدُّوا واجبهم الذي لن يُعفَوا عنه، مهما تهاونوا وتقاعسوا فإنَّ الأمَّة ستُطالبهم به، وسيكونون مقصِّرين إذا لم يَفُوا به.

إنَّنا نريد أن نرى مؤسَّساتٍ علميَّةً وثقافيَّة، وجوائزَ ثمينة، وبُعوثًا تُبعَث على حساب هؤلاء الأثرياء في بلادنا؛ ممَّا يُكسِبهم مجدًا وذِكرًا خالدًا، وما يَشعر به المواطنون من أنَّ هؤلاء الأثرياء لم ينسَوا واجبَهم حِيال البلد الذي يعتزُّون بالانتساب إليه.

نريد أن نرى ونسمعَ أنَّ مَعاهدَ ونواديَ وغيرها من وسائل الثَّقافة وتشجيع النَّوابغ من الطلَّاب يقوم بها أثرياؤنا؛ فمعهدٌ يحمل اسم (الشَّربتلي)، وآخر (الكَعكي)، وثالث (التخيفي)، ورابع (الراشد)، وخامس (ابن لادن)، وسادس (باخشب)... إلخ، إنَّهم عند ذلك يستحقُّون أن يُفخَر بهم، وأن تُباهيَ البلاد بأثريائها كما تُباهي البلاد الأخرى.

إنَّه لمؤسف حقًّا أن نبقى إلى اليوم لا نرى من أمثال تلك المؤسَّسات النافعة، من يَضطلِع بها من الأثرياء هنا في هذه المملكة، وماذا نقول في تعليل ذلك؟! لا نحبُّ أبدًا أن نقول: إنَّه عدم تقدير من حضراتهم للعلم والثقافة؛ لأنَّهم لا يأبهون للعلم، ولا نريد أن نقول: إنَّه عدم شعور بالمسؤوليَّة منهم تجاه شعبهم النَّبيل، ولا إنَّه الجشع والبخل إلى هذا الحدِّ

المُزري؛ فذلك ما لا نحبُّ أن نقوله، أو نصدِّقه لو سمعناه.

إنَّ هذه الكلمة بعثتُها للذِّكرى، والأمل قويٌّ أن نرى ونسمعَ عن مساهمة أثريائنا في المجالات الثقافيَّة والعلميَّة والأدبيَّة ما يُطرب ويُبهج، ويعيد الثِّقة في إخلاصهم لوطنهم الحبيب.

هل أدَّى الأثرياء واجبهم؟[1]

إذا كنَّا نطالب الحكومة بأن تُنشئ المصانع، وتؤازر الفلَّاح، وتنهض بالبلاد في جميع المجالات، فليس معنى ذلك أنَّ المسؤوليَّة تقع على الحكومة وحدَها، ولا أنَّ موقف الأثرياء السلبيَّ سليم، بل على العكس؛ فإنَّه ما لم تتضافر الجهود من قِبل الحكومة والشَّعب، فمثلًا في الأعمال الفرديَّة وجهود الشركات والأثرياء ومختلِف الطَّبقات مضافًا إلى أعمال الحكومة ومسؤوليَّاتها، فإنَّ العمل من جانب واحد سيظلُّ مشلولًا، ولا يمكن أن تنهضَ الحكومة بكلِّ شيء ما دام الأثرياء يقفون هذا الموقف الغريب، والذي يتجلَّى في السلبيَّة والانطوائيَّة.

إنَّ أثرياءنا قد أمسَكوا عن الإقدام على المشروعات النافعة، وقبضوا بيدٍ من حديد على النُّقود، أو هرَّبوا أموالهم خارج الحدود، وقد ذهب كثيرٌ من تلك الأموال في مَوجة التأميمات في مصر، وراحَت عشرات الآلاف لبعض الناس، وملايين ومئات الملايين لأناس آخرين، ولم يلقَوا جزاءً ولا شكورًا من قِبل البلاد التي أودَعوها أموالَهم وشجَّعوا اقتصادَها، وحرَموا بلادَهم من جزء هامٍّ من ثروتها التي كان يجب أن تبقى فيها، بل إنَّ بعض هؤلاء قد أسَّس مطابعَ ضخمةً في مصر ثم أُمِّمت، وصار يُطبع فيها الكتب والنَّشرات التي تَشتُم هؤلاء المؤسِّسين، وتَذكر من مَثالِبهم ومساوئهم ما يَندى له الجبينُ خجلًا!

وقد يكون بعض تلك الأقاويل مؤتَفَك لا أساس له من الصحَّة، ولكنَّهم

(١) "اليمامة" العدد (٤١٢)، في ١٠/ ٤/ ١٣٨٣.

على أيِّ حال لَقُوا جزاء سِنِمَّار، وانعكسَت عليهم الآية، فلم تُسلَّم لهم أموالهم ولا دَفعَت عن أعراضِهم.

ولسنا نقول هذا شامتين؛ ولكن للذِّكرى، ولا سيَّما أنَّ أولئك لم يأخذوا عِبرةً ممَّا حدث، فما فَتِئوا منصرفين عن إنشاء المصانع وتأسيس المشاريع المثمِرة في بلادهم، ومنهم من يبحث لاستثمار أمواله في بلادٍ أخرى؛ عربيَّة أو أوروبيَّة، وربَّما دُول عدوَّة للإسلام والمسلمين والعرب.

ونحن نقول لهؤلاء: على رِسلكم؛ فما هكذا يا سَعدُ تُورَدُ الإبل! وما هذا بعَمل مشرِّف لكم؛ فبلادكم أحقُّ بثرواتكم وأضمنُ ربحًا ومالًا، وستجدون من التسهيلات ما لا تجدونه في البلاد الأخرى، وإذا كان هناك ما يَعترض طريقَكم في استثمار أموالكم من عقَبات وصعوبات، فتقدَّموا إلى الحكومة بمقترَحاتكم ووجهات نظَركم، وما نحسَبها إلَّا مُقدِّرةً لكم ذلك، وستأخذ به إذا كان فيه مصلحةٌ عامَّة ونافعةٌ للبلاد.

إنَّ ظاهرة السلبيَّة - مع الأسف - قد تفشَّت في مجتمعنا، وكاد يصبح مجتمعنا اتِّكاليًّا؛ كلُّ شيء يريده من الحكومة، وكلُّ مشروع فلا بدَّ أن تنهضَ به الحكومة، وكلُّ أمر مَهما كان صغيرًا أو تافهًا فهو من واجب الحكومة!

إنَّني لا أقول هذا دفاعًا عن الحكومة، ولا أدعو إلى إعفاء الحكومة من مسؤوليَّاتها الجسيمة، وواجباتها الضَّخمة؛ فبلادنا ذاتُ مواردَ عظيمة وثرواتٍ هائلة، واحتياجاتُها كثيرة ومتنوِّعة، ولا بدَّ للحكومة من العمل الجدِّي السَّريع في كلِّ ناحية ومجال؛ ممَّا يعود نفعُه لهذا الشَّعب العظيم وللأمَّة الإسلاميَّة جمعاء، وأيُّ تَوانٍ في ذلك فإنَّه سيجرُّ الكوارث والمشاكل

على الأمَّة حكومةً وشعبًا، ولكنَّ ذلك لا يعني السُّكوتَ عن هذه الظَّاهرة المؤسِفة، وهي سلبيَّة الأثرياء وموقفهم الغريب من بلادهم، وحِرمانُهم وطنَهم من استثمار ثرواتهم فيه، وعدم القيام بواجبهم حيالَ وطنهم وأمَّتِهم، وإصرارهم على ارتكاب هذا الخطأ والتَّمادي فيه!

هذه كلمة للذِّكرى، فهل تجد استجابة؟

أرجو وآمُل.

عاملون ومخذِّلون[1]

هناك من يعمل في سبيلٍ طيِّب، ويقدِّم ما يستطيع في خدمة دينه وأمَّته؛ وقد يكون طالبًا مُثابرًا على دَرسه يريد أن يَبلغ أمانِيَّ كريمة، فيها نفعٌ ومصلحة، أو باحثًا منقِّبًا يَربِط الماضيَ بالحاضر؛ ليستفيد النَّاس من التَّجارِب، ويضيفوا إلى خبرتهم خبرةَ الأقدَمين، ويوفِّروا بذلك جهودًا كثيرة، أو أنَّه عالم دين ينير للنَّاس سبل الخير، ويخشى عليهم التردِّيَ في مهاوي العطَب، وأخطار الزَّلَل.

وإمَّا لأنه صحفيٌّ ناجح يقدِّر المصلحة العامَّة، ويؤثِر كلمة الحقِّ على رضا الظَّلمة والخفافيش، يتجنَّب التَّبذُّل في قوله، ويفهم الصِّحافة على أنَّها غرضٌ سام نبيل، تبثُّ الوعي، وتبصِّر بألاعيب السِّياسة ومزالقها، فلا يتورَّط فيها جاهل يُودي بحياة أمَّة، أو يُضيع حقَّ شعب، أو يمالئ استعمارًا، أو احتكارًا جائرًا، صِحافة تَنصح وتحذِّر وتَخدُم الدِّين والأمَّة والوطن.

هؤلاء وأمثالهم من العاملين بإخلاص وجِدٍّ، يَنظر إليهم الكثير فيشُدُّ من أَزرِهم، ويقوِّي من عزيمتهم، ويشجِّعهم ليسيروا قُدُمًا؛ لأنَّه يشعر بواجبه ولا يقف عند حدود مصلحته الشخصيَّة، وإنَّما يتطلَّع لشيء أكثر سمُوًّا، إنَّه يهتمُّ لمصلحة إخوانه، وبالتالي يرى لزامًا عليه معونةَ كلٍّ من يسعى في هذا السَّبيل.

وهذا هو الإنسان الكريم.

---

(١) "البلاد" العدد (؟)، في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٧٩.

أمَّا الإنسان الحاسد فهو الذي يَستاء لمرأى رجلٍ عامل مُجِدٍّ، فيضَعُ العراقيلَ في طريقه مهما أمكَنه، ويَصير حجرَ عثرةٍ في طريق الإصلاح والمصلِحين، يَشعُر بعجزه وبَلادته فيَغتاظ كذلك، ولكنَّه لا يحاول أن يكملَ القصَّة، وإنَّما يرى الوسيلة الوحيدة لشفاء غلِّه، هي تنقُّص العاملين، وتشويه كلماتهم وأعمالهم، وهؤلاء نكبةٌ على الأمَّة إذا لم يثوبوا إلى رُشدهم، ويحاولوا العمل المنتِج المثمر بدلًا من الطَّعن والغمز.

والمجتمع، وما أدراك ما المجتمع؟! إنَّه إن كان واعيًا لم تَلقَ هذه الطُّفيليَّاتُ فيه استجابةً وإصغاء لهُرائهم، ولكنَّه يُظهِر اشمئزازَه منهم واحتقارَه لطرُقِهم المعوجَّة، ويقول لهم في صراحة: اعمَلوا أو اصمُتوا.

ولقد كانت كلمةٌ للدكتور طه حسين في إهداء بعض كتبه، جميلةً جديرةً بالفَهم؛ قال: «إلى الَّذين لا يعمَلون، ويَسوءُهم أن يَعمل النَّاس أُهدي هذا الكتاب»، والشَّاعر العربيُّ قد سبَق إلى هذا المعنى الذي أرسلَه شعرًا رائعًا يُلقِم المتعنِّتين أحجارًا:

أقِلُّوا عَليهِم لا أبا لأبيكُمُ   مِنَ اللَّوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا

إنَّ هذه الرَّواسبَ التي تبدو جليَّةً في مجتمع متخلِّف، حقيقةٌ بأن تجدَ صَيحةً قويَّة تُعيد لأربابها صَوابَهم، وتعلِّمهم أنَّ قيمة المرء بعمله وإنتاجه، وأنَّ التَّحطيم والهدم ليسا وسيلةً ناجحة، وإنَّما النَّقد المقوِّم الموجِّه هو الذي نحتاج إليه، أمَّا بَعثرة الجهود، وازدراءُ الناجحين وذَوي العمل النافع فهذا أمرٌ خَطِر، يجب مكافحتُه.

وفَرقٌ بين من يَعمل ويُنتِج ثمَّ يَسعى لتقويم الاعوِجاج والنَّقد النَّزيه، ورائده طلب العلم والحقيقة... وبين حاقدٍ يُريد أن يُظهِر نقص العاملين

حتَّى يسترَ جهلَه ويُحافظ على مصالحه الخاصَّة.

إنَّ العاملين المخلِصين هم الجديرون بالتقدير والتشجيع والاحترام، لا أولئك العجَزة الثَّرثارون، الَّذين يشجِّعون البطالة، ويحترمون العاطلين بالوراثة ومن لا نفعَ فيهم، فمتى نَرى وعيًا يُجبِر بقايا هؤلاء - وما أكثرَهم - على تغيير موقفهم، وتبديلِ لهجتهم؛ نُصرةً للحقِّ وخدمةً للأمَّة؟!

الرِّثاء

رهبة الموت[1]

الموت هو ذلك الشَّبح الرهيب، الذي ترتَعِد لذِكره الفرائص[2]، وتهتزُّ لتصوُّره المشاعر، اهتزازَ الذُّعر كأنَّه غُول فاتك أو حَيَوان مفترس، بمجرَّد مروره في الخيال تجري لحظاتٌ فيها كثيرٌ من القسوة، وكثير من الرُّعب، وتُبدَّل الآراء والأفكار التي كانت قبل ساعاتٍ وثَوانٍ مُسيطِرةً على المرء.

فالخيال الجامح، والأمل السَّابح، والمُنى الحُلوة اللَّذيذة، التي يتيهُ معها الإنسان في فضاءٍ واسع، ويشتطُّ معها الوهم في بَيداءَ عميقة، لا تعترف بالحدود والقيود... كلُّها تنكمش مع هول ذِكره.

بينما المرءُ سادرٌ في الهوَّة، غارقٌ في أحلامه العسليَّة والطَّروبة، يتصوَّر أنَّه في جنَّة خضراء، وظِلالٍ فيحاء يتفيَّؤها، وأنهار يمتَّع بها النظرُ ويتسلَّى الفؤاد، وإذ كان يحدِّث نفسَه واهمًا أنَّ الأموال الطائلة التي عَجَز الثَّريُّ - غيرُ المأسوف عليه - قارونُ، وروكفلر، وفورد، وأوناسيس، والأغا خان... عَجَز هؤلاء جميعًا البلوغَ لرَقْمها، قد صارَت ملكَ يديه بين غَمضة عين وانتباهتِها، والخدَم والحشَم والقصور التي تُعجِز خيالَ راوي "ألف ليلة وليلة" وناقلي أخبار مهراجات الهند!

إنَّها جنَّة تهزأ من جنَّة شدَّاد بن عادٍ الغابر، وأنهار فرعونَ الدَّاثر، قد انقادت له في جَذل، وطأطأَت رأسها - أعني جنَّة صاحبنا الواهم - في خجَل، فهي في حوزته يهنأ بمباهجها، ويرتاح لمكيِّفاتها! قد خَبُر بفَوحةِ

(١) "البلاد" العدد (؟)، في ١٣/ ٤/ ١٣٧٩هـ.
(٢) الفرائص: جمعُ فَريصَة، وهي: اللَّحمة بين الجَنْب والكَتِف.

مَصوناتها، ووَثير فِراشها، وتمتَّع بمرأى ألوانها الزَّاهية وأنوارها الوُضَّاءة وموائدها العامرة التي تحوي كلَّ ما لذَّ وطاب، وما يسيل له الرِّيق واللُّعاب!

وبينما هو يحلُم ويحلم أنَّ سُلطانه قد امتدَّ حتَّى لم يجد حاجزًا يقف دونَه، أو كأنَّه البطل الذي وقف مرَّة على ساحل المحيط الأطلنطيِّ يقول: لو علمتُ أنَّ وراء هذا البحر ساكنًا لعبَرتُه - مع الفارق طبعًا في الأهداف - وغَرِق في الخيال حتى أُذنَيه وهامَتِه، فظنَّ أنَّ الدُّنيا دانت له بلا رجوع، وأُعطيَ مفاتيحَ الجاه والمال، وأُوتيَ الحكمةَ وفَصلَ الخِطاب، فلا الصِّحَّة مُفارقة، ولا العقَبات واقفة في طريق مُناه وأحلامِه.

بينما هو كذلك، إذ بالآمال تنهار فجأة، والحصون تندكُّ في لحظة، والخيالات قد تضاءلَت وتلاشَت، أو كادت؛ لِيُدرك الواقع بدون (رتوش)، ولِيعيَ حقيقةَ نفسه!

كلمةٌ واحدة توقِظ النَّفس من سُباتها لترجعها عن غَيِّها؛ كلمة (الموت) المخيفة، يَذكرها ويتصوَّر فظاعةَ الموقف، ليبدِّد تلك الثَّروات الطائلة، التي احتواها على ضخامتها خيالُه، وتَهونُ عليه أن تَذروَها الرِّياح، ويُطيح بتلك القصور الشَّامخة التي بناها على رمال الأوهام، ويُطلِّق السُّلطان الذي خاله قد اتَّسع حتى لم يَعُد في حاجةٍ إلى الاتِّساع!

يعود ليتلمَّس الحقيقةَ التي برزَت له فجأةً من خلال ذِكرى كلمةٍ صغيرة؛ فيبدِّد الأوهام، ويَكبَح جِماح المُنى الخادعة، ويشعر بحقيقة نفسه فلا يَطغى ولا يتجبَّر، ولا يندفع راكضًا وراء أهوائه وشهَواته، أو منخدِعًا بمالٍ يَملِكه، أو جاهٍ يناله أو سطوةٍ قد أُوتِيَها ليتنبَّه لحقيقته التي جهِلَها، أو تجاهلَها حين انساقَ وراء المادَّة حتى كاد يتحجَّر قلبه، ويفقد المشاعر

الكريمة والعواطف الرَّحيمة؛ لِيعيَ - إن كان محظوظًا - أنَّه خُلق من طِين وسيعود إلى الطِّين!

وكُــــلُّ الــــذي فــــوقَ الـــتُّـــرابِ تُـــرابُ

وأنَّه مبعوثٌ لِيحاسَب عمَّا عمِل، ويَجنِيَ ثِمارَ ما غرَس.

ألا ما أبلغَها موعظةً، وأعظمَها عِبرةً، وأشدَّها هولًا؛ ذِكرى الموت! التي تُنبئ أنَّ الاغترار بالحياة خداع، والانسياقَ خلف المطامع وهمٌ كبير، والرُّكون إلى الدُّنيا ركونٌ إلى سَراب ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩].

ولكنَّ الفوز والمَجد لمن عمِل الخير، وتدارَك الخطأ، وسعى لإسعاد المجتمع، فبدَّل الأثَرَةَ إيثارًا، والاحتِجان[1] بَذلًا، والظُّلم عدلًا، والشرَّ خيرًا؛ هكذا يعي المتبصِّر، ويستخلص النتائج الصَّحيحة.

أمَّا رهبةُ الموت فهي لا يَمتازُ بها صالحٌ عن صالح، أو محسنٌ عن مسيء، أو جادٌّ عن هازل؛ لأنَّها موعظة، وأيُّ موعظة! لفَظَها نبيُّ الإسلام في جُملٍ وجيزة، لكنَّها ذاتُ مدلول كبير وعظيم: «أكثِروا ذِكرَ هاذم اللَّذَّات؛ الموت»! موعظة الموت تؤكِّد صِدقَ القائل:

مَن يَزرَعِ الشَّرَّ يَحصُدْ في عَواقبهِ   نَـدامـةً ولِـحَـصْـدِ الـزَّرعِ إبَّـانُ

وقولِ الآخَر:

مَن يَفعَلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جَوازِيَهُ   لا يَذهَبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

(١) الاحتِجان: الاحتواء، ويعني به البُخل.

الأمير النبيل تركي آل ماضي[1]

كنت أتصفَّح جريدة "البلاد" وإذا بالمفاجأة! خبر وفاة الأمير تركي بن محمَّد آل ماضي أمير مقاطعة أبها بسكتة قلبيَّة، ووجَمتُ ثمَّ حَوقَلتُ واسترجَعتُ، وقلتُ بيني وبين نفسي: لعلَّ الخبَر مغلوط، أو أنَّ راويه متسرِّع، ولكنَّ الخبر تأكَّد، ولا رادَّ لقضاء الله، ولا مؤخِّر لأجَلٍ حضَر!

وطاف بذهني شريطٌ من الذِّكريات فسيحةٌ آمادُه، بعيدةٌ أماكِنُه، وتذكَّرتُ أيَّام طفولتي وكنتُ في مسقط رأسي روضة سُدَير، وأنا أستمِع لما يتناقَلُه أهلُ البلدة من ثناءٍ وإعجاب يشنِّف الأسماع عن الأمير العصاميِّ تركي بن محمَّد آل ماضي.

وتَمضي سنون وإذا بي أحظى بمُرافقتِه من الرَّوضة إلى الرِّياض، ويتحدَّث إليَّ ويُطيل الحديث، ويُسائلُني عن دراستي وعن الدُّروس والمشايخ والحالة المعيشيَّة، ومن يومها ازددتُّ إعجابًا وتقديرًا لهذا الرَّجل النَّبيل. والتقيتُ به بعد ذلك عدَّة مرَّات في سنوات متفاوتة، وكلَّما اجتمعتُ به تمنَّيتُ أن يطولَ الحديثُ ويمتدَّ المجلس؛ إنَّه رجلٌ يملأ المتحدِّثَ إليه إعجابًا به، فهو مُتواضع أديب، حلوُ الحديث رقيقُ المشاعر، مع طلعةٍ مَهيبة وشخصيَّة جذَّابة، وحِلم ووَقار.

قيل لي مرَّة: إنَّ فلانًا يقول: زيد يحبُّ الأمير تركي ويسرع لزيارته، ولكنَّه لا يَزور فلانًا!

(١) "المنهل" المجلَّد (٢٦)، ذو الحجَّة سنة ١٣٨٥.

فقلتُ لمن روى الحديث: إنَّني أعجب بتركي؛ لأنَّه أديبٌ فاضل، فهو يحترمني وأحترمه، ويقدِّرني وأقدِّره، وإنِّي أزوره وأحبُّه؛ لخلاله الطيِّبة وليس لنسبه - وهو النَّسيب - ومن أسرةٍ تَرتبط وشائجُها بقبيلة بني تميم القبيلة المشهورة.

طافت بذِهني - وقد سمعتُ وقرأت عن وفاة الأمير الجليل - صورٌ متشابكةُ المَعالم، مهزوزة، فلم أستطع الرَّبط بينها، ولا غَروَ؛ فقد كان المُصاب جَللًا.

في عام **١٣٨٠هـ** تلقَّيتُ رسالةً من الأمير تركي آل ماضي، مؤرَّخةً في **١٧/ ١١/ ١٣٨٠** أقتطِفُ منها ما يلي:

«وبعدُ؛ فهذه أوَّل رسالةٍ يَكتبُها لكم رجلٌ تَجمعُكم به أواصرُ النَّسب والجوار في الوطن والصَّداقة بين الأُسرتين، وليس غريبًا أن يكتبَ الوالدُ للولَد - إن صحَّ هذا التَّعبير - لأنَّ الذي دعاني إلى ذلك هو الإعجاب بمزاياك الطيِّبة، وأخلاقك الفاضلة، وعلمك الجَمِّ، وهذا ما كنتُ أتوقَّعه منك منذ الصِّغر، فالحمد لله الذي حقَّق الأمل.

ولقد كنتُ أقرأ مقالاتِك المفيدةَ في مجلَّة "الجزيرة" وفي غيرها من الصُّحف السُّعوديَّة، وبالأخصِّ ما كتبتَه عن إقليم سُدَير، وشكرتُك على هذه الهمَّة العالية، وأكبَرتُ المقالةَ التي في "الجزيرة" والتي أعربتَ فيها عن عَزمِك على الكتابة عن إقليم سُدَير في الماضي القريب؛ نظرًا لما لقيتَه من الصُّعوبات في البحث السَّابق؛ لعدم توفُّر المراجع التي يمكن الاعتمادُ عليها والاستفادةُ منها.

وما أشرتَ إليه من أنَّ الكتابة عن التَّاريخ في هذا الإقليم قد يُثير بعض

الحزازات فالأمر كما ذكَرت، فأمَّا العاقل فإنَّه سيَحمَد الله على نِعَمه، وعلى ما هو فيه من هناءٍ وأمن واستقرار، وأمَّا الجاهل فإنَّه سيَعرف ما لم يكن له به علمٌ ولن يزيده ذلك إلَّا نفورًا.

وقد سبَق أن حرَّرتُ نُبذةً تاريخيَّة خاصَّة عن الأسرة، وذلك لما تحقَّقتُه من الإهمال والجهل المتزايد من بعض أفرادها، ويسرُّني أن أُهديَ لكم نسخةً من هذه النُّبذة المذكورة».

أوردتُّ هذه الرِّسالةَ لأنَّها قطعةٌ أدبيَّة تعبِّر عن نفسها بما يتحلَّى به كاتبُها من نُبل وفضل، وما يتَّسم به من تواضُع وأدب، وحرص على البحث والعلم، رغم مشاغل المنصب الكبير، والأعمال الرسميَّة الكثيرة.

إنِّي أعتذرُ عمَّا جاء فيها من ثناءٍ عليَّ أسبغه حسنُ الظَّنِّ والشُّعور النَّبيل.

رحمك الله يا تركي؛ فلم يكن فَقدُك علينا هيِّنًا، وحالنا - وقد عَلِمنا بوفاتك - كما يقول المُهلهِل يَرثي كُليبًا:

كـأنِّـي إذْ نَـعـى الـنَّـاعـي كُـلـيـبًـا   تَـطـايـرَ بـيـن جَـنـبَـيَّ الـشَّـرارُ
فَـدُرتُ وقـد عَـشَـى بـصَـري عـلـيـه   كـمـا دارَت بِـشـاربِـهـا الـعُـقـارُ

وإذا فقَدنا تركي آل ماضي فإنَّ القلب ليَحزَن، والنَّفس تَلتاع، والعين تَدمَع، ولنا في رسول الله ﷺ أُسوة؛ فقد مات الأنبياءُ والعُظماء، وما الذي يَستطيع الإنسانُ أن يفعلَه حِيالَ الموت؟!

وهَـذهِ الـدَّارُ لا تُـبـقـي عـلـى أحـدٍ   ولا يَـدومُ عـلـى حـالٍ لـهـا شـانُ

كما يقول صالحُ بن شريف.

كان لوفاة الأمير تركي وَقعٌ شديدٌ في نفسي، وكان خبرًا مفزعًا كأنَّما

عَناه أبو الطيِّب بقوله:

طَوى الجزيرةَ حتى جاءَني خبَرٌ فَزِعتُ فيهِ بآمالي إلى الكَذبِ
حتَّى إذا لم يدَع لي صِدقُه أمَلًا شَرِقتُ بالدَّمع حتَّى كادَ يَشرَقُ بي
تعثَّرَت بهِ في الأفواهِ ألسُنُها والبُرْدُ في الطُّرْقِ والأقلامُ في الكُتُبِ

وأيُّ حيلةٍ للمرء أمام هاذم اللذَّات؟! وأيُّ دواءٍ يَدفع المنيَّة؟!

وإذا المنيَّةُ أنشَبَت أظفارَها ألفَيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفَعُ

وكما يقول أبو الطيِّب المتنبِّي:

وقد فارقَ النَّاسُ الأحبَّةَ قَبلَنا وأعيا دواءُ الموتِ كلَّ طَبيبِ
سُبِقنا إلى الدُّنيا فلو عاشَ أهلُها مُنِعنا بها مِن جَيئةٍ وذُهوبِ
تَملَّكَها الآتي تَملُّكَ سالبٍ وفارَقَها الماضي فِراقَ سَليبِ
ولا فَضلَ فيها للشَّجاعةِ والنَّدى وصَبرِ الفتى لولا لِقاءُ شَعوبِ

وكلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت، وليس في طول الحياةِ فَخرٌ ولا في قِصَرها مَنقصَة، ولكنَّ المعيار ما يقدِّمه المرء من عمل، وما يُخلِفُه من ذِكر، وما يبقى وراءَه من سِيرة، كما يقول ابن دُرَيد في "مَقصورته":

وإنَّما المرءُ حديثٌ بعدَهُ فكُن حديثًا حسَنًا لمن وعَى

العدد الحافل[1]

وصدَر "المنهل" حافلًا يشرِّف هذه البلادَ بما احتواه من تَراجِمَ لمئةٍ وخمسينَ أديبًا وكاتبًا في هذه المملكة المترامية الأطراف، وكان يمثِّل الجهدَ المبذول، والوثبةَ المتطوِّرة، والمفاجآتِ السَّارَّةَ التي اعتادها قرَّاءُ "المنهل" من صاحبه الأستاذ الباحث عبد القدُّوس الأنصاري، الذي أعطى لقُرَّائه الشيءَ الكثير، دون ضجيجٍ أو دَعاوى فارغة، ولقِيَ النَّجاح والتَّقدير من كلِّ منصِف لا يَغمِط المُجدِّين حقَّهم، ولا يسوِّي بين الغثِّ والسَّمين.

ولم يكن غريبًا أن يطيرَ الكتاب الجديد من المكتبات في لحظات؛ فهو بحقٍّ كتابٌ عظيم، وقد جاء في وقته المناسب، وهو مرجعٌ هامٌّ، ليس في المكتبة العربيَّة له نظيرٌ من ناحية تعريفه بأُدباء المملكة وكتَّابها، وشُموله، ولم يكن من السَّهل إصدارُ مثلِ هذا العدد الشَّامل، لولا الهمَّةُ العاليةُ والعزم الأكيد والعمل الجادُّ من الأستاذ عبد القدُّوس، ومن حقِّه أن يتلقَّى التَّحيَّات، وأن يُقابَل عمَلُه بالتَّقدير، ومع أنَّ بعض الكتَّاب قد أبدَوا ملاحظاتٍ على هذا الكتاب، بعضها وجيهٌ وبعضها لا مبرِّر له؛ فكما قال الشَّاعر:

كفى المَرءَ نُبلًا أن تُعدَّ مَعايِبُهْ

---

(١) "البلاد" العدد (٢٣٨٧)، في ١٣٨٦/٨/٢٩.

لماذا؟[1]

كان أحَدُ الذين يوجِّهون أسئلةً منوَّعة في التِّلفزيون قد وجَّه بعض الأسئلة الغريبة؛ مثلًا: سأل مرَّة عن مؤلِّف كتاب "سفينة حنان إلى القمر"! وسأل ثانيةً عن مؤلِّف كتاب "مرحبًا أيُّها الحزن"!

والمعروف أنَّ الكتاب الأوَّل قد ألَّفَته ليلى بَعْلَبَكِّي، وقد أثار كِتابها ضجَّة في لبنان؛ لما انطوى عليه من مُجون واستِهتار، وحُوكِمَت مؤلِّفتُه. أمَّا الثاني فهو لفرانسواز ساغان الفرنسيَّة الوجوديَّة.

ويَعجَب النَّاس من مثل هذه الأسئلة؛ فهل عُدِمَت المؤلَّفات الأدبيَّة واللُّغويَّة والتاريخيَّة والفقهيَّة وغيرها، حتَّى يُسأل مثلُ هذه الأسئلة؟ أم ماذا؟!

(١) "البلاد" العدد (٢٣٨٧)، في ٢٩/٨/١٣٨٦.

النَّقد البنَّاء[1]

كتب كاتبٌ يتعجَّل إنجازَ مشروع ثقافيٍّ بعباراتٍ ساخرة، مع أنَّ الكاتب يَعرف بعضَ العوامل التي أخَّرَته، وكان بإمكانه أن يزورَ ويعرفَ الكثير، وله أن يكتبَ في ضوء الحقيقة والواقع، بدلًا من إرسال الكلام على عَواهنه؛ لأنَّ هناك عواملَ فنِّيةً وروتينيَّة وأنظِمةً موضوعة، لا يَستطيع المرءُ مهما حاول أن يَنفُذَ منها بسهولة، حتَّى ولو كان هدفه ساميًا ويريد الإسراعَ بإنجاز عمَلٍ في سبيل الصَّالح العامِّ، إلَّا بعد دراسةٍ وإقناعِ جهاتٍ عديدة.

وقد تذكَّرتُ الموضوعَ هذا اليوم، ورأيتُ أن أُبدِيَ رأيًا أحسَبه ليس جديدًا، ولكنَّه قد يكون فيه ذكرى؛ فقد اعتاد بعضُ كُتَّابنا أن يُسرِفوا في المديح والثَّناء أو في التهجُّم والجحود، وهذا مؤسفٌ حقًّا.

فنحن في حاجةٍ إلى النَّقد الموضوعيِّ، وفي نفس الوقت في حاجةٍ إلى التشجيع على المجهودات الحسَنة، إذًا فإنَّ انحياز النَّقد إلى التَّحطيم والجحود ونسيان الأعمال النَّافعة يعتبر تَجنِّيًا وتغرُّضًا، كما أنَّ المديح والإطراء ونسيانَ الأخطاء يعدُّ مُحاباةً ومُداهنة.

ومن الإنصاف أن يكون الثَّناء بقدرٍ والنَّقد باعتدال، وألَّا تُطمَس المَحاسن وتُشوَّه الفضائل باسم النَّقد المُغرِض الهدَّام، ولا أن يكونَ التَّطبيل وكَيل الثَّناء جُزافًا؛ لأنَّ الأمرين كلاهما لا يَخدُمان الأدَب، ولا يُفيدان المجتمعَ بقَدر ما يضرَّان ويُفسِدان؛ وبِذا يختَلِط الحابلُ بالنَّابل، والصَّحيح بالسَّقيم، والمُجدُّ بالخامل، وبذلك تَفقِد الأمَّة تَوازنَها وتختلُّ المقاييس،

---

(١) "البلاد" العدد (٢٣٨٧)، في ١٣٨٦/٨/٢٩.

وتضيع مقوِّمات الأمَّة.

ولستُ أوَّلَ من طرَق هذا الموضوع، ولاحظَ وجودَه بين بعضِ من يتَصدَّون للنَّقد في بلادنا، ولكنِّي أضمُّ صوتي إلى أصوات المنادين بإيجاد نقدٍ موضوعيٍّ سليم الغاية، نبيل المقصَد، مترفِّعًا عن الضَّغائن والعُنجُهيَّات.

منوَّعات

دليل إعلاميٌّ للمملكة[1]

نشرَت جريدةُ "البلاد" في عددها (١٩٣٢) في ١٦/ ٢/ ١٣٨٥ بعنوان: "دليل إعلاميٌّ شامل لمدينة جُدَّة سيُوزَّع مجّانًا على الحُجَّاج والسَّائحين"، وذكرَت الجريدةُ أنَّه جرَتِ اجتماعاتٌ بين رئيس بلدية جُدَّة الأستاذ علي فدعق والخبير البريطاني مستر تابرج؛ لعمل دليلٍ إعلاميٍّ عن مدينة جُدَّة، ويشمل هذا الدَّليلُ كلَّ ما يحتاج الحاجُّ أو السَّائح إلى معرفته، حيث ستوضَّح فيه مَعالِمُ جُدَّة وفنادقها ومَرافقها العامَّة، ويَحوي هذا الدَّليل خريطةً بيانيَّة كاملة.

وقد أجرى الخبيرُ الإعلاميُّ مفاوضاتٍ مع المسؤولين في وزارة الإعلام لِعَمل كتابٍ مُماثِلٍ عن المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، كما جاء في الخبر أنَّ هذا الدليل لمدينة جدَّة سيُوزَّع مجّانًا على الحجّاج أو السَّائحين، وكذلك ستُرسَل منه كمِّيات إلى ممثِّليَّاتنا في الخارج، وستُعطى كمِّيات منه للمؤسَّسات والهيئات الأهليَّة التي على صِلةٍ بالحجَّاج في الداخل.

ومع أنَّ هذه خطوةٌ يَخطوها رئيسُ بلديَّة جُدَّة والمسؤولون، فإنَّ من حقِّي كواحدٍ من أفراد المجتمع أن أؤيِّدَ فكرةَ إيجاد دليلٍ إعلامي عامٍّ للمملكة يُعرِّف بما يحتاج الغريبُ إلى معرفته، فهذه النَّاحية تُعاني نقصًا يمكن أن يُسهِم مثلُ هذا الدَّليل في سدِّه.

إنَّ البُلدان الأخرى تهتمُّ بالتَّعريف بكلِّ ما يتطلَّع السَّائح والوافد إلى معرفته، وهي بذلك تَصيد عُصفورين بحجَر؛ دِعايةٌ حسَنة لبلادها، وتسهيلٌ

(١) "البلاد" العدد (١٩٤٤)، في ١/ ٣/ ١٣٨٥.

للسَّائح ليطَّلِع على أكبَرِ قدر ممكِن في أقلِّ مدَّة، فيستطيع أن يُلمَّ إلمامًا حسَنًا بأشياءَ كثيرة تهمُّه حتَّى ولو كان مرورًا سريعًا، ومن ناحيةٍ أخرى ففي الدَّليل الإعلاميِّ اجتذابٌ للسَّائحين وترغيبٌ لهم في زيارة البلاد والاطِّلاع على مَعالمها.

ثمَّ - وهذا مهمٌّ جدًّا - إنَّ الوافد يَستقي معلوماتٍ صحيحةً تضَع النُّقَط على الحروف، فلا يأخُذ فكرةً مشوَّهة عن البلاد قد تُستَغلُّ في الدِّعاية ضدَّ البلاد في الخارج.

إنَّني أؤيِّد إخراجَ دليلٍ عامٍّ للمملكة، يُعطي عنها فكرةً صحيحة، ويكون مدعَّمًا بالأرقام والإحصائيَّات المضبوطة والبيانات الصَّحيحة، في جميع المجالات، فلا يَطغى فيه جانبٌ على جانب، ولا يكون دِعايةً للجهة التي تتبنَّاه دون سواها، ومن ثَمَّ فإنَّ من الأفضل جمعَ البيانات من مختلِف الدَّوائر والجهات وتمحيصَها، وضمَّها - أخيرًا - إلى هذا الدَّليل المستوعِب بقدر الإمكان، وفي حدود المعقول ليكون مرجعًا هامًّا.

وحبَّذا أن نجعلَ قسمًا منه في المكتبات للبيع؛ حتَّى تكون الاستفادةُ منه أكثر، ويكون ثمَنُه رمزيًّا.

هذه فكرةٌ أُهديها إلى من يَعنيهم إخراجُ مثل هذا الدَّليل الذي سيسدُّ فراغًا في الدِّعاية لهذه البلاد ما زالت تفتَقِر إليه مع كلِّ البذل والسَّخاء حتى الآن.

حتَّى القضاة![1]

سَمِعنا وقرَأنا وشاهَدنا «وما راءٍ كمَن سَمِع» عن استِقدام خُبراء وخَبيرات ومهندِسين وممرِّضات وأطبَّاء ومعلِّمات ومعلِّمين ومربِّيات ومذيعين وخادمات... إلخ، وقلنا: لعلَّ الضَّرورة أحوجَت في شيءٍ من ذلك «وللضَّرورات أحكام»، واتَّسع الخَرق على الرَّاقع، واختلط الحابل بالنَّابل!

واليومَ جاء ما كِدنا نكذِّبه من الأساس ونَنفيه من الأصل، وهو ما نشَرَته "النَّدوة" في عددها (١٩٣٦) وتاريخ ١٥/ ٢/ ١٣٨٥، حول إعارة خِدمات عددٍ من القُضاة الأردنِّيين للعمل في المملكة، وأنَّ سفير المملكة في الأردُنِّ سيَبحث ذلك مع وزير العدل الأردُنِّي».

هذا الخبر كِدنا نجزم ببُطلانه من أوَّل وَهلة؛ ذلك أنَّ هذه البلاد تَحكم بالشَّرع، وتُعنَى بدراسته عنايةً لا يوجد لها نظيرٌ في أيِّ بلد من بُلدان العالم، وقد نعِمَت أمنًا، ووجدَتِ اطمئنانًا، في الوقت الذي نبَذ الكثيرون حكم الشَّرع، فصارت بلادهم مسرحًا للجرائم والفظائع، ومرتعًا خِصبًا للفِتَن والقلاقل.

ولدَينا بحمد الله من فُقهاء الأمَّة وعلماء الشَّرع من فيهم الخير والكفاءة والنَّزاهة، وكلِّيات الشَّريعة والجامعة الإسلاميَّة والمعاهد العلميَّة تُخرِّج كلَّ سنة أفواجًا من طلبة العلم الذين لدَيهم الاستعداد لتولِّي مناصب القضاء والتَّدريس وغيرهما، وكذلك المشائخ الذين سبَقوا هؤلاء أو صاحَبوهم، وليس في البُلدان الأخرى ما في هذه البلاد من الاهتمام بالعلوم الشرعيَّة،

(١) "البلاد" العدد (١٩٤٤)، في ١/ ٣/ ١٣٨٥.

والحرص على تحكيم الشَّرع المطهَّر، ومؤازرة الحكومة.

إنَّني أتمنَّى ألَّا يكون هذا الخبر له أساسٌ من الصِّحَّة، وأنَّه سوء فَهم من الرَّاوي، أو زلَّة قلم من الكاتب، ونأمُل إيضاحَ الحقيقة حتى يزولَ القلق الذي ساورَ النُّفوسَ من جرَّاء هذا الخبر، وإنَّا لمنتَظِرون!

مَن الشَّاعر؟[1]

قرأتُ في صحيفة "البلاد" الصَّادرة بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٣٧٣هـ تحت عُنوان: (تَراجم وسِيَر) للأستاذ عمر عبد الجبَّار، ترجمة الشيخ إبراهيم بن عُبيد - قولَ الأستاذ عبد الجبَّار: «ومن شِعره - أي: الشيخ إبراهيم بن عبيد؛ على زعم الكاتب:

لا يُدرِكُ المجدَ إلَّا سيِّدٌ فَطِنٌ ... لِما يَشُقُّ على العاداتِ فعَّالُ
لولا المشقَّةُ سادَ النَّاسُ كلُّهمُ ... الجودُ يُفقِرُ والإقدامُ قتَّالُ
إنَّا لفي زمَنٍ قولُ القبيح بهِ ... مِن أكثر النَّاس إحسانٌ وإجمالُ

وفي البيت الأخيرِ خطَأ، وهو: «إنَّا لفي زمنٍ قول القبيح به»، وصوابه: «تَركُ القبيح به»، وهذا الخطأ مطبعيٌّ على ما نظنُّ.

أمَّا الخطأ المعنويُّ فهو في نِسبة الكاتب هذه الأبياتَ للشَّيخ إبراهيم العبيد وهو خطأ عجيب؛ فإنَّ هذه الأبيات شهيرة متداوَلة وهي من شعر أبي الطيِّب المتنبِّي، ومن حِكَمه النَّادرة، وهي من قصيدةٍ طويلةٍ رائعة، قالها أبو الطيِّب سنة ٣٤٨هـ يمدَح بها فاتِكًا أبا شُجاع، ومَطلعُها:

لا خيلَ عندكَ تُهدِيها ولا مالُ ... فلْيُسعِدِ النُّطقُ إن لَم يُسعدِ الحالُ

أمَّا الشيخ إبراهيم العبيد فهو ما زال حيًّا يُرزَق - وفَّقه الله - وإنَّه لعجَب!!

---

(١) مجلَّة "راية الإسلام" العدد الثالث، السنة الأولى، صفر ١٣٨٠.

الشَّيخ محمد بن مانع وعمر عبد الجبَّار(١)

وإذا كان الشَّيء بالشيء يُذكر - كما يقولون - فإنَّ هذا يذكِّرنا بما كتبه الأستاذ عمر عبد الجبَّار أيضًا في ترجمة الشيخ الجليل محمَّد بن مانع - حفظه الله - في جريدة "البلاد" الصَّادرة في ١٤/ ١١/ ١٣٧٨هـ، وقال فيه: «كما حضَرتُ دروسَه في المسجد الحرام، فوجدتُّ في كلِّ ما ألقاه سلامةَ العقيدة، والدَّعوة إلى الأخلاق بالحكمة والموعظة الحسَنة، دون أن يتعرَّضَ لأحدٍ بالتجهيل أو التكفير؛ شأنَ كلِّ داعٍ إلى إصلاح العقول والنُّفوس بالنَّصيحة والإرشاد إلى سبيل الخير ومكارم الأخلاق».

والشَّيخ الفاضل محمَّد بن مانع قَمِنٌ بالثَّناء والتَّبجيل، وهو معروفٌ لدى الجميع، ولكنَّ الذي نستغربُه هو ما زعمه الأستاذ عمر عبد الجبَّار ونسَبه إليه؛ من أنَّه لا يتعرَّض لأحدٍ بالتجهيل أو التكفير، ثمَّ تعليق عمر عبد الجبَّار على ذلك بأنَّ هذا شأنُ كلِّ مصلِح وداعٍ إلى إصلاح العقول.

ووَجه الاستِغراب فيها أن يكونَ الشَّيخ الجليلُ لا يتعرَّض لأحدٍ بالتجهيل أو التكفير، وأنَّ هذا شأنُ المصلحين! فإنَّ هذا الإطلاق غيرُ صحيح قطعًا، وإلَّا كان مُقتضاه ألَّا يكفِّر - بكسر الفاء - الكافرين الذين ورَد الكتابُ والسنَّة بتكفيرهم، والذين أجمع العلماء على كُفرهم، ولا يُجهِّل - بضم الياء وكسر الهاء المشدَّدة - مَن جاء نعتُه بالجهل في القرآن والسنَّة وفي إجماع سلف الأمَّة، وهذا لو وقَع - وهو لم يقَع من الشَّيخ ابن مانع - فليس ممَّا يُمدَح به، وما دام لا يصحُّ أن يكونَ قال ذلك فمن الخطأ نسبةُ

(١) مجلَّة "راية الإسلام" العدد الثالث، السنة الأولى، صفر ١٣٨٠.

شيءٍ إليه وهو لا يَعترف به.

فإنَّ التعرُّض لأحدٍ بالتجهيل أو التكفير لا يخلو إمَّا أن يكون مَن جهَّلوه أو كفَّروه مستحِقًّا لذلك؛ بمعنى أنَّه قد ثبَت بالدَّليل تجهيله أو تكفيره، فهذا تجهيلُه وتكفيره من العدل، ومن قول الحقِّ، وليس ممَّا يُمدَح الإنسانُ بسكوته عنه أو بعدم التعرُّض له؛ ومن أجل ذلك ذكَر العلماءُ أبوابًا في حُكم المرتدِّ وقتال الكفار وأخذ الجِزية... إلخ.

وإمَّا أن يكون مَن نُسِب إلى الجهل أو الكفر لا يستحقُّ ما نُسب إليه، ولم يَثبُت بالدَّليل ما يُوجِب ذلك، فتجهيلُ مثل هذا أو تَكفيرُه أو رميُه بإلحادٍ أو زندَقة ليس من طريقة المُصلِحين، وإنَّما هي طريقة الغُلاة في الدِّين؛ كالخوارج والمعتزلة الذين يكفِّرون عُصاةَ المسلمين بالذُّنوب التي لا تُخرج صاحبَها من الملَّة.

وممَّا تقدَّم يتَّضح أنَّ في عبارة الأستاذ عمر عبد الجبَّار إطلاقًا لا يَليق، ولا نحسب الشَّيخ الجليل ابن مانع يَسكُت عن تفنيده وإيضاح الحقيقة، ومن ثَمَّ فإنَّا نرجو أن يقولَ كلمتَه؛ إزالةً للالتباس ودفعًا للشُّبهة.

والله الهادي الموفِّق.

خِداع العناوين[1]

في مجلَّةٍ صدرَت حديثًا في بعض البلاد العربيَّة، وتحمل اسمًا إسلاميًّا جميلًا، أُوردَت هذه الحكاية:

قال الأصمعيُّ: رأيتُ أعرابيًّا جالسًا والنَّاس يصلُّون فقلتُ له: يا هذا، لم لا تصلِّي مع النَّاس؟!

فما كان جوابه إلَّا أن أنشَد:

أيَـرضـى إلـهـي أن أصـلِّـيَ عـارِيًـا ويَكسُوَ غيري كِسوةَ البَردِ والحَرِّ
فـأُقـسِـمُ مـا صـلَّـيـتُ لله مَـغـرِبًـا ولا أُختَها الأُخرى ولا مَطلَعَ الفَجرِ
ولا الـصُّـبـحَ إلَّا يـومَ شَـمـسٍ دَفـيـئـةٍ فإن غيَّمَت فالوَيلُ للظُّهرِ والعَصرِ

هذه القصَّة التي أوردَتها المجلَّة في مستهلِّ أعدادها أُنموذَج لما يفكِّر به ويَعمل له بعضُ من يَكيدون للإسلام ويَهزَؤون به؛ وإلَّا فأيَّة مناسبةٍ تدعو لإيراد مثل هذه الحكاية لأعرابيٍّ جافٍ لم يَرسَخ الإيمانُ في قلبه، ويعترض على الله في قَضائه وقدَره، ويَسخر من الصَّلاة والعبادة؟!

إنِّي أخشى أن يَنطبقَ على هذه المجلَّة ومَثيلاتها عبارةُ «خِداع العناوين».

---

(١) مجلَّة "راية الإسلام"، العدد الرابع، السنة الأولى، ربيع أوَّل ١٣٨٠.

سرقة أدبيَّة[1]

إنَّني متألِّم ومتأسِّف أن أرى كاتبًا يكتب في مجلَّة "راية الإسلام" في العدد الثَّالث تحت عنوان (الأمر بالمعروف)، وقد سطا على كِتاب شيخ الإسلام ابن تيميَّة - قدَّس الله روحَه - المعروفِ بـ"الحِسبة في الإسلام"، فيَنقُل منه معظمَ كلمته من عدَّة صفَحات من الكتاب المذكور!

أجَل، نقَل معظمَ كلمته بحروفها دون أن يَنسُب المنقولَ لصاحبه، وانظر (ص٤) و(ص٨) و(ص٦٤-٦٥)، وقابِل بينها وبين الكلمة المشار إليها؛ لترى كيف يحاول البعضُ الظُّهورَ على حساب الآخرين! لتصوُّره أنَّ القرَّاء من الجهل والغباء بحيث لا يكتَشفون الحقيقةَ ويُرجعون الأمورَ إلى نِصابها.

إنَّني عندما أكتُب هذا فإنَّما لأحذِّر من سلوك هذا الطَّريق المعوجِّ، وليكون ذلك موعظةً لمن تسوِّل له نفسُه مثلَ هذه الجناية الأدبيَّة؛ حتَّى لا يقَع في الغلطة التي تَردَّى فيها كاتبُ مقالِ (الأمر بالمعروف)، وإنَّه من الخير للإنسان أن يكتبَ بأسلوبه فيُخطئ من أن يتعدَّى على كتب الآخرين، ثمَّ إذا كان عاجزًا عن الكتابة فما الذي يُلجِئه لمثل ذلك التصرُّف الذي لن يَنالَ عن طريقِه الرِّفعة، وإنَّما يَنال السُّخريةَ والخجَل؟!

(١) مجلَّة "راية الإسلام"، العدد الرابع، السنة الأولى، ربيع أوَّل ١٣٨٠.

معقول![1]

قال أبو بكر الطَّرطوشيُّ في كتابه "سِراج المُلوك" : «ورُوي أنَّ أعرابيًّا قام بين يدَي هِشام بن عبد الملك فقال: أيُّها الأمير؛ أتَت على الناس سنواتٌ ثَلاث؛ أمَّا الأولى فأكلَت اللَّحم، وأمَّا الثانية فأذابَت الشَّحم، وأمَّا الثَّالثة فهاضَتِ العَظم (سحقَته)، وعِندك فضولُ أموال؛ فإن كانت لله فاقسِمها بين عباده، وإن كانت لهم فلِم تَحصُرها عليهم؟ وإن كانت لكم فتصدَّقوا إنَّ الله يَجزي المتصدِّقين! فأمَر هشامٌ بمالٍ فقُسِم بين النَّاس، وأمَر للأعرابيِّ بمال، فقال: ألِكلِّ المسلمين منك مثلُ هذا؟

قال: لا يقوم بذلك بيتُ المال.

قال: لا حاجةَ لي فيما يبعَث لائِمةَ النَّاس على أمير المؤمنين».

(١) مجلَّة "راية الإسلام" ، العدد الرابع، السنة الأولى، ربيع أوَّل ١٣٨٠.

للتَّسلية(١)

ورَوى ابنُ الجوزيِّ في كتاب "الحمقى والمغفَّلين" أنَّه بلَغه أنَّ بعضَ العرب خطَب في عمل وَليمةٍ فقال في خُطبته: إنَّ الله خلَق السَّماوات والأرضَ في ستَّة أشهر.

فقيل له: في ستَّة أيَّام!

فقال: والله أردتُّ أن أقولَها ولكنِ استَقللتُها!

وروى في كتابه المذكور أيضًا عن عبد الرَّحمن بن داود؛ قال: لَقِي تاجرٌ تاجرًا فقال له: ما اسمُك؟ ولا تُطوِّل.

فقال: أبو عبد مُنزِل القَطر عليكم من السَّماء تَنزيلًا، الذي يُمسِك السَّماء أن تقعَ على الأرض إلَّا بإذنه.

فقال: مرحبًا يا ثُلث القرآن!

(١) مجلَّة "راية الإسلام"، العدد الرابع، السنة الأولى، ربيع أوَّل ١٣٨٠.

إلى وزارة المعارف

جَمع شتات المكتبات[1]

المكتبات هي عنوانُ رُقيِّ الأمم ووَعيها، وبالرَّغم من انتِشار الثَّقافة في هذه البلاد، فإنَّ المكتبات ما زالت مفقودةً أو شِبهَ مفقودة.

ويوجد عددٌ من المكتَبات الصَّغيرة الفرديَّة في الرِّياض ومكَّة والمدينة وغيرها، ولكن لا يُستَفاد منها في الأغلب؛ ذلك أنَّها تَنقُصها العنايةُ والتنظيم، وكثيرٌ منها تَمضي عليه الشُّهور وربَّما السِّنين ولم يُحرَّك منها ساكن، وإنَّما هو مُهمَل قد تراكَم عليه الغُبار، وتُرك طُعمًا للدُّودة تَعبَث فيه.

وإذا علِمنا أنَّ مدينة الرِّياض ليس بها سوى مكتبَتين عامَّتين؛ إحداهما ليس فيها إلَّا كتب قليلة جدًّا، والأخرى تحتاج إلى عناية، وإلى كتبٍ وصحُف، الأولى: دار الكتب، والثَّانية: المكتبة السُّعوديَّة، هذا مع الاحتياج الشَّديد والتطلُّع الكثير من قِبَل الشَّباب نحو التزوُّد بالعلوم والثَّقافة وإرواء ظَمئهم بالمُطالَعة، وأمنيَّتِهم أن يجدوا المكان الفسيحَ والجوَّ المُريح، الذي تتوافر فيه أسبابُ الرَّاحة والهدوء، ويَلقَون فيه ما يَرغَبونه من كتب وصحُفٍ وتنظيم.

وجُدَّة ليس فيها مكتبة عامَّة سوى مكتبة الإذاعة التابعة لوزارة الإعلام، وهي مكتبةٌ صغيرةٌ ليس فيها إلَّا كتبٌ يَسيرة، وبعض الصُّحف التَّابعة لوزارة الإعلام.

والمكتبة الأولى يَنقُصها الكثيرُ من التنظيم والموظَّفين، وإلَّا فإنَّ كتبًا

(١) "اليمامة" العدد (٤٢٠)، في ٢/ ٥/ ١٣٨٣.

كثيرةً ونادرةً توجد فيها.

وفي المدينة: مكتبة شيخ الإسلام حكمت عارف، ومكتبة الحرَم، والمحموديَّة.

وفي بُريدةَ مكتبةٌ واحدة.

أمَّا المنطقة الشرقيَّة فلا أعلَمُ بها مكتبةً عامَّة.

وهذا الواقع مُحزِن، ويدلُّ على إهمالٍ للمكتَبات، وعدمِ تقدير لهذه النَّاحية الخطيرة التي هي مقياس لرقيِّ الأُمم وتطوُّرها.

وهناك أفرادٌ وأُسَر لدَيهم مكتباتٌ صَغيرة، ولكن لو ضُمَّت إلى إحدى المكتبات العامَّة، وجُعِلت في ناحية خاصَّة من المكتبة تحمل اسمَ صاحبها، لأمكَن الاستفادةُ منها؛ لتكون منها مكتبةٌ كبيرةٌ وذات فائدة عظيمة، ولأصبَحَت المكتباتُ لدينا مفخرةً من المَفاخر، ونتمنَّى أن يَعمل أولئك بهذا الرَّأي.

إنَّ هناك مكتباتٍ متفرِّقةً كما قُلت؛ فمَثلًا لدى الشَّيخ محمَّد بن عبد اللَّطيف رَحِمَهُ اللَّهُ مكتبةٌ فيها كثيرٌ من المخطوطات، والشَّيخ عبد الله العنقري رَحِمَهُ اللَّهُ كان لديه مكتبة، والأمير عبد الله ابن عبد الرحمن لديه مكتبة، والأمير مساعد بن عبد الرحمن لديه مكتبة، والمفتي لديه مكتبة، والشَّيخ عبد العزيز ابن باز والشيخ عبد الله بن حميد والأستاذ أحمد عبد الغفور عطَّار لدى كلٍّ منهم مكتبة، والشيخ محمَّد نصيف لديه مكتبة، والشيخ إبراهيم السويِّح رَحِمَهُ اللَّهُ لدَيه مجموعةٌ كبيرة من الكتُب، والأمير تركي الماضي لديه مكتبة، وآل بسَّام، وآل سليم، وآل مبارك، وآل عُثيمين، لديهم مجموعاتٌ من الكتب، المطبوعة والمخطوطة... وغيرهم.

ولو أنَّ هذه المكتبات الفرديَّة جُمِعَت في مكتبات عامَّة لجُعلت منها مكتباتٌ هامَّة لها شأنها.

فهل تتحقَّق هذه الأمنيَّة، ويتطوَّع الذين يَملِكون هذه المكتباتِ بتقديمها هديَّة للمكتبات العامَّة؛ لتُساهم في رفع مستوى الأمَّة الثقافيِّ والفِكريِّ، ولهم المَثوبة والأجرُ من الله، إن شاء الله.

والمدرِّسون[(١)]

في عام ١٣٧٨هـ صدَر مرسومٌ وقرار حكوميٌّ يقضي بأن يُصرفَ بدَلُ تنقُّل لموظَّفي الدولة لمن في المرتبة الخامسة فما فوق، وفعلًا نُفِّذ الأمر، ومع قطع النَّظر عمَّا قيل من أنَّه كان ينبغي التعميم لمن دونَ المرتبة الخامسة أيضًا، وهو شيءٌ كان الأولى به أن يُؤخذَ بعين الاعتبار، وأن يُطبَّقَ بالعدل - أقول مع ذلك: فإنَّ أمرًا بدَا غريبًا، ألا وهو توقيفُ صَرف بدَلِ تنقُّلٍ عن المدرِّسين وهو أمرٌ يَسترعي الانتباه!

والذي حارَت البَريَّةُ فيه أنَّ ذلك المنعَ لم يكن مصحوبًا بمبرِّرات معقولة، ولم يكن للاستفسارات وعلامات الاستفهام أجوبةٌ شافية، بل كلٌّ ذهَب يُعلِّل ويفسِّر بما توخَّاه، وطالَتِ الحَيرة، وكان أمَلٌ أنَّه توقيف مؤقَّت لا يلبَث أن يُؤمرَ بِصَرفه للمدَّة الفائتة، ويُؤكَّد على ألَّا يتكرَّر مثل ذلك التوقيف، هذا ما كنَّا ننتظر، ولكن بدون جدوى!

وبعدُ؛ فإنَّ المدرِّس الذي يَلقى في البُلدان الكثيرةِ تقديرًا وتكريمًا، وتوفيرًا لأسباب الرَّخاء والاطمئنان، ويُلاقي من التَّسهيل والمؤازَرة ما يُعينه على المضيِّ في طريقه، فيُرخِص فيه البَذلَ والجِدَّ، ويسلِّيه عمَّا يُصادفه من مشاقَّ ومتاعِب، في البلاد التي عرَفَت خطرَ المدرِّس، وهو منشئ الأجيال ومربِّي العقول، وغارس المعارف، منحَتْه الامتيازات، وبذَلَت له الكثير.

أمَّا هنا، فإنَّ أمرًا محيِّرًا لم نتوصَّل بعدُ إلى حلِّ طلاسمه، وفكِّ رموزه، عندما نرى أنَّه من بين موظَّفي الدولة - بقضِّهم وقَضيضهم - قد

(١) "اليمامة" العدد (٢٤٥).

حُرِم من حقٍّ عامٍّ فلم يُسمَح بإعطائه بدلَ تنقُّل.

إنَّنا لا ندري على من يقَع اللَّوم، ولكنَّا لا نصدِّق أنَّ الحكومة أو واحدًا من المسؤولين ينظر إلى المدرِّس نظرةَ إقلال من شأنه أو تهوينٍ من مكانته، ولا نحسب أنَّ مسؤولًا يعمل على التَّنفير من التدريس، ومن الانخراط في سلك التَّعليم؛ فذلك هو النتيجة الحتميَّة لحرمان المدرِّس من حقٍّ اعترفَت به الدَّولة وأقرَّته لكلِّ موظَّفيها.

مرَّةً أخرى نَطلب أن يُصرَف بدلُ التنقُّل لكلِّ مدرِّس؛ أسوةً بموظَّفي الحكومة، وأن يَنظرَ المسؤولون لرجال العلم نظرةَ تقدير؛ حتَّى لا يجترئ جاهلٌ على غَمطِ حقٍّ لهم، واستهانةٍ بشأنهم، وإنَّا لمنتظرون.

الفَراغ وكيف يُستفاد منه؟[1]

كلَّما جاءت العُطلة المدرسيَّة تناولَتِ الأقلام، وأسهبَتِ الصُّحف في علاج مشكلة الفراغ لدى الطَّلبة وكيفيَّة الاستفادة من الوقت الضَّائع. وللفراغ خطورتُه ومَشاكلُه؛ ولذا يقول الشَّاعر:

إنَّ الـشَّـبـابَ والـفَـراغَ والـجِـدَهْ مَـفـسَـدةٌ لـلـمَـرءِ أيُّ مَـفـسَـدهْ

وبَونٌ شاسع بين أن يُوجِّه المرء في فراغِه إلى وجهةٍ مفيدة، وأن يصرِفَ هذا الفراغَ لعمل نافع وأشياءَ مُجدية، وبين أن يَخسَره الإنسان، أو يَصرفه في ما لا طائل منه، أو فيما فيه مضرَّة محقَّقة ينجُم عنها مَفاسد.

وقد ألمح الرَّسول ﷺ إلى الفرق العظيم بين الحالين؛ فهو يقول: «نِعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصِّحَّة والفَراغ».

ولا شكَّ أنَّ الاهتمام بموضوع الفراغ لدى الطَّلبة هو شيءٌ ضروري؛ ولذا عُنِي المُصلِحون ورجال التربية وقادة الفِكر ببَحث الوسائل التي تَنفع في التخلُّص من مشاكل الفراغ ومَضارِّه.

والمجالات رَحبةٌ فسيحةٌ أمام الطَّلبة؛ للاستِفادة من الوقت الذي يُغادرون فيه المدرسة، حتى يَعودوا إليها في السَّنة الدِّراسيَّة القادمة، ولكنَّهم بحاجةٍ إلى تعاوُنٍ جَماعيٍّ من قِبَل الوزارات المختلِفة، ومن الشَّركات والمدرِّسين، والآباء والطُّلَّاب أنفسِهم، وإن كانت وزارتا المعارف والشُّؤون الاجتماعيَّة تتحمَّلان القسطَ الأوفرَ من الواجب.

(١) "اليمامة" العدد (٣٩٩)، في ٢٤/ ٢/ ١٣٨٣.

ومن الممكن توجيهُ الطَّلبة إلى عدَّة نواحٍ نافعة؛ فمثلًا تعلُّم الرِّماية والسِّباحة وركوب الخيل وقيادة السيَّارات، والقيام برِحْلات وجَوْلات على البُلدان المختلفة، والمشاركة في مشاريعَ حيويَّة، كمتطوِّعين في بناء السُّدود وتعبيد الطُّرق، والإسهام في تنوير الرَّأي العامِّ بفَتح مدارسَ لتعليم الأمِّيين، وإلقاء المُحاضَرات والنَّدَوات في المدُن والقرى، والتوظُّف في الشَّركات والمصارف، والتَّدريب على مختلِف الأعمال، وكالدِّراسة فيما يَميلون فيه من العلوم؛ لتوسيع مَداركِهم وزيادة حصيلتهم العلميَّة.

كلُّ هذه وأشباهها يمكن بها مُعالجة مشكلة الفراغ لدى الطَّلبة، ولا شكَّ أنَّ جهةً واحدةً لا تَستطيع القيامَ بها، وإذًا فلا بدَّ من تَضافُر الجهود والتعاون الجماعيِّ لهذا الغرض النَّبيل؛ حتَّى يُؤتيَ ثمارَه طيِّبةً ناضجة، وإنَّه من الضَّروريِّ مُواجهة هذه الحالة وإعطاؤها ما تستحقُّه من عناية، أمَّا أن يُتركَ أمرُ هؤلاء الطَّلبة في فَراغهم الطَّويل دونَ إيجاد حلٍّ عمَليٍّ له، فهذا ما قد يسبِّب شرورًا أو مَشاكل، ويُحدِث أضرارًا جسيمة، فمِن الخير السَّعيُ الحثيث لحلِّ هذه المشكلة؛ تفاديًا لأخطارها.

والله الموفِّق.

الطلَّاب في العُطلة الصيفيَّة[1]

العُطلة الصَّيفيَّة التي تمتدُّ شهرين أو ما يقاربهما تذهَب سُدًى في حياة الطَّلبة، ويُعانون من جرَّائها مشاكلَ قد تكون سيِّئة الأثر في مستقبَل أيَّامهم.

وفي بلادنا بالذَّات تتَضاعف متاعبُ الطَّلبة في العُطلة، ويَشعرون بالسَّأم والضَّجر نتيجةَ عواملَ جديدةٍ ليس موضوعُنا البحثَ عنها.

وهذه المسألة تَشغَل أذهان المسؤولين في وزارة المعارف والشُّؤون الاجتماعيَّة وغيرهما من أجهزة الدَّولة، كما تشمل كذلك أولياءَ أمور الطَّلبة، فهم حريصون على عدَم إضاعة أوقات أبنائهم فيما لا فائدةَ منه، وفيما فيه ضررٌ متوقَّعٌ أو محقَّق، وقد عالجَ كثيرون من الكتَّاب هذا الموضوع، وتعدَّدت أساليبهم وتنوَّعت آراؤهم، وكلُّها تلتقي عند نقطةٍ واحدة هي: انتفاع الطَّلبة بوقتهم، وفي نفس الوقت لا يثقُل عليهم بحيث يفقدون التَّمتُّع بالإجازة التي مُنِحت لهم بناءً على دراسات الاختصاصيِّين، الذين يَفهمون نفسيَّة الطَّلبة واحتياجَهم للرَّاحة من عناء الدِّراسة بعض الوقت، حتَّى يستجمِعوا قُواهم، وتنشَطَ عزيمتُهم، فيُقبِلون على الدِّراسة في العام المقبِل بشَغف وحُبور، ويتلقَّون العلم في جَذَل ورغبةٍ صادقة.

وفي الحديث: «إنَّ المُنبَتَّ لا أرضًا قطَع، ولا ظَهرًا أبقى».

ولا بدَّ للمرء من ساعةِ مرَح تتخلَّل أوقات الجدِّ، ومن وقتٍ ضاحك إلى أحيانٍ جادَّة، كما يقول علي الجارم:

---

(١) أُذيعت من إذاعة الرِّياض ٢٦/ ٢/ ١٣٨٥.

النَّفسُ تَسأَمُ إنْ تَطاولَ جِدُّها فاخلِط سآمةَ جِدِّها بِمُباحِ

وإنِّي أرى أن تُساهمَ وزارتا المعارف والشُّؤون الاجتماعيَّة في حلِّ مشكلة الطَّلبة في العُطلة، بمساعدة المدارس الخصوصيَّة التي تدرِّس في العُطلة، وأن تُنشئَ النَّواديَ الثقافيَّة والمكتبات في أمَّهات المدن، وتُهيِّئ رِحْلات للمتقدِّمين من الطَّلبة؛ للتعرُّف على مدُن المملكة وقُراها وأريافها، وكذا التوسُّع في إقامة الدَّورات الدِّراسيَّة والثَّقافيَّة، والألعاب الرِّياضيَّة ذات الصِّبغة الفروسيَّة، وأن تقومَ الوزارتان بالمُفاهمة مع الوزارات الأُخر والمؤسَّسات الحكوميَّة والأهليَّة بتوظيف عددٍ من الطَّلبة بمكافآت، وهم بذلك يكسِبون خبرةً في العمل ويَستفيدون مادِّيًّا، إنَّها فكرة أُهديها إلى المسؤولين في وزارة المعارف والشُّؤون الاجتماعيَّة، وعسى أن يكونَ فيها فائدة.

أجَل كرِّموهم[1]

كرِّموا هؤلاء الطَّلَبة المتفوِّقين في دراستهم، شجِّعوهم؛ فالتكريم والتشجيع هما الوَقود الذي يَمدُّهم بالعزيمة، والإقدام والمثابَرة، إنَّ المتفوِّق عندما يجد التَّقدير من الدَّولة، ممثَّلًا في جوائزَ رمزيَّة أو احتفالاتٍ أو كلمةٍ من مسؤول - فإنَّه يَشعُر بنشاطٍ وحيويَّة تَدفَعانه للعمَل والجدِّ، والسَّعي الحثيث لنَيل العلوم الكثيرة، وترقية مَداركه، ومُواصلة التَّفوُّق في جميع مراحل الدِّراسة.

والأمر كذلك بالنسبة للتشجيع الذي يَلقاه من مدرسته، وبين أساتذته وزُملائه، كلُّ هذه عواملُ تشحَذ الهمَّة وتحفِّز للمثابرة والاجتهاد، ثم نَيل الدَّرجات الرَّفيعة والعلوم التي تنفَع مجتمعَه، وتطوِّر بلادَه في شتَّى المجالات ومختلِف الميادين إذا وُجد التشجيع، ومن ثَمَّ يَحصُل التنافس المحبوب والتسابق المرغوب، في إدراك وهَضم المعلومات، وبالتَّالي تخريج عدد كبير قويٍّ في معلوماته واسعِ الثِّقة جيِّد الإدراك.

إنَّ ألوانًا من التشجيع؛ من كلمةٍ جميلة، وثناءٍ كريم، وجائزةٍ متواضعة تَفعل فِعلَها العجيبَ في نفسيَّة الطَّالب المتفوِّق، إنَّه يرى في ذلك تقديرًا لجهوده ومُثابرته، فيَشعر أنَّ عمَله وجِدَّه لم يَذهبا هباءً وأنَّ الدُّنيا بخير، ويتيقَّن أنَّ المحسوبيَّة والوصوليَّة والوسائل التي لا تتأتَّى عن طريق الكفاءة والثَّقافة لا قيمةَ لها ولا تؤثِّر في سَير الثَّقافة.

أمَّا إذا تجاهَل المجتمعُ - دولةً وشعبًا - جهودَ المتفوِّق وعملَ المُجدِّ،

---

(١) "البلاد" العدد (١١٧)، في ١٧/ ١١/ ١٣٧٨.

ولم يعبَأ به، ولم يَحظَ بالتشجيع والتكريم، فإنَّ هذا أقوى محطِّم لشخصيَّته ومُفتِّت لعزيمته، وأخطرُ سلاح فتَّاك لتمزيق آماله، وقد يحصُل عندَه تراجُع وفتور، وقد تنعكس الآثار السَّلبيَّة على نفسه، ويكون عندَه ردُّ فعل للجُحود الذي لقِيَه من المجتمع، فيصير مزعزَع الثِّقة بالناس وبنفسه، وقد ينمَّى عندَه الشُّعور بالرَّغبة في الانتقام، وتتَراكم عليه العُقد النفسيَّة، فتكون النَّتيجة خَطِرة.

فإذا ما أرَدنا إخراجَ جيل عامل قويِّ الشخصيَّة يعمل في جِدٍّ وإتقان، فإنَّ علينا أن نشجِّعَ المجدِّين ونشدَّ أَزرَهم إبَّان الدِّراسة وبعد التخرُّج، وأن يُكرَّموا ويُكافَؤوا؛ لأنَّهم جديرون بالتكريم، فهم عصاميُّون نالوا مجدَهم بالدَّرس والسَّهر والنَّصب، دون أن يرتكزوا على نفوذٍ أو يَعتمِدوا على حسَب أو جاه.

بمِثل ذلك يَزداد المُجدُّ رغبة، ويَنشَط الكسلان فيحاول اللَّحاق ويندَم، إنَّها كانت نظريَّةً آنذاك «من زرَع حصَد»، و«عند الامتحان يُكرَم المرء أو يُهان»... إلخ، فهو الآن يَفهمُها جيِّدًا بعد أن طبَّقها عمليًّا.

إنَّ البلاد في حاجة شديدة لجيل نشيط، مملوءٍ حيويَّةً وإخلاصًا وتفانيًا في خدمة المجتمع، مزوَّدٍ بالمعارف المتنوِّعة، والثَّقافات المركَّزة، فيَخدُم المجتمعَ الذي ينتمي إليه، والذي يشعُر نحوَه بالأُلفة والحبِّ المَكين، والترابط الوثيق حتَّى يعمل في ثقةٍ وعزم وتصميم؛ حتَّى يشعر بالمسؤوليَّة المناطة به، والأمانة المُلقاة على عاتقه.

مرَّةً أخرى: كرِّموا المتفوِّقين؛ فهم أهل التَّكريم.

الضَّرب في المدارس(١)

دَهِشتُ لما سمعتُ من تصرُّفات أحد المدرِّسين المنتدَبين في قسوته ووحشيَّته، وما يُعامِل به تلاميذَه الذين هم في عُمر الورود، وبَراعم في حاجةٍ إلى التَّوجيه الحكيم والرِّفق وحُسن المعاملة.

إلَّا أنَّ هذا الأستاذ الذي نُكِبوا به يُعاملهم بفَظاظة ويربِّيهم أسوأ تربية، ويضربهم بعنف، ويصرُخ فيهم بكلماتٍ محمومةٍ وألفاظ بذيئة، وحتى وصل به الأمرُ إلى ضربهم بالحذاء! هذا إلى خوضه في مجالاتٍ أبعدَ ما تكون عن أذهان الطُّلَّاب الصِّغار، وليست من مصلحتهم أبدًا.

إنِّي أعجَب من أن يظلَّ مثلُ هذا الشَّخص معلِّمًا ومربِّيًا، والأكثر عجبًا ألَّا يرحَّل إلى بلاده ويُقال له: عُد من حيثُ أتيت؛ فالبلاد بخير وليست في حاجةٍ لأمثالك!

إنَّه إذا كان الضَّرب في المدارس قد تدعو له ضرورةٌ فليس لكي تُعطى لهذا وأشباهِه حرِّيةُ التنفيس عن أحقاده في أطفالٍ أبرياء، إنَّ هذا ومَن على شاكلته يسبِّبون أكبر عائق في حبِّ المدرسة، وإقبال الطُّلَّاب على مَناهل العلم وارتياد مَرابعه.

إنَّنا نُريد من وزارة المَعارف أن تَكونَ على صِلةٍ بالمدارس، تمكِّنها من معرفة من يضرُّون بالعلم ويقفون حجرَ عثرةٍ في سبيل العِرفان والوعي، وألَّا تَسمح لهؤلاء بالاستِمرار في بثِّ شرِّهم وأذيَّتهم.

---

(١) "اليمامة" العدد (٤٤٤)، في ٣/ ٨/ ١٣٨٣.

إنَّ المدارس لا بدَّ لها من رقابة دقيقة، وعمل حازم؛ لكي لا تحصلَ المفاسد، ولئلَّا يجدَ المهرِّجون وذَوو المبادئ الهدَّامة مجالًا يرتَعون فيه.

وحتى لا يُصبِحوا نكبةً على فِلْذات الأكباد الذين ينتظرون من المدرسة العلم الصافيَ والتهذيبَ الجميل؛ لينشؤوا نشأةً كريمة فيها حبُّ الخير، والحنوُّ، وإشاعة الصَّفاء، والتَّزوُّد من العلم بالقدر المستطاع، وهذا ما تنتظره منهم أمَّتهم، لا أن يُنفِّروا من الثَّقافة، وتُبغَّض إليهم المدرسة، فيشِبُّون ناقمين على المجتمع يوَدُّون الانتقام منه، والتَّشفِّيَ على نهج مدرِّسهم؛ ليثأروا لأنفسهم جزاءَ ما ألحقَه بهم من ضرر وأذًى.

ورُبَّ قائلٍ يردُّ: ما شأنُك بالمدرِّس والمدرسة؛ فإنَّ عنها مسؤولين حريصين على مصلحتها؟!

فأُجيبه: ولكنَّ ذلك لا يعني عدم الاكتراث بالمدرسة والطُّلَّاب؛ فإنَّ أمرَها يهمُّ كلَّ واحد، والمسؤولون لا يستَغنون عن التَّعاون ولَفت النَّظر، ومسؤوليَّتهم أخطر مسؤولين، فهي لذلك لا بدَّ لها من تضافُر الجهود، واتِّحاد القوى للعمل سويًّا؛ لتكون النتائج مثمِرةً والبناءُ وطيدًا، والعمل إيجابيًّا.

حقَّق الله الآمال!

تطوير الصِّناعة والزِّراعة

أمران ضروريَّان[1]

هذه البلاد خطَت خُطواتٍ واسعةً في مجالات البناء والتَّعمير وفي مجالات عديدة.

ولكن الزَّمن الذي نعيش فيه عصر السُّرعة والصَّاروخ، فلم يعُد التَّأنِّي فيه - إزاء المشروعات الإصلاحيَّة - مُجديًا، وإنَّ من لا يُدرك هذه الحقيقةَ فسوف يفوتُه القطار ويبقى متحسِّرًا يَندُب حظَّه العاثر، ويندَم حيثُ لا ينفع النَّدم، وإنَّ بلادنا في حاجة إلى مشاريعَ كثيرةٍ؛ نظرًا لسَعة رُقعتها، ولاحتياجاتها، ولما أفاء الله عليها من ثروات هائلة من الذَّهب الأسود (الزَّيت) ومشتقَّاته، ومن المعادن المتنوِّعة سواء منها ما اكتُشف واستُفيد منه، أم ما بقيَ مطمورًا في جوف الأرض وفي جبالها ورمالها، وفي مياهها الجارية والمنخفِضة، التي تريد حفَّارات عميقةً لإخراجها متدفِّقة ثرَّة، ينتفع منها الحاضرُ والباد.

وفي غَمرة الاحتياجات والمشروعات يَبرُز جانبان هامَّان، بل هما ضروريَّان في الإسراع بهما، وإظهارهما عملًا جادًّا يُسابق الزَّمن والصَّاروخ:

أوَّلهما: الماء الذي به حياة الأُمم والشُّعوب، والبهائم والبساتين؛ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وبلادنا هي اليوم أشدُّ احتياجًا إلى الماء قبل أيِّ شيء آخر.

(١) "اليمامة" العدد (٣٤٥)، في ٨/ ٥/ ١٣٨٢.

وإذا ما ألقَينا نظرةً على بعض أنحاء المملكة، وجَدنا أنَّ مشكلة قلَّة المياه هي أكبر عقَبة تقف في طريق تقدُّم هذه البلاد وتطوُّرها.

ومَن ينظر لما وصلت إليه حال أهل سدير؛ مِن فَناء نخيلهم، وتهديد حياتهم من قلَّة المياه، وكذلك ما يُعانيه بعض سكَّان المملكة كالشعيب والمحمل والوشم... عرَف ذلك، كما أنَّ أهمَّ مشاكل البادية حاليًّا المياه، وأنَّ الضَّرورة تقضي بحفر آبار عميقة في كثير من أنحاء المملكة للبادية والحاضرة وأن يُسرَع في ذلك، وأن تُعبَّأ جهودُ الحكومة لإعطاء هذه النَّاحية قدرها من العناية، وألَّا يُوكلَ أمرُ تنفيذ هذه المشروعات لأُناس لا يَعبؤون بالمصلحة العامَّة كما حصل بالنِّسبة لمياه الرِّياض الجديدة، التي لها مدَّة تزيد على ثلاثة أشهر والأنابيب الضَّخمة تصبُّ لمدَّة عشرين ساعة في اليوم والليلة، ولكن في أراضي جرداء تبتلع الماء، وينتشر منها الضَّرر، وقد تكون بؤرةً للأمراض، هذا في الوقت الذي تُعاني فيه أجزاء من مدينة الرِّياض من قلَّة المياه، ومن الظَّمأ.

وهناك أمر آخر يأتي بعد المياه مباشرة، وهو تعبيد الطُّرق، ورَبط أجزاء المملكة بشبَكة من الطُّرق البرِّيَّة المسفلَتة ومن السِّكك الحديديَّة.

هاتان النَّاحيتان جديرٌ بأن تولَيا أكبرَ عناية وأن يُبادَر بتنفيذهما؛ فهما خطوةٌ لها شأنُها في رفع مستوى البلاد والنُّهوض بها، وإنَّ أيَّ تأخير في الإسراع بهما له نتائجُ ضارَّة بالنِّسبة لمستقبل البلاد اقتصاديًّا واجتماعيًّا.

واللهَ نرجو أن يوفِّقَ المسؤولين لما فيه خيرُ البلاد وازدهارُها.

عصر الذرَّة.. ولكن[1]

هذا العصر يسمَّى عصر السُّرعة، وتلك حقيقةٌ لا شكَّ فيها؛ فهو عصر الذَّرَّة والصَّاروخ والمخترَعات المدهِشة، ولكن رغمَ اعتراف الأُمم والشُّعوب والحكومات الحاضرة بذلك نُطقًا وبياناتٍ وعملًا وتنفيذًا، وتدعيمًا بالأرقام والمصانع والمزارع، والتَّسابق الهائل في نَيل أكبر قِسط ممكِن من الظَّفر بما يقوِّي البلاد، ويمكِّنها من المحافظة على استقلالها ورغَد أفرادها وحماية مصالحها وتعزيز كِيانها، على الرَّغم من أنَّ هذه حقيقةٌ معروفة لدى الكثيرين، فإنَّ واقع البعض يُغاير كلَّ ما يُقال عن مثل هذه الأشياء الخطيرة.

ومع أنَّ الوعيَ والإدراك لما يجري بعيدًا، أو ما يَحوط بالحِمى وما يَدور في وسَطه ينتشِر بسرعة مذهِلة، فإنَّ هناك من لا يحسُّ بهذا الواقع، أو هو يدركه ولكنَّه يتمادى في تجاهله، وما ذلك إلَّا غِشاوة الأنانيَّة المستولِية على نفسه، والمتحكِّمة في توجيهه حتَّى صار يرى الحقائق معكوسةً فتخبَّط في سَيره، وكان يَضرب ذاتَ اليمين وذات الشِّمال على غير بصيرةٍ كأنَّما به مَس.

وكانت النَّتيجة أن تَحالَف مع الخمول والتَّجمُّد بالنِّسبة للمجموعة الكريمة التي تُريد به خيرًا فيُريد لها شرًّا، وكان أن ضرَب الفقرُ أطنابَه بينها، وسارَت إلى الهاوية السَّحيقة هاوية الفَناء التي بدَت أكبرَ مميِّز وسِمَة واضحة تجسِّم بُؤسَها وآلامَها.

---

(١) "البلاد" العدد (؟)، في ٢٢/ ٨/ ١٣٨٢.

ولم تكن الصَّرَخات والهمَسات والعصر الذَّرِّي والتَّحذيرات المشفِقة؛ لتجد سبيلًا لقلوبٍ متحجِّرة قد أعماها حبُّ الذَّات والمطامع الشَّخصيَّة، واستسلمَت للشُّكوك والأوهام، ولم تُحاول أن تعملَ الأعمال المشرِّفة التي تَرفع قيمة صاحبها، وإنَّما ركونٌ للقَسوة، وإصرارٌ على تَكرار الخطأ، وتفضيلٌ للسَّير المعوجِّ على النَّهج الجليِّ النَّاصع، لم يَعترفوا بأنَّ أخطاءً قد وقعَت فعلًا، والواجب المبادَرةُ للقضاء على أسبابها، والسَّعيُ للخلاص من ورطتها ليتجنَّب نتائجها الوَخيمة.

ولم يُريدوا أن يَفهموا العلَّة والتشخيص والعلاج النَّاجع، ولم يكن بهم رغبةٌ للتفكير فيما حولهم وفيما يَجري من أحداثٍ ليست بالهيِّنة لتكون عبرةً بَليغة.

كان الأجدرُ بهم أن يَسألوا التَّاريخ؛ عسى أن يُقنعهم بجوابٍ صريح، أو يَستنطقوا الأحداثَ القريبة؛ لِيَروا بعيونهم وعقولهم، لا لِيَندفعوا وراءَ عواطفهم ويستَسلِموا لأهوائهم وشهَواتِهم، كان الأجدرُ التفكير السَّليم، ثم يشمِّرون عن سواعدهم للعمل في غير كَلَل ولا سآمة للتَّعويض عن خمول الماضي، وسخافات العادات، ومَهازل الهُتافات التَّافهة، واستبدالها بالأعمال المَجيدة التي تخلِّدهم في صفَحات التَّاريخ الوُضَّاء، فهل يتَّعظون ويُدركون ويثوبون لِرُشدهم؟ فذلك أجدَى وأبهى!

وزارة وآمال[1]

عندما تُغيَّر وزارة وتأتي وزارة فإنَّ النَّاس يتطلَّعون إلى أعمال الوزارة الجديدة، ويُبدون آمالَهم التي يتمنَّون تحقيقها عن طريق أولئك الوزراء، وهم طبعًا لا يهمُّهم في قليلٍ أو كثير شكلُ الوزير وهيئتُه، وأصلُه وفرعه، ولكنَّهم يبحثون عن إخلاص الوزير ونَشاطه، وهل له ماضٍ مَجيد في الإنتاج والعمل المفيد والرَّغبة في خدمة الصَّالح العام؟

الكفاءة إذًا للنُّهوض بالعمل المنوط به هي ما يبحث عنه المواطنون، ويستبشرون بتحقيقه.

ونحن في الوقت الذي نهنِّئ فيه الوزراء الجدد بثقة جلالة الملك ووليِّ عهده فيهم، لا نكتُم شعورَنا إزاء خطر المهمَّة الجسيمة التي أُلقيَت على عاتقهم، ونأمُل أن يوفَّقوا للنُّهوض بها وأن يُسدَّدوا في أداء هذه المسؤوليَّة الكبيرة.

وإنَّ المواطنين ينتظرون بفارغ الصبر تحقيقَ المطالب التي يطمَعون أن تتمَّ على أيدي حكومة جلالة الملك في المجالات الصِّناعيَّة والزِّراعيَّة والمواصلات والثَّقافة والدِّفاع والشُّؤون الاجتماعيَّة.

وبلادنا غنيَّة - بحمد الله - بثرواتها الهائلة من الزَّيت والحديد وأصناف المعادن، وفيها الأراضي الخِصبة التي تنتج أطيب الثِّمار، وفيها النَّخيل الوفيرة، وفيها الخُضَر والفواكه والحبوب والعسل والقُطن، وفيها الغابات

---

(١) "اليمامة" العدد (٣٥٠)، في ١٤/ ٦/ ١٣٨٢.

والمصائف، وهي لن تحتاج إلَّا إلى عمل جادٍّ وشعور بالمسؤوليَّة؛ لِتُؤتيَ أُكلَها طيِّبًا شاملًا.

ومع ذلك، فإنَّ نقصًا كبيرًا في هذه المجالات لا تزال تعاني منه البلاد؛ فالإنتاج ضئيل ما عدا حقولَ البترول، والزِّراعة في ركود، والصِّناعة متخلِّفة، والبلاد تستورد معظمَ حاجيَّاتها من الخارج في المَطعَم والمَلبَس والكماليَّات.

وهذا التَّخلُّف يمكن دفعُه بالعزيمة الوثَّابة والتعاون المثمِر؛ لنعوِّضَ ما فات من ركود وتأخُّر.

والنَّاس ينتظرون من الوزارة الجديدة أن تنهضَ بالزِّراعة، وأن تستوردَ الحفَّارات العميقة، وأن تُساعدَ الفلَّاحين مساعدةً قيِّمة، وأن تُقيمَ مصرفًا يقدِّم القروض المجَّانيَّة للفلَّاحين، ويمدُّهم بآلات الزِّراعة والدِّراسة ورافعة الماء والبذور والأدوية المبيدة للحشرات وغيرها، ويريدون أن يرَوُا الصِّناعة وقد تطوَّرت، وانتُفع بالزَّيت ومشتقَّاته إلى أقصى حدٍّ، وأُنشئت معاملُ التَّكرير الكثيرة، وازدهرَتِ الصِّناعة بنوعيها الثَّقيلة والخفيفة؛ ليقاربوا الاكتفاء الذاتيَّ بدل أن يبقَوا عالةً على الخارج في صناعته وزراعته.

ويريدون أن يجِدوا الطُّرق الوَعِرة وقد عُبِّدت، ورُبطت البلاد بشبَكة من الطُّرق المسفلَتة والسِّكك الحديد، يريدون أن يرَوا الأموال تُصرَف في طرُقها الصَّحيحة بلا تبذير أو تقتير، ويريدون أن يرَوا التعليم في كلِّ صُقع من البلاد، التعليم النافع الذي يكون سلاحًا لنيل الحقوق والدِّفاع عن العقيدة، والذِّياد عن الوطن، ويأمُلون أن يرَوا الحالة الاجتماعيَّة وقد ارتقَت، وقد أُخذ بيد الفقير وأُعطيَ حقَّه ليعيش عِيشةً كريمةً لائقة.

ويطمَحون إلى أن يرَوا جيشهم قويًّا يحرس البلاد من الطَّامعين ومن كيد المعتدين الحانقين، مدعَّمًا بأسلحته الجوِّيَّة والبرِّيَّة والبحريَّة وكلِّ أنواع الأسلحة، حيث تقَرُّ به عين الصَّديق، ويَرهَبه العدوُّ.

يريدون استِتبابَ الأمن وأن يعيش النَّاس في وئام وهدوء، وأن تتحقَّق الآمال العظيمة التي يَرنون إليها، ويطمحون إلى أن تكونَ حقيقةً واقعة.

هذا بعض ما يرتَقِبه المواطنون من الوزارة الجديدة، وهي آمالٌ ستتحقَّق بإذن الله.

هل تنشئ الحكومة مصانع؟[1]

تَعِب الكاتبون، وضَجِر المُنادون بإقامة صِناعات تسدُّ احتياجات البلاد في جميع شؤونها، بحيث تَنال اكتفاءً ذاتيًّا بدلًا من أن تظلَّ سوقًا للاستيراد، ومهمَّتها الاستهلاك.

أمَّا الإنتاج والصِّناعات فشيءٌ لا وجود يُذكَر له.

ومع كلِّ النِّداءات والكتابات، فإنَّ المُثرين لم يُقدِموا على إنشاء الصِّناعات، وإنَّما اكتفَوا باستِغلال أموالهم في أشياءَ سريعة الرِّبح، وإن لم تَعُد على البلاد بفائدةٍ ذات بال.

ولَسنا ندري صحَّة ما يعلِّل به أصحابُ الأموال عن سبب عدم إقدامهم على التَّصنيع، إلَّا أنَّ فشل عدد من المشروعات الصِّناعيَّة التي قامت في البلاد على هيئة شركات أو لأفراد، يدعو إلى التَّفكير لإزالة العوائق التي في طريق نجاح تلك الصِّناعات، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ المُنافَسة الخارجيَّة لها دورٌ في ذلك.

ونَخلُص من هذه المقدِّمة، إلى ما نقترحه في هذه الكلمة من أن تَضطَلِع الحكومةُ بمهمَّة إقامة الصِّناعات المتنوِّعة، ما دام أنَّ أصحاب الأموال قد أحجَموا عن إقامتها، ولَسنا نعلم شيئًا يحول دون تحقيق ذلك.

وهذا لن يكلِّف الحكومةَ كثيرًا، إذا ما قِيس بما يُستورَد من الخارج، وما تَفقده البلادُ من ثرواتٍ عظيمة تَذهب إلى بُلدان خارجيَّة، فلا ينتفع بها

(١) "اليمامة" العدد (٤٠٢)، في ٤/ ٣/ ١٣٨٣.

الوطنُ ولا المُواطن.

ولا سيَّما هذه البلاد تحوي الموادَّ الأوليَّة المتنوِّعة، والخامات اللَّازمة للصِّناعات، وأنَّه إذا كان كثيرٌ من الدُّول تؤمِّم المصانع وتصادرها للخزينة العامَّة. ولا يحتاج الأمر إلى ضرب الأمثلة بالحكومات العربيَّة وغير العربيَّة التي أقدمَت على أمثال هذه الأشياء، وترى في ذلك انتصاراتٍ كبيرةً وتحقيقًا للعدالة لشعبها، فإنَّ تبنِّيَ الحكومة هنا لإنشاء المصانع هو شيء يحوي منافعَ امتلاك الدولة للمصانع، وفي نفس الوقت ليس فيه القَسر، والظُّلم الذي يصاحب التَّأميم والمُصادَرة في الأغلب.

إنَّها فرصة ذهبيَّة لكي تعمل الحكومة بهذه الفكرة وتُخرجها إلى حيِّز الوجود.

وإنِّي لست اختصاصيًّا في هذا الشأن، ولكنَّ معلوماتي العامَّة تجعلني أجزم بصواب هذا الرَّأي، وأرجو أن تجدَ الفكرةُ اهتمامًا عمليًّا، كما أرجو أن يُساهم ذَوو التَّخصُّص في الشُّؤون الاقتصاديَّة في إبداء رأيهم، وأن يقدِّموا الدِّراسات العميقةَ في هذا الموضوع، وأن يبحثوا بتجرُّد وصراحة وشعور بالمسؤوليَّة نحو أمَّتهم وبلادهم؛ حيث إنَّ الموضوع ليس يُهِمُّ شخصًا أو أشخاصًا، ولكنَّه يُهِمُّ أمَّة وشعبًا، فهل يفعلون؟!

أهل سُدَير مهدَّدون بالهلاك عطشًا[1]

قرأتُ في صحيفة "النَّدوة" العدد (٩٣١) بتاريخ ١٣٨١/٨/٢٢هـ الخبر التَّالي:

«انتدبَت مصلحة المياه في وزارة الزِّراعة المستر لو الخبيرَ الجيولوجيَّ في المياه، للسَّفر إلى المَجْمَعة وسُدَير؛ لدراسة مواقع سبع آبار، قرَّرت وزارة الزراعة حفرَها في تلك المناطق، وستكون من الآبار العميقة، وستُعلِن ذلك في مُناقَصة، وقد اعتمَد مجلسُ التَّخطيط الأعلى نفقات حفرِها من مُوازَنة التَّنمية الاقتصاديَّة، وستَبدأ في الحفر شركاتٌ كبيرةٌ بعد عيد الفِطر».

هذا هو الخبر كما جاء في صحيفة "النَّدوة"، وهو خبر سارٌّ ولا شكَّ! ولكن هل هذا الخبر يستحقُّ التَّعليق، أو هو كأيِّ خبر عاديٍّ، يملأ فراغًا من صحيفة، ويُهِمُّ الوزارةَ ذات الاختصاص فقط كبرهانٍ على نشاط المسؤولين فيها وحزمهم وعزمهم؟!

وأؤكِّد أنَّ هذا الخبر ذو أهمِّية قصوى، لا بالنِّسبة لمنطقة سُدَير وحدَها، بل بالنِّسبة للمملكة بكاملها؛ فإنَّ ازدهار أيِّ جزء من أجزائها هو ازدهارٌ لبقيَّة الأجزاء.

ومَن علم حالة أهل سُدَير وما يُعانونه من نُضوب المياه وكَساد الفِلاحة، وتلَف النَّخيل والمزارع، ومُشارفة أهل المنطقة على الموت ظمأً -

(١) "اليمامة" العدد (٣١١)، في ١٣٨١/٨/٢٩.

أدرَك ما يَعنيه الاهتمامُ بمياه الشُّرب في هذا الجزء من المملكة. والعجب ألَّا تجدَ هذه المأساةُ التي تتكرَّر كلَّ يوم أيَّ اكتراث من قِبَل المسؤولين في الزِّراعة، وألَّا يعملوا عملًا جدِّيًّا لحلِّها، سوى اللَّوذ بالصَّمت المطبِق، أو الوعود التي لا تُجدي، وإن تجاوَزَ الأمر فدراسةٌ تُدفَن في الأضابير المهملة!

إنَّه في الآونة الأخيرة قد قلَّت المياه أو نضَبَت في بعض المناطق؛ في سُدَير والوَشْم والشُّعَيب والمَحْمَل، وكثيرٌ من قُرى سدير يَشربون بواسطة (وايت) ينقُل لهم ما يبقى من الماء في القرى القليلة، وتصوَّروا ماذا تكون حالة هؤلاء الناس عندما يُصاب (الوايت) بخراب، أو عندما يمرَض السائق، أو ينفَد الزَّيت؟!

وقد تكون منطقة سُدَير أكثرَها خطرًا حتى وصلَت للحالة التي ذكَرنا، ومع ذلك فلم يعمل المسؤولون عن الزِّراعة والمياه أيَّ عمل إيجابي؛ ممَّا جعل أهلَها مهدَّدين بالهلاك والانقراض، ولا نقول هذا الكلام جُزافًا أو بدافع من عاطفة جامحة، وإنَّما هي الحقيقة المرَّة، نضعُها أمام المسؤولين في حكومتنا، وفَّقهم الله، ونقولها محذِّرين وناصحين.

ولقد راجَت إشاعاتٌ عن مسؤول في الزِّراعة، واشتَهرت أنَّه يرغب في تلاشي أهالي هذه المنطقة، وانتقال بقاياهم إلى مناطقَ أخرى في أقاصي المملكة!

ورغم التكذيب من المسؤول فإنَّ لسان الحال يشهَد بذلك، وإلَّا فما معنى هذا التَّلكُّؤ وهذا الصَّمَم؟ وبماذا نفسِّره؟ ومثل هذه الإشاعة كان من الواجب التَّحقيق فيها، وهي لو ثبَتت لكانت كافيةً في إدانة القائل.

وبعد؛ فقد بُحَّت الأصوات وأوشكَت الكارثة أن تقع، وأن ينالَ الأعداءُ مَرامَهم.

ونرجو أن يُولِيَها سموُّ الأمير فيصل نائب جلالة الملك ما تستحقُّه، وهو المعروف بحزمه وكياسته، وأن يأمرَ بالبدء في حفر آبار عميقة لإنقاذ العَطشى البائسين، أمَّا الدِّراسات والخبراء الذين نسمع عنهم بين حين وآخر من قِبَل تلك الوزارة، فقد أصبحَت لا تَعني كثيرًا بالنسبة لمن مسَّهم الضُّر.

إنَّني أقولها كلمةً واضحة، وأوجِّهها لوليِّ العهد الذي نؤمِّل فيه خيرًا، واللهَ نسالُ أن يعينَه ويسدِّد خُطاه.

المقاولون والمشاريع[١]

طال الحديث وتكرَّر عن المقاولين الذين تَرسو عليهم مُناقَصة المشاريع، وتشعَّبَت نواحي الحديث وأساليبُه وتفسيراتُه.

وهناك ناحيةٌ تأخذ بنصيبٍ وافر من اهتمام الجمهور وإلحاحه في السُّؤال وطلب الإيضاح، وقد لا يحظى بجوابٍ مُقنِع؛ فبعض الذين تَرسو عليهم المقاولات يجمِّدون الأعمال المسنَدة إليهم؛ فمنهم من يريد أن يظلَّ المقاولَ الوحيد، وربَّما خفَّض في القيمة؛ لأنَّه سوف لا يُجيد العمل، وحتى يفوِّت الفرصة على المنافسين، ومنهم من يدخل في المناقصة ويتعهَّد بالعمل السَّريع وبمدَّة محدودة، ولكنَّه يعطِّل المشروعات ويدَعُها هَملًا.

وقد آنَ للحكومة في عهدها الجديد أن تقفَ من أولئك المقاولين موقفًا حازمًا، يُلزمهم بإتقان العمل، والوفاء بالالتزامات والسُّرعة في الإنجاز، ويُحاسَب المقصِّر على تقصيره، والمهمِل على إفراطه.

وليُنظَر لحال المقاول، وهل يمكنُه الوفاء بما التزمَه فيُسمح له بالاشتراك في دخول المناقَصة، أو أنَّه يعجِز عن القيام بما يتطلَّبه المشروع فلا يُسمح له حينئذٍ بالمشاركة.

إنَّ هناك من تعهَّدوا بإصلاح طرُق، فظهَر أنَّهم لم يوفُّوا بالشُّروط والمواصَفات، وهناك مَن قام بعمل سدودٍ فلم يحتَط لعمَلها.

وهناك من رسَت عليه مقاولةُ حفر آبار لإرواء العَطشى، وكانت حالتُهم

(١) "اليمامة" العدد (٣٥٤)، في ١٢/ ٧/ ١٣٨٢.

تستدعي الفوريَّة والسُّرعة الحثيثة، ولكنَّه لم يعبَأ بهم ولم يقُم بتعهُّداته. ومشروع الإذاعة الذي كان من المفروض أنَّه قد انتهى من عمَله منذ سنوات لا يَزال كما هو!

فبِماذا نفسِّر هذه الأعمال؟ إلَّا أنَّها عدم شعور بالمسؤوليَّة من المقاولين، واعتمادًا منهم على أنَّهم لن يُطالوا بالجزاء، واستِهتار بالحقوق. إنَّ التَّسامح لا يَنبغي أن يكونَ على حساب المصلحة العامَّة، ولا أن يُجامَلَ من يقف حجرَ عثرةٍ في تطوُّر البلاد ورفع شأنها، ولا أن يَرضى أشخاصٌ ويسخطَ شعبٌ بأكمله.

وإذا كانت بعضُ الظُّروف قد دعَت للتَّساهل مع هؤلاء في وقتٍ ما، فإنَّ الأمل كبير بأنَّ مجلس الوزراء الموقَّر سوف يُولِي هذه النَّاحية عنايةً واهتمامًا، وسوف لا يدَع هؤلاء المتهاونين وشأنَهم.

ولقد قرأتُ أخيرًا في إحدى الصُّحف أنَّ معالي وزير الزِّراعة قد أنذَر المقاول الذي رسَت عليه مُناقَصة حفر آبار عميقةٍ في إحدى المدن، بأنَّه إذا لم يبدأ العمل خلال أيَّام قريبة فسوف يَسحب منه العطاء، وقد سرَّني هذا النَّبأ، وأدرَكت أنَّ عهدًا جديدًا إزاء المقاولين المهمِلين قد بدأ.

وبعد؛ فليَعلم أولئك المقاولون أنَّهم إن لم يكونوا أُمناء على حقوق الأمَّة وقائمين بالتزاماتهم بصورة صحيحة، فإنَّ الجاه والمحسوبيَّة والطُّرق المعوجَّة لن تجديَهم نفعًا، وليَعلموا أنَّ من الأنفع لهم وفاءَهم بتعهُّداتهم، وأداء الأمانات التي وُكِلت إليهم، وعند ذلك سيَجدون التكريم والتشجيع.

أمَّا إن ظنُّوا أنَّ لهم الغُنمَ وعلى غيرهم الغُرمَ فليَثِقوا أنَّهم واهمون، ومرَّة أخرى إنَّ الأمل كبير في أنَّ المجلس الموقَّر سوف يولي هذه النَّاحية ما هي به جديرة.

من الذي يُعرقل الإنتاج؟[1]

قيل لي: إنَّ لدى قسم التَّفتيش والأراضي بوزارة الزِّراعة طلباتٍ تَربو على عشَرة آلاف طلب، وإنَّ هذه المعروضات مكدَّسة لا أمل في إخراجها إلى حيِّز الوجود، أو تلبية رغبة أصحابها الذين يحوِّلون الأراضيَ الجرداء إلى حدائقَ غنَّاء وبساتينَ ذاتِ ثمار جنيَّة وزهور شذيَّة، وليعيشوا من ورائها عَيشًا كريمًا هم ومَن يعولُون.

وتساءلتُ: لماذا لا يُعطى هؤلاء قطعًا من الأراضي الشَّاسعة، ويساعَدون على هذه الهمَّة العالية والرَّغبة الشَّريفة؟ وجاء الجواب أنَّ مكتب التفتيش والأراضي بوزارة الزِّراعة يعتذر بعدم وجود مَسَّاحين ومهندسين!

وتستبدُّ الحَيرة مرَّة أخرى، ولا يجد المرء جوابًا مقنِعًا، وإنَّما يزداد بلبلةً وتشتدُّ به الهواجس والخواطر؛ ما الهدف من هذا التَّجميد؟ ومن الذي يريد عرقلةَ هذه الطَّلبات العادلة التي لا ضرر فيها ولا خسارةَ على أحد، وإنَّما هي قُوًى عاملةٌ بنَّاءة تريد إنعاش اقتصاد، وازدهارَ بلاد، وتقويةَ أمَّة؟

لُغزٌ محيِّر، لا أعرف حلَّه ولم أستطع الوصول إلى مُغلقه، وإن كنتُ واثقًا أنَّ الحكومة سوف لا ترضى بهذا الوضع الذي ربَّما كان لبعض الخبراء الأجانب يدٌ فيه.

وبهذه المناسبة، فإنَّ قرار مجلس الوزراء رقم (٦٨٨) تاريخ ٢٥/ ١١/ ١٣٨٠هـ الذي صدر بأن تَمنَح وزارة الزِّراعة طالبي الأراضي الزِّراعيَّة

(١) "اليمامة" العدد (٤٣٨)، في ١٢/ ٧/ ١٣٨٣.

الأراضي، وأنَّه لا بدَّ من موافقتها على الأراضي الزِّراعيَّة التي يُراد استثمارها من المَوات - قد يسيء بعضُ النَّاس فَهمَه، ويعرقِل النَّهضة الزِّراعيَّة؛ لعدم استيعابه لمقاصده، والحكومة قد قصَدت من ذلك القرار ألَّا يستوليَ أحدٌ على أرض غيره وتقوم المُشاحَنات لذلك السَّبب، ولم تُرد أن تعطِّل المشاريع الزِّراعيَّة، وتطوير الفِلاحة والاكتفاء الذاتي من المنتوجات.

على أنِّي أرى أنَّه ينبغي أن تعيدَ الدَّولة النَّظر في ذلك القرار، وقد جاء في الشَّريعة الإسلاميَّة: إنَّ من أحيا أرضًا ميِّتةً فهي له، فأرى أن يُسمحَ لمن يريد إحياءَ أرضٍ بدون الرُّجوع إلى الحكومة أو مَندوبيها، وإن اعتدى أحدٌ على أرض غيره فالشَّرع كفيلٌ بإعادة الأرض لأصحابها، و«ليس لعِرقٍ ظالم حقٌّ»؛ كما ورَد في الحديث، وإذا كان الأصل في الشَّرع الإباحةَ فلا وجه للتَّقييد، لا سيَّما وقد أثبتَت التَّجرِبة أنَّ ترك ذلك على إطلاقه هو الذي يحقِّق المصلحة العامَّة، ويَزيد من الإنتاج، ويعطي الرَّاغب في الزِّراعة والغِراس قوَّة في الإقدام على ذلك.

يضاف لذلك أنَّ أغلب الفلَّاحين أمِّيُّون، يجهلون الأسلوب الرُّوتينيَّ وسَير المعاملات في الدَّوائر الرسميَّة؛ لذلك يصعب عليهم التقدُّم بالطَّلبات، ويشقُّ عليهم مُلاحَقة طلباتهم والدَّوران معها، وانتظار الخبير والمهندس والمسَّاح، وأشكالهم من متعدِّدي النُّعوت والألقاب.

ويَنتج عن هذا تعطيلُ طاقاتٍ حيويَّة وثرواتٍ عظيمة، وتركُها في عالم الإهمال والنِّسيان، في الوقت الذي تكون فيه البلاد أحوجَ شيء إلى هذه السَّواعد والطاقات والثَّروات المعطَّلة.

وفَّق الله وسدَّد الخُطى.

هل تكون البلاد صناعيَّة؟[1]

ثلاثةٌ وسبعون مليونًا من الرِّيالات من أجل بناء المراحل الأولى من مصنع الحديد والصُّلب، ولتغطية قيمة حصَّة الحكومة البالغة ٧٥٪ من مصنع تكرير البترول، وستكون الطَّاقة الإنتاجيَّة للمرحلة الأولى لمصنع الحديد والصُّلب ٤٥ ألف طُنٍّ سنويًّا قابلة للزِّيادة إلى ٦٠ ألف طُنٍّ سنويًّا، وينتج القضبان الحديديَّة، والزَّوايا والأسلاك والحديد المبسَّط وما شابه ذلك.

كان مجلس الوزراء قد وافقَ في جلسته المنعقدة في ١٢/ ٩/ ١٣٨٣ على رصد مبلغ ٧٣,٢٦٨,٧٥٠ ريالًا لهذه الأغراض، ولا شكَّ أنَّ هذا النَّبأ يبشِّر بمستقبل صناعيٍّ لهذه البلاد ينقُلها من حالة الاستهلاك والاستيراد لعُود الثِّقاب والإبرة والدبُّوس فضلًا عن السيَّارات والطَّائرات، إلى حالة الإنتاج الصِّناعيِّ وتشييد المصانع؛ لتكون في البلاد قوَّةٌ صناعيَّة ثقيلة وخفيفة، فلا تَبقى متخلِّفةً راكدةً تُموِّن بموادِّها الخام مصانعَ الغرب؛ ليرُدَّها إلينا مصنوعةً يَستنزف بها ثرواتِ البلاد وعُملتها الصَّعبة، وكان قد أخذَها خامًا بأرخص السِّعر وأقلِّه.

لقد نادى الغَيورون على مصالح البلاد بإقامة الصِّناعات المختلفة التي يَزدهر بواسطتها اقتصادُ البلاد وتتطوَّر نهضتها، ولتجاري الأممَ المتفوِّقة صناعيًّا واقتصاديًّا، وهذه البلاد تحوي من الخيرات الكثيرة والموادِّ الخام والأيدي العاملة ما يهيِّئها لمستقبل صناعيٍّ عظيم.

وها هي تباشيرُ الصِّناعة تَلوح بعد أن مضَت سنواتٌ طوال كان ينبغي

(١) "اليمامة" العدد (٤٥٧)، في ٢٠/ ٩/ ١٣٨٣.

فيها أن تنشأ صناعاتٌ كثيرة، وألَّا تكون حالة البلاد على ما هي عليه من تخلُّف صناعيٍّ فظيع.

إنَّنا نترقَّب مع سائر المواطنين اليوم الذي يتصاعد فيه دُخان المصانع، وتكتفي البلاد ذاتيًّا بصناعاتها؛ فلا تكون عُرضةً للجَذْب في المصنوعات، وشلِّ الحركة الاقتصاديَّة نتيجةً للأزمات الدَّوليَّة التي تقعُ هنا وهناك، بقي أن نترقَّبَ النَّهضة الصِّناعيَّة بسرعة، والعصر عصر الصَّاروخ والذَّرَّة لا ينتظر المتأنِّيَ والمسوِّف، ولكنَّه يريد العمل السَّريع النَّافع.

وإلى مصانعَ كثيرة وصناعاتٍ أكثر!

النَّهضة التي نترقَّبها[1]

إنَّنا اليوم نُجابه أخطارًا كثيرة سياسيَّة وعقائديَّة، كما نُجابه التكتُّلات العسكريَّة والاقتصاديَّة.

ومن واجبنا أن نعملَ لدرء الخطر كلَّ ما نُطيقه؛ فالدُّول اليوم تتسابق في صُنع الصَّواريخ والأسلحة الذَّرِّية والهيدروجينيَّة، إنَّها تَركُض في ميدان السِّباق، أمَّا إلى أين؟ فهذا ما لا تسأل عنه فيما يبدو! إنَّها نشوة الظَّفَر ولذَّة الإعجاب، أمَّا ما ينجُم عن الاختراع وما يسمُّونه بالتقدُّم العلميِّ فلا يُهِم.

وهذه الحرب الباردة التي جاءت على أثر الحرب العالميَّة الثَّانية قد اكتوى بِلَظاها الكثيرُ من النَّاس، فكان القلق والهلع، ولم يَعُد أحدٌ يثق في أولئك القادة والحاكمين الذين لا يَفتؤون يُجرون المناورات، ولم يَعُد الناس متأكِّدين من أنَّ أحدًا من هؤلاء الحكَّام سيسيطر على أعصابه فلا يُفلِت منه الزِّمامُ في نزوةٍ طائشة تجرُّ الكوارث والبلاوي على العالَم أجمع.

لذا كان الاستعدادُ والعناية بالصِّناعة والزِّراعة والتِّجارة والمواصَلات والتَّعليم وغيرها من دعائم التطوُّر شعارَ كلِّ دولة حسَب إمكانياتها، اللَّهم إلَّا النَّزر اليسير من الدُّول التي لا تزال متخلِّفة، ونعيش نحن وسطَ هذا العالم الصَّاخب المليء بالتقلُّبات والتطوُّرات.

ومن واجبنا أن نعملَ للنُّهوض بالصِّناعة والزِّراعة؛ لمحاولة الاكتفاء الذَّاتيِّ إلى جانب النُّهوض بكلِّ ما هو صالح مفيد، والأخذ من الحضارة

---

(١) "اليمامة" العدد (٣٢٣)، في ١٣٨١/١١/٢٥.

التي وصلَت إلى كلِّ شبر من الأرض بما يتلاءم ومعتقداتنا وتاريخنا وواقعنا.

ونحن في حاجةٍ إلى التعاون الوثيق بين الحكومة والشَّعب، وبين صاحب رأس المال والعامل وبين مختلِف القطاعات، هذا إذا أرَدنا أن نحقِّقَ لبلدنا وأمَّتنا نهضةً قويَّة.

إنَّنا إذا لم نتصرَّف ونحن في سعَة للعمل والتَّفكير، فقد تأتي اللَّحظة التي قد نخسَر فيها الكثيرَ ونتأسَّف على ما فرَط.

ونحن بحمد الله لنا من ديننا ما يُغنينا عن أيِّ مبدأ مستورَد أو مذهبٍ وافد، ولنا من تاريخنا ما يحفِّزنا للعمل الهادف الصَّائب، ولنا من ثروتنا الزَّيتيَّة والمعدِنيَّة والمائيَّة ومن أرضنا الخِصبة، ما لو أُحسِن استغلاله واستثماره لصالح المجموع والنُّهوض العاجل الجادِّ لكُنَّا في مصافِّ الأمم القويَّة المرهوبة!

نعم إنَّنا نسير، ولكن لا ينبغي لنا أن نقنَعَ بالسَّير، وإنَّما نريد أن نَركُض لِنُجاريَ العالم الرَّاكض، نريد أن نحُثَّ الخطى على بصيرة لئلَّا يفوتَنا القطار، متعاوِنين متكاتفين، كلٌّ يقوم بدوره. نريد أن نتصرَّفَ بتعقُّل في الأموال فلا نُبعثِرها ذات اليمين وذات اليسار فيما لا نفعَ فيه، أو فيما هو ضررٌ محض، لا نحبُّ أن تُكدَّسَ الأموال وتعطَّل المشاريع، ولا أن نهرِّب رؤوس الأموال إلى البُلدان الأخرى بينما نَحرِم منها البُلدانَ التي أنتجَتها.

ومن ثَمَّ نريد عملًا، وإخلاصًا وتعاونًا، إذا ما أرَدنا درءَ الأخطار الشرِّيرة التي تجتاح أنحاءً عديدةً من العالم، وتوشك أن تُشعِلَ نيرانها بهمجيَّة مدمِّرة؛ لتلتهم الرَّطب واليابس، واللهَ نسأل أن يهيِّئ لنا من أمرنا رشَدًا.

الصِّناعة والزِّراعة(١)

في خضمِّ هذا العالَم الصَّاخب الذي يتسابق إلى النَّهضة الصِّناعيَّة في شتَّى صُورِها وألوانها، والذي يُسرع بخطًى حثيثة للاكتشافات الهائلة، فإنَّ أيَّة أمَّة تريد أن تنهضَ فلا بدَّ لها من العمل الجدِّي السَّريع؛ لتعوِّض ما فاتها من تخلُّف اقتصاديٍّ وصناعيٍّ وزراعي.

وبلادنا وفيرةُ الخيرات، غنيَّة بموادِّها الأوَّليَّة وثرواتها المطمورة؛ ففيها الزَّيت الذي يتدفَّق بغزارة ويندفع بقوَّة ويصبُّ في الأنابيب كالأنهار الجارية ليلَ نهار؛ لتُشحَن منه البواخر الضَّخمة التي تجوب بحارَ العالم؛ لتفيضَ من خيراتها على البُلدان الفقيرة في هذه المادَّة.

ولدَينا معادنُ الذَّهب والحديد والنُّحاس وأصناف المعادن الأخرى والتي يعرفها الجيولوجيُّون جيِّدًا، وهنا في هذه الجزيرة الغنيَّة الخَصبة: النَّخيل والزُّروع والبساتين، وفي الأحساء والأفلاج والقصيم العيونُ المتدفِّقة والمياه الكثيرة، ولن يستطيع المرءُ الحصرَ أو التَّعداد في هذه المجالات.

ومع ذلك، فلا نسبةَ بين ما تحويه أرضُنا من خِصب ورخاءٍ ومَعادن، وما وصَلنا إليه من تقدُّم صناعيٍّ وزراعي.

وإنَّ الحَيرة لتستولي على المرء عندما يرى هذا التخلُّف الصِّناعيَّ والزِّراعي.

وإنَّه بشيءٍ من حُسن التصرُّف من جانب الأثرياء والمسؤولين عن

(١) "اليمامة" العدد (٣٣٠)، في ٢٢/ ١/ ١٣٨٢.

الصِّناعة والزِّراعة، يمكن أن ينقلبَ التخلُّف إلى تطوُّر والتأخُّر إلى نهوض، حتَّى نصلَ إلى درجة الاكتفاء الذَّاتي، أو ما يُقارب من الاكتفاء. ومن العجَب أن نستوردَ ما لا حاجةَ لنا فيه؛ من كماليَّات ومنتوجات لها نظائرُ هنا وأجوَدُ ممَّا يُستورَد، وما فَتِئنا نَسير على هذا النَّهج الذي لا يمكن معه أن تنهضَ الصِّناعة والزِّراعة.

فإذا ما أَرَدنا التطوُّر الصِّناعيَّ والزِّراعيَّ فلا بدَّ من تقليل الاستيراد ومؤازرة الفلَّاحين، وفتح مصارِفَ تعطي قروضًا مجَّانيَّة، واستيراد كمِّيات من آلات استنباط المياه وآلات الذِّراية والدِّراسة وغيرها، وبيعها للفلَّاحين بأسعار مقسَّطة، ووقف استيراد الحبوب الهنديَّة والفواكه والخَضراوات من البُلدان الأخرى.

وبدلًا من تشجيع الاستيراد وإعطاء المستورِدين مساعداتٍ ومعاوَنات، فينبغي أن تُصرَف هذه المعونات للفلَّاحين ومنشئي الصِّناعات الجديدة.

كما أنَّه لا بدَّ للتطوُّر من تعبيد الطُّرق بأقصى سرعة ممكنة؛ حتى ترتبطَ جميعُ أجزاء المملكة بطرق مسفلَتة، وإنَّا لنستغرب أن تتوقَّفَ سفلتة الطُّرق التي كان من المقرَّر تعبيدُها بحجَّة أنَّ بعض النَّاس طالب بمرور الطَّريق على قريته! إنَّ مثل هذا الطَّلب لا ينبغي أن يكونَ حائلًا دون العمل الجادِّ في تعبيد الطُّرق، وإذا ما روعي فيها المصلحة العامَّة، فإنَّ طلب البعض بمرور الطَّريق عليه لا يصحُّ أن يكون سببًا في تأجيل التنفيذ، وإنَّ الدَّخل الكبير للبلاد يكفي إذا ما وُجِّه لأمثال هذه النواحي أن ينهض بالصِّناعة والزِّراعة في سرعة وقوَّة، إذا توافر الإخلاص والعزيمة المضَّاءة.

وإنَّنا في عصر سِباق وصِراع، فإذا لم يكن الإسراع في العمل المثمر

فإنَّا سنقف مبهوتين، وسيبقى حظُّنا من النَّهضة الصِّناعيَّة (التَّفرُّج) والأسف، أمَّا الأثرياء في هذه البلاد فإنَّهم لم يؤدُّوا واجبَهم إزاء النَّهضة الصِّناعيَّة والزِّراعيَّة التي تُؤمِّلها الأمَّة منهم، وليس لهم في ذلك عذرٌ مقبول.

والقلَّة منهم هي التي عَمِلت في المجالات النَّافعة والأعمال النَّاهضة، وإنَّ من مصلحتهم أن يَعرفوا دورَهم فيقوموا به.

وعلى كلٍّ، فإنَّ ما مضى ينبغي أن نجعلَه عبرة، وأن نتَلافى ذلك الغلط ونعمل حكومةً وأثرياء ومفكِّرين في المجالات النَّافعة التي تنهض بالبلاد في شتَّى مجالاتها وجميع طرقها المفيدة، وأن تُبذَل الأموال بسخاءٍ لهذه الغايات.

أمَّا إنفاق الأموال في الكماليَّات والإسراف، وإعطاؤها أناسًا بلا مقابل يؤدُّونه للأمَّة، والتفاخر في المظاهر، فهذا ما لا يليق أن يَرضى به راغبٌ في ازدهار بلاده ورِفعة أمَّته.

الاستيراد والإنتاج[1]

نستطيع أن نقول: إنَّ بلادنا لا تَزال مستهلِكة ومستورِدة، وأيُّ نظرة يُلقيها الإنسانُ على ما يأكل وما يلبَس وما يَستعمله من الأدوات، من صغير وكبير - يجد الحقيقةَ المُرَّة، فإلى متى سنظلُّ هكذا؟ إنَّ الأمل كبير في أنَّ الحكومة والأثرياء سيعملون جنبًا إلى جنب في إيجاد صناعات تسدُّ احتياجات البلاد أو أغلبها.

ولدينا من الإمكانيَّات الوفيرة ما يسهِّل لعمل صناعيٍّ قويٍّ في وقت سريع، فهنا الزَّيت ومشتقَّاته وأصناف المعادن الجيِّدة وغيرها.

أمَلنا كبير أنَّ الزِّراعة ستُطوَّر، ويُنظر إليها نظرة عامَّة مجدَّة؛ لتصبح البلادُ مكتفيةً بإنتاجها الزِّراعيِّ مستغنيةً عن الاستيراد، ومن العجَب أن يُفتح الباب على مِصراعَيه لاستيراد الخَضراوات والفواكه وكلِّ شيء، مع أنَّه كان من الممكن الاستغناءُ عن كثير ممَّا يُستورَد، وتشجيع المُزارع ليزيدَ في كمِّية إنتاجه ويتَّخذ الوسائل ليكون ما ينتجه جيِّدًا.

وإذا كان الثَّريُّ يتعلَّل عن الإقدام على إنشاء المَصانع بِمُزاحَمة الصِّناعات الأجنبيَّة، فإنَّا نجزم أنَّ الحكومة سوف تذلِّل العقبات التي تقف في طريق المستثمر بوسائلَ لا تجعل مِن صاحب المصنع متحكِّمًا في المستهلك ومحتكرًا، وإنَّما بالتَّقليل من المستورَد، والاستغناء عن بعض المستورَدات نهائيًّا.

(١) "اليمامة" العدد (٣٥٥)، في ١٩/ ٧/ ١٣٨٣.

وعند هذا، سوف لا يكون للثَّريِّ عذرٌ في التأخير عن استثمار أمواله في النُّهوض ببلده صناعيًّا وزراعيًّا.

ولا نحسَب بعد هذا أنَّ الثَّريَّ سوف يَرضى بالرِّبح السَّريع ويتخلَّى عن مسؤوليَّته إزاءَ النُّهوض ببلده، ومحاولته الاكتفاءَ الذَّاتي.

وإنَّ العالم الذي يَسير بخطًى حثيثةٍ في نهضته الصِّناعيَّة والزِّراعيَّة، وما تتطلَّع إليه بلادنا من نهضة كُبرى، كلُّ أولئك جديرةٌ بأن تجعلَ الأثرياء متعاونين مع الحكومة على إنشاء الصِّناعات الخفيفة والثَّقيلة، والسَّعي إلى الاكتفاء الذاتي.

وما نشهَده في العالم من صراع وحربٍ باردة وحروب ساخنة، حريٌّ بنا أن نَعمَل جاهدين على رفع مستوى النَّهضة الصِّناعيَّة والزِّراعيَّة في وقت عاجل ودون إبطاء، وغنيٌّ عن القول خطورةُ الوضع فيما لو قامت حربٌ عالميَّة بالنِّسبة لبلادنا.

إنَّ مجرَّد تصوُّر هذا يكفي لأن يَعملَ كلُّ ذي ضمير حيٍّ يملك الوسيلةَ لدفع مستوى الصِّناعة والزِّراعة وتطويرهما.

وبعد، فإنَّا متفائلون بأنَّ هذه النواحيَ وأمثالها ممَّا هو نافع ومثمِر سيتحقَّق قريبًا بإذن الله.

بنك التَّسليف الزِّراعي[1]

«في تصريحٍ لوزير الزِّراعة منذ أيَّام: إنَّ بنك التَّسليف الزِّراعيَّ سيَبدأ أعماله قريبًا، ومن المنتظَر افتتاحُ البنك خلال أشهُر».

وهذا الخبَر جدير بالتَّعليق؛ فمن المعلوم أنَّ بنك التَّسليف الزِّراعيَّ أمنيَّة يترقَّبها الفلَّاحون بفارغ الصبر، ويَنتظِرون اليوم الذي يَبرُز فيه إلى حيِّز الوجود. صحيحٌ أنَّه صدَر به مرسومٌ منذ أشهُر، وأوضح بعض أهداف هذا البنك، وأنَّ رأس ماله **٣٠** مليون ريال، وأنَّ مركزه الرَّئيسي في الرِّياض، وسيُنشَأ له فروعٌ بحسَب الحاجة إليها في بعض المناطق، وتفاصيل أخرى.

ومع هذا، فإنَّ النَّاس لم يَعرفوا عن هذا البنك كثيرًا، ولم يَعرفوا اليوم الذي يَبرُز فيه حقيقةً نافذة، أمَّا بعد تصريح وزير الزِّراعة فإنَّ الأمل قد تجدَّد، وقد أحسستُ عند قراءة الخبر - كأيِّ مواطن - أنَّ الفلَّاح في هذه المملكة الواسعة مقبلٌ على انتعاش وإنهاضٍ له من كَبوته، وتحريره من الدُّيون المتراكمة عليه، والحالة التي يُعاينها نتيجةً لأسباب كثيرة، منها غَور المياه، وانخفاض سِعر المحاصيل الزِّراعيَّة بسبب المنافسة الخارجيَّة، ووُعورة الطُّرق.

وغيرُ خافٍ ما يُلاقيه الفلَّاح من مشاكلَ وما يَعترِض طريقَه من عقَبات، وفي مقدِّمتها: ارتفاعُ أثمانِ حاجيَّاته من الآلات وغيرها، وإنَّ إنشاء بنك زراعيٍّ يُقرض الفلَّاح مجَّانًا، ويساعده على مواصلة كفاحه لتحسين حالة الزِّراعة وتطويرها - لَهُو خطوةٌ قويَّة نحو الاكتفاء الذَّاتيِّ في الأغذية

(١) "اليمامة" العدد (٤٠٥)، في ١٥/ ٣/ ١٣٨٣.

والخضار والفاكهة.

ولا نشكُّ أنَّ الدَّولة التي هيَّأت بنك التَّسليف الزِّراعيَّ للفلَّاح سوف تحلُّ مشاكله الأخرى ولا سيَّما المنافسة الخارجيَّة.

وستسعى لاستصلاح الأراضي البُور، وستبذل الكثير في تنفيذ المشروعات الزِّراعيَّة الهامَّة؛ كزراعة الأرُز والسُّكَّر والقُطن، والعناية بأشجار الزَّيتون الموجودة بكثرةٍ في بعض أنحاء المملكة.

إنَّنا نترقَّب مع الفلَّاحين تحقيقَ هذه الآمال التي تهمُّ كلَّ مواطن مخلِص، ونرجو ألَّا يطولَ الانتظار حتَّى تكون حقيقةً واقعة!

هذا؛ ولا يفوتنا أن نُشيرَ إلى أنَّه لا ينبغي تسهيلُ إحياء الأراضي، وألَّا يُقيَّد راغبو الإحياء بالموافقة الرَّسميَّة؛ حيث إنَّ ذلك قد يُعيق الرَّاغبين، وهم في الأغلب ممَّن لا خبرة لهم بكيفيَّة الحصول على الموافقة النِّظاميَّة والأسلوب الرُّوتيني، ونحن نعلم أنَّ الشَّريعة جاءت بالإطلاق؛ حيث ورَد في الحديث: «من أحيا أرضًا ميِّتةً فهي له».

إنَّنا نرجو أن يُعادَ النَّظرُ في الأمر الذي صدر منذ سنوات في هذا الموضوع على ضوء المصلحة والعدالة، والتَّسهيل على الرَّاغبين في الإنتاج الزِّراعي.

وزارة الزِّراعة في الميزان[1]

نشر مرَّة أحدُ الكتَّاب مقالًا عن وزارة الزِّراعة منذ سنوات، ووصفَها بأنَّها «الوزارة التي لا تَعمَل»، ولستُ أدري كيف قفَزت هذه العبارة إلى ذِهني وأنا أكتب اليوم عن وزارة الزِّراعة! ولعلَّ أحدًا من المتعمِّقين في البحوث النَّفسيَّة يفسِّر ذلك إفادةً لي وللقُرَّاء، ويجلو غوامضَ هذا التَّرابط رغم الفوارق الزَّمنيَّة.

وهناك من يقول عن هذه الوزارة: إنَّها وزارة السيَّارات؛ نظرًا لكثرة السيَّارات لديها، ولا نَجزم بصحَّة هذا القول، كما لا نستطيع الجزم بنَفيِه!

وكلُّ ما هنالك أنَّ الشُّعور العامَّ السَّائد لدى الفلَّاح والموظَّف والعامل ساكنِ المدينة والقرية وجميع المستويات أنَّ وزارة الزِّراعة لا تزال متخلِّفة! وأنَّها لم تؤدِّ ما يؤمِّله المواطنون منها؛ فهناك قُرًى وأقاليمُ شحَّ الماء فيها إلى حدِّ النُّضوب وتلاشَت الطَّاقة الزِّراعيَّة، مع ذلك لم نرَ عملًا جدِّيًّا من الوزارة لانتشال هؤلاء الفلَّاحين ممَّا هم فيه، أو تأمين مياه الشُّرب على الأقل، صحيح أنَّ الوزارة تقوم بإرسال سيَّارات لنقل ماء الشُّرب لهذه القرى، ولكن ذلك ليس حلًّا جذريًّا.

وكان من الضَّروريِّ أن تُبادرَ إلى حفر آبار عميقةٍ للشُّرب، أمَّا نقل الماء بواسطة السَّيَّارات فهذا لا يحلُّ المشكلة، ثمَّ إنَّ تكاليف نقل الماء وأجرة السَّيَّارات والسَّائقين ووقود السيَّارات وقطع الغيار وما شابهها قد تَستنفِد كثيرًا من المال، رغم أنَّه لا يأتي بالنَّتيجة المرغوبة.

(١) "اليمامة" العدد (٤١١)، في ٧/ ٤/ ١٣٨٣.

إنَّ وزارة الزِّراعة من بين سائر الوزارات قد مُنِيت بخيبة أمَل المواطنين، في جميع أدوارها وتعاقُب وزرائها، ولا نعرف تعليلًا معقولًا نصِل فيه إلى الموانع والعوائق التي تحول بين الوزارة وتنفيذ طلبات المواطنين العادلة.

ولذا نرى أنَّ المُزارعين يكادون يشعرون بأنَّ هذه الوزارة لا يَعنيهم أمرُها، ولا يهمُّها أمرُهم؛ فكلٌّ في وادٍ سَحيق.

إنَّنا في عصرٍ لا يَنفع فيه التَّريُّث، أو الاهتمام بالأمور الثَّانويَّة، وإنَّ الحكومة قد وضَعَت المسؤوليَّة على الموظَّفين من الوزير فمَن دونَه، فإنَّ من واجبهم أن يَعملوا أعمالًا مشرِّفة تتَّسم بالسُّرعة والعناية بالأهمِّ وتقديمه على المهم.

ووزارة كوزارة الزِّراعة ترتبط بها مصالحُ الشَّعب بكامله لا بدَّ وأن تكونَ على مستوى المسؤوليَّة المناطة بها.

وإذا كانت مُوازَنتُها لا تكفي، فإنَّ من واجب الدَّولة أن تُعيدَ النَّظر في ذلك، وأن ترفعَ مستواها وتَزيد مُوازنتَها، وقبل ذلك يجب أن يكونَ التَّصرُّف سليمًا في الإنفاق، وأن يبدأ بالضَّروري وما له ارتباطٌ وثيقٌ بحياة النَّاس واحتياجاتهم، وأن تقومَ بواجبها إزاء الفلَّاح.

قد تكون هذه الكلمة فيها ما يُغضب، ولكنَّها مشاعر مواطنينَ ليس لي فيها غيرُ الصِّياغة والترتيب على هذا النَّحو، ودافعُها شعورٌ بالواجب والحرص على المصلحة العامَّة؛ فعسى أن تحظى بالقَبول من المعنيِّين، والله المستعان.

المواصَلات

طريق (الرِّياض - سُدَير - القَصيم)[1]

لستُ أدري ما الذي يجعل العمل يتعثَّر في سَفلتة هذا الطَّريق، وما الذي يُعرقِله حتَّى أصبح مثلًا في السَّير السُّلَحْفائيِّ! سواءٌ في إجراءاته أو في تنفيذه منذ سنواتٍ طويلة، والحديث عن هذا الطَّريق وإنهائه، والوعود بسرعة تنفيذه تَترى، ولكن حتَّى الآن وهذا الطَّريق في بدايته!

وهو طريقٌ يمتدُّ إلى حوالي أربعمئة كيلومتر، ويمرُّ ببُلدان زراعيَّة عديدة، وسيُساهم في نقل كثيرٍ من الموادِّ الغذائيَّة والخُضَر والفواكه، وفي نفس الوقت تنتعش الفِلاحة في هذه المناطق التي سيَصل إليها الخطُّ المسفلَت.

من يصدِّق أنَّ الخُضَر تُكدَّس في القصيم ذات المياه الغزيرة الوفيرة حتَّى تتلف، وما يُباع منها هناك فإنَّها بثمن زهيدٍ جدًّا؟! مع أنَّ سكَّان الرِّياض في أمسِّ الحاجة إليها، وأثمانُها مرتفعة، وإذا وصلَت الرِّياض فيمكن تصديرُها إلى بُلدان الخليج أيضًا.

إنَّ كلَّ ما سمعتُه وقرأتُه عن العراقيل المزعومة في سفلتة الطَّريق (الرِّياض - سدير - القصيم) لا يكون مبرِّرًا لتعطيله، وهذا ما يحيِّر!

إنَّ طريق (سدير - القصيم) سيَنتفع به أقاليمُ كثيرةٌ ذات إنتاج زراعيٍّ كبير؛ كإقليم سدير وإقليم الشعيب وإقليم المحمل، وإقليم القصيم الواسع المزدهر.

إنَّنا قد نسمع أحيانًا كتبرير للتَّأخير المؤسِف لسفلتة الطَّريق المذكور هو

(١) "الجزيرة" العدد (٣٣)، في ١٥/ ١٠/ ١٣٨٤.

اختلاف النَّاس الذين سيمرُّ قريبًا من قُراهم، كلٌّ يريد أن يمرَّ بقريته، ونَعجَب أن يُتَّخذَ هذا حجَّة في تعطيل مشروع حيويٍّ كهذا!

إنَّه ليس غريبًا أن يحصُلَ اختلاف، ولكنَّ الغريب أن يُعطَّل المشروع من أجل هذا الخلاف، ولو تماشَينا مع هذه القاعدة لكان معناه القضاءَ على كلِّ المشروعات، فإنَّه يَندُر أن يوجدَ مشروع لا يسبِّب الخلاف، ومعنى هذا على ذلك الرَّأي أنَّه لا لزومَ لما يسمَّى (بند المشروعات)، ولا حاجة إلى طرق ولا تشجيع الفلَّاحين، ولا فتح المدارس ولا غيرها من المشاريع النَّافعة.

وكفى الله المؤمنين القتال!

وختامًا نقول: إنَّ طريق (سدير - القصيم) سيَنتفع به مواطنون في الرِّياض وسدير والقصيم وغيرها، ومن هؤلاء أُناس حلَّت بهم نكبات بسبب الجَدب وغَور المياه، وكان جديرًا بالمسؤولين في جميع الوزارات أن تهبَّ لنَجدتهم، ولا سيَّما وزارة الزراعة ووزارة المواصلات.

فمثلا وزارة الزِّراعة كان من المفروض أن تَحفِرَ في كلِّ بلدة بئرًا؛ لئلَّا يَهلِك المواطنون عطشًا، وتُمِدَّ الفلَّاحين بالقروض والمساعدات؛ ليتمكَّنوا من حفر الآبار العميقة، وليحافظوا على نخيلهم ومَزروعاتهم وممتلكاتهم من التَّلف، ولكن!!

وقد يكون لذلك حديثٌ أشمل.

أمَّا وزارة المواصلات فهي لا تزال في سفلتة الطَّريق، تقدِّم رِجلًا وتؤخِّر أخرى، أمَّا لماذا؟ فلستُ أعرف.

إنَّ العصر عصر السُّرعة والإنجازات السَّريعة، ومثل هذا المشروع قد قُتل دَرسًا وبحثًا وتفكيرًا، فلماذا يبقى بعد ذلك كلِّه مطمورًا في عالم النِّسيان؟! ألم يأنِ الأوانُ لإبرازه حقيقةً ماثلةً؟!

مثَل مثبِّط

«اتَّق شرَّ من أحسَنتَ إليه»، لهذا المثل مُعجَبون ومُحبِّذون يعلِّقونه على الحيطان، ويأخذونه على أنَّه حكمةٌ نادرة، ودُرَّة يتيمة، وهو غير سليم؛ ففيه تخذيلٌ عن الإحسان وعمل الخير، وذلك مصلحةٌ محقَّقة؛ خوفًا من مفسَدة متوهَّمة أن يصل شرٌّ ممَّن أُحسِن - بضمِّ الهمزة - إليه.

والله يقول: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، وفي الإحسان نفعٌ لفقير بائس وصلةُ رَحِم، وخيرٌ يَنال مستحقًّا، وتخفيفٌ عن كاهل المنكوبين، وإقالةٌ لعثَرات العاثرين، وجبرٌ لكسر المصابين، وفيه ثوابٌ للمحسِن عند الله، وأجرٌ كريم لقاءَ ما بذَله من إحسان، وفيه لذَّة يستشعرها المحسِن وراحةٌ نفسيَّة وبهجةٌ تملأ النَّفس غِبطةً وأُنسًا وحُبورًا.

ولو أُخذ بهذا المثَل لكان كلُّ ذلك لا حاجة له، بل ينبغي اجتنابُه قدرَ الإمكان حتَّى لا يأتي شرٌّ ممَّن ناله الإحسان.

وقولُ الله أصدَقُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

وهذه الآية نزلَت في شخصٍ أساء إلى شخص آخَر إساءةً بالغة، ومع ذلك دُعي المؤذَى - بفتح الذَّال - إلى إيتاء هذا المؤذي وصِلته.

وما أحسنَ ما قال الشَّاعر:

ازرَعْ جميلًا ولو في غيرِ مَوضعِه   فلا يَضيعُ جميلٌ أينَما زُرِعَا

وقولَ آخَر:

مَن يَفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جَوازِيَهُ   لا يَذهبُ العُرفُ بين اللهِ والنَّاسِ

وقولَ الآخر:

أحسِنْ إلى النَّاسِ تستَعبِدْ قُلوبَهمُ   فطَالما استَعبَدَ الإنسانَ إحسانُ!

متى يُعبَّد هذا الطَّريق؟[(١)]

طريق (الرِّياض - سُدَير - القَصيم) أمنيَّة طالما تلهَّف لها المواطنون، كتلهُّفهم لرؤية بلَدهم الكبير (المملكة) بكلِّ أجزائها، تربط بينها الطُّرق المعبَّدة (المسفلَتة) والسِّكك الحديد؛ فتَنشَط فيها الحركة التِّجاريَّة والصِّناعيَّة والزِّراعيَّة، وتدبُّ فيها حياةٌ جديدة، وتنتقل القرى من طَورها البُدائيِّ إلى طَور حضاريٍّ مزدهِر.

واليوم، وقد بدَت تباشيرُ جديدةٌ بقُرب العمل في الطريق الممتدِّ من الرِّياض، فسدير، فالقصيم، مارًّا بالشعيب والمحمل، فإنَّ آمالًا قد انتعَشت وحركة متفائلة قد دبَّت في نفوسٍ طلبت وانتظرَت، وخُيِّل لها أنَّ (مواعيدَ عُرقوبٍ أخاه بيثربِ) هي ما سيَلقَونه.

وهل ذلك لنَقص في الموازَنات، أو قلَّةٍ في الاعتمادات؟ لذلك حديث.

المهم أنَّه أوشَك هذا الطَّريقُ أن يبدَأ في العمَل.

ولكن كلمة نوَدُّ إبداءها وقد كتَب عنها كتَّاب عديدون؛ كان منهم الشَّيخ فيصلٌ المبارك في العدد (٩٤) من صحيفة "القصيم"، وحاصلها: ألَّا يُسندَ العمل في هذا الطَّريق إلى مقاول قد أُتخِم من المقاولات، فناءَ كاهلُه بحِملها وصارَتِ المقاولات التي تَرسو عليه معناها أنَّها قد قُذف بها في البحر، فكَثرة التزاماته جعلَته لا يُنفِّذها في مواعيدها، بل متأخِّرة تأخُّرًا مضنيًا.

---

(١) "القصيم" العدد (٩٩)، في ٦/ ٦/ ١٣٨١.

هذه واحدة.

أمَّا الأخرى: فهي عدم الإتقان في العمل، بحيث أصبحَت الطُّرق التي يتولَّى مقاولتَها أشبهَ بالتي لم يَسبِق أن عُبِّدَت في كثيرٍ من الأحيان، والأمثلة معروفة، فلا داعيَ لذِكرها.

وإنَّه إذا ما أُسنِد العمل في هذا الطَّريق إلى مقاولين آخَرين، وإذا ما تعدَّد المقاولون بحيث تُقسم مقاولة الطَّريق بين مقاولينَ يعملون في آنٍ واحد، كلٌّ منهم يتولَّى قسمًا من الطَّريق، فإنَّ هذا فيه مصلحةٌ كبيرة، وفيه إنجازٌ للعمل الذي يأمُل المواطنون أن يرَوه قد انتهى في أسرع وقت ممكِن، وسئم من أولئك المقاولين الذين يهزَؤون بالأمَّة، ويأخُذون أموالها دون أن يُتقِنوا ما أخَذوا مقاولتَه، ودون أن يُنجزوا العمل.

هذه كلمة أردتُّ الإسهام بها بدافعٍ من إخلاصٍ ورغبةٍ في التَّعاون، فهل تُصادِف قَبولًا يا ترى؟

ذلك ما نرجوه، وعسى ألَّا تنعكسَ المفاهيم!

المواصلات رُوح البلاد[١]

كم مرَّةٍ تمنَّيتُ فيها أن أعرفَ أجزاءَ وطنِنا عن كَثب! وكم مرَّةٍ سمعتُ الكثيرين الذين يوَدُّون أن يُشاهدوا بلادهم بِمدُنها وقراها، ومَشاتيها ومَصائفها، ولكن النَّغمة الوحيدة التي تُردَّد على المسامع حتَّى سئم النَّاسُ ذِكرها وتمنَّوا نِسيانها - وأنَّى لهم نِسيانُها! وهي جزءٌ من كِيانهم بل شِريان حياة البلد - المواصلات!

الطُّرق الوَعرة والرِّمال الكثيفة والعقَبات التي تقف سدًّا منيعًا دون أُمنيَّات الرَّاغبين، وحاجزًا صخريًّا دون انتفاع المواطنين بمواردِ بلادهم، وثرواتهم الزِّراعيَّة، وخبراتهم الكثيرة المبعثَرة التي لا يستطيعون نقلها من قريةٍ إلى قريةٍ ومن مدينةٍ إلى مدينةٍ إلا قليلًا وبعد جهدٍ جهيد وعناء شديد، هذا إن لم يتلَف ويُصِبه العطَب والفساد قبل الوصول، ثمَّ التكاليف المرهِقة التي تُصيب دُوارًا في الرَّأس، ويسبِّب الصُّداعَ الحديثُ عنها.

إنَّ تعبيد الطُّرق حاجة ماسَّة، وضرورة ملحَّة، نفعُها معروف، والضَّرر بتركها متيقَّن محسوس، إنَّني كلَّما فكَّرت في الخسائر التي تنجُم عن تلف السيَّارات التي تسير في طرق وَعرة، وتلتوي بين جبالٍ ووديان، وتغوص في أعماق الرِّمال حتى تقطعَ أنفاسَها، وكلَّما تصوَّرتُ الفواكه والخَضراوات التي تنتج بكثرةٍ في بعض مدن المملكة وقُراها، وتُكدَّس فتذهب هباءً بعد أن يُباع منها جزءٌ قليل بثمن بخس، بينما هو في جهاتٍ من البلد ونواحٍ من المملكة لا يُحصَّل إلَّا بغالي الثَّمن، وبعد لَأْيٍ ومشقَّة ويُستورَد من بُلدانٍ

---

(١) "اليمامة" العدد (١٧٨)، في ٦/ ١/ ١٣٧٩.

خارجَ المملكة، وكلَّما تصوَّرتُ المشقَّات والمصاعبَ يُلاقيها المسافر بين أجزاء المملكة - كلَّما تذكَّرتُ ذلك أحسَستُ بألَم وأسفٍ كبيرين!

وهل نَعجَب بعد ذلك أن نَرى بعض المواطنين يَعرفون عن الجمهوريَّة العربيَّة بقسمَيها، ولبنانَ والأردنِّ أكثر ما يَعرفون عن جازان وأبها والجوف وحائل؟!

إنَّنا في الوقت الذي نرجو ونلِحُّ أن تعيدَ وزارة الزِّراعة النَّظر في أمر الزِّراعة والمزارعين والنُّهوض بها، فإنَّنا نرجو أن نرى الطُّرق معبَّدة حتَّى تكون النَّهضة سليمةً مكتمِلة، ولا يَخفى فوائدُ تعبيد الطُّرق، وما تؤدِّي إليه من نتائجَ اقتصاديَّة وثقافيَّة، وتضامُن بين المواطنين، وفَهم لمشاكل بعضهم، وتجاوُب بينهم، وفي ذلك من المصالح العظيمة والفوائد الجسيمة ما لا يَحتاج إلى إيضاح وتِبيان، وإنَّ وزارة المواصَلات تحمل عبئًا ثقيلًا وأمانةً جليلةً في تقريب البلاد بعضها لبعض، وإيجاد وسائل المواصلات على اختلافها، ولا سيَّما تعبيد الطُّرق وسفلتتها.

هذا؛ وإنَّا نشاهد بُلدانًا هي أقلُّ مواردَ وأضعفُ، بل لا نسبةَ أبدًا بينها وبين هذه المملكة الغنيَّة بخيراتها المستغَلَّة والمطمورة، ومع هذا الفارق الشَّاسع نرى تلك البُلدان تَنعَم بالطُّرق المعبَّدة المريحة، واحتفظَت بثرواتها من الضَّياع، فلماذا لا نوجِد الطُّرق المعبَّدة لتحفظ ثروتنا، ولنريح مُواطنينا من العَناء ونحن أقدرُ منهم على التحصيل وأوفرُ منهم دخلًا، ونعود إلى وزارة ضخمة ذات جهاز كبير وميزانيَّة كبيرة؟!

كذلك أضمُّ صوتي إلى الأصوات التي أعياها الصِّياح حتى بُحَّت، وطال استصراخها تطلب نجدة الوزارة الجليلة - وزارة المواصلات - حتى

تعملَ على إزالة المصاعب، وتعبيد الطُّرق؛ رحمةً بالمواطنين الذين يُلاقون الأمَرَّين في تنقُّلاتهم في بلادهم.

إنَّنا نريد أعمالًا جليلةً تعوِّضنا عن تأخُّر السِّنين الطِّوال، أعمالًا لا تَعرف البُطء والتأجيل والتَّواني، تُناسب الوزارة وآمال الشَّعب فيها، أعمالًا تَدهَش الرَّائين وتُشنِّف الأسماعُ بذِكرها حتى تكون بطولةً من البطولات ومجدًا من الأمجاد.

وتعود بي الذَّاكرة مرَّة أخرى إلى وعودٍ قد بُذِلت من قِبَل بعض المسؤولين في الوزارة لتحقيق مشاريعَ طيِّبة منذ سنوات لم تتحقَّق حتَّى الآن، ونرجو أن يَظهرَ ذلك إلى حيِّز الوجود سريعًا، ويصبح الحُلمُ حقيقة.

مشروعات وزارة المواصلات[1]

وزارة المواصلات من كُبرَيات الوزارات، ويتطلَّع لها المواطنون بآمالٍ عِراض، وفي كلِّ يوم يتحسَّسون أخبارها؛ ليَروا ما حقَّقته من تعبيدِ الطُّرق وربط البلاد بشبكة الخطوط الهاتفيَّة، والسِّكك الحديديَّة والمواصلات البريديَّة والبرقيَّة، وسرعة الإنجاز في العمل.

ولكنَّ المواطنين يُصابون بذهول لما يُشاهدونه من (أَنَاة) الوزارة وتجميد المشروعات الهامَّة، صحيحٌ أنَّ الأخبار التي تُنشَر على شكل دعاية من جهاز الدِّعاية في الوزارة تُنبئ عن مشاريعَ طويلةٍ عريضة، حتَّى ليُخيَّل للسَّامع والقارئ أحيانًا أنَّ الأحلام الجميلة ستتحقَّق ما بين غمضةِ عينٍ وانتباهتها، وأنَّه في خلال أيَّام وشهور ستُصبح البلاد تَنعَم بمواصلات فنِّية عامَّة.

ويعود الطَّريق الذي يقلب الرَّأس ويكسر العظام في مرتفَعاته ومنحدَراته وجباله ورماله معبَّدًا، وتكون الرِّحْلات في سائر أنحاء المملكة نزهةً لطيفة، ويستطيع الفلَّاح أن ينقُلَ مَنتوجاته إلى أيِّ ناحيةٍ من البلاد قبل أن تتلفَ منتوجاته ويُصيبَها العطَب.

كما يأمُلون أن يجدوا السِّكك الحديديَّة والبَرق والهاتف والبريد شاملةً ومتطوِّرة؛ لتُجاريَ أسلوب العصر الذَّرِّي، وليس المسؤولون في الوزارة في حاجةٍ إلى التذكير بفوائد المواصلات المنظَّمة، وعظيم نفعِها؛ فهُم أدرى بذلك من غيرهم بحُكم عملهم، واطِّلاعهم في هذا الميدان.

ولذلك فإنَّ ما يحيِّر المرء هذا التَّأخير، الذي لا يَقدِر أيُّ مواطن على

(١) "اليمامة" العدد (٤٠٩)، في ٢٩/ ٣/ ١٣٨٣.

فَهم أسراره ودَوافعه، وليست الميزانيَّة المرصودةُ للمواصلات قليلةً حتى يُقال: إنَّها ضاقت عن تنفيذ المواصلات، وما دام أنَّ الدَّولة قد وضعَت ثِقتَها في هؤلاء المسؤولين فلماذا لا يعمَلون بسرعةٍ ما يتَّفق وآمالَ المواطنين، ويبادرون بإنجاز المشروعات النافعة التي تتحدَّث عن نفسها؟!

إنَّ التطوُّر الذي استوعَب أكثر النَّواحي، لم يشمَل مع الأسف المواصلاتِ إلَّا لِمامًا، فهي ما فَتِئت تمشي وَئيدًا كأنَّها صاحبةُ الأعشى:

تَمشي الهُوَيْنَى كما يَمشي الوَجِي الوَحِلُ

إنَّ المواطنين لا يَعرفون تفسيرًا لتأخُّر إتمام طريق (الحجاز - الرِّياض) وطريق (الرياض- سُدَير - القَصيم)، ولماذا لم يُبدَأ في طريق الجنوب وغيرها؟! ويوَدُّون الجوابَ العمَليَّ من وزارة المواصلات.

وإنَّ المواطنين ليتَساءلون عن الهاتف الأتوماتيكيِّ الذي يُسمَع عنه ولا يُرى، ويتَساءلون عن وضع البريد العجيب الذي يوصل الرَّسائل والصُّحف بين مدن المملكة بعد أسبوع أو أكثر! علمًا أنَّنا في عصر الصَّاروخ والنفَّاثة سابقةِ الصَّوت، بل لا يَليق أن تُستخدمَ الحَميرُ في نقل الرَّسائل البريديَّة إلى بعض القُرى! أليس كذلك؟!

فإلى متى أيُّها المسؤولون في وزارة المواصلات؟! وما هي الأسباب المعقولة - إن كانت - التي تشدُّ هذه المشروعات شدًّا، وتربِطها بوَثاق مُحكَم، فلا تَقدِر على الانفلات منه أو الهروب من حَلقاته؟!

إنَّنا نريد الجواب.

فهرِس الموضوعات

آثار الشيخ زيد الفياض

تمتازُ بالجمع بين العلم الشرعيِّ الموثوق والثقافة الإسلاميَّة الأصيلة، مصوغةً بأسلوب سهل ومشرق، يُقنع العقلَ ويُلامس الوجدان.. كيف لا وصاحبُها فارسٌ من فرسان الميدان؟!

إنه الشيخُ زيد بن عبد العزيز الفياض رحمه الله؛ نمطٌ فذٌّ بين علماء عصره، جمعَ بين التحصيل الشرعيِّ المتين والاطِّلاع على ما يروجُ في زمنه من أفكار وثقافة طارئة، فامتاز ببصيرة نافذة ناقدة لما يدورُ حوله من حوادث، وما يُلمَّع من فكر دخيل وفلسفات ومذاهبَ وافدة! فانتضى قلمَه بجَراءة، وبذل وُكدَه في كشف كلِّ ما يتهدَّد أمَّة الإسلام بصراحة، فغدت كتاباتُه وثائقَ تاريخيَّة مدوَّنة بيد خبير ثقة مقتدر.

وما خلَّفه الشيخ من تراث علميٍّ وفكريٍّ نافع، يتوزَّع بين كتب طُبعت ونَفِدَت، ومقالات نُشرت في الصحف قديمًا ولم تُجمَع، ومُسوَّدات بحوثٍ وكتب عاجلته المنيَّة قبل تحريرها وإخراجها.

ويُسعدنا في دار الألوكة للنشر أن نميطَ اللثامَ عن هذا التراث الرصين بتقديمه لأبناء عصرنا لينتفعوا بما فيه من علم ونصح وغَيرة. هذا ولم نألُ جهدًا في التصحيح والتحرير والعناية. ونسأله سبحانه التوفيقَ والقَبول، وأن يجعلَ هذا العِلمَ النافعَ في صحيفة صاحبه وناشره.

1234567890

توزيع مؤسسة الجريسي - الرياض - هاتف ٤٠٢٢٥٦٤